وزارة التعليم العالي
جامعة منوبة
المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية

سلسلة وثائق ونصوص من تاريخ تونس المعاصر
عدد 2

المقاومة المسلحة في تونس

الجزء الأول: 1881 - 1939

الطبعة الثانية

عدنان المنصر
عميرة علية الصغير

تونس 2005

جامعة منوبة

المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية

سلسلة وثائق ونصوص من تاريخ تونس المعاصر
عدد :2

المقاومة المسلحة في تونس

الجزء الأول
1881 - 1939

الطبعة الثانية

عدنان المنصر

عميرة علية الصغير

تونس 2005

صورة الغلاف معركة جبل حدادة، 26 أفريل 1881

المحتوى

فهرس النصوص..... 7

التقديم 13

- المصطلحات الواردة في الكتاب 15

- أهمّ أحداث المقاومة المسلّحة من 1881 إلى 1939..... 17

I - المقاومة المسلحة للاحتلال الفرنسي (1881 -1883)..... 27

II - انتفاضة الفراشيش (1906)..... 129

III - ثورة الجنوب (1915 -1916) وما تلاها من أعمال المقاومة..... 159

- ملحق الصور 175

- بيوغرافيا لبعض رجال المقاومة..... 189

- ببليوغرافيا منتقاة 199

فهرس النّصوص.

I - المقاومة المسلحة للاحتلال الفرنسي (1881 -1883) :

تقديم 29

أ تنظيم المقاومة..... 30

1 – نـــداء للجهـــاد و تمجيـد المقاومة..... 30

2 -"حلقات" العروش..... 31

3 –تهريب الأسلحة وتمرّد البدو بجهة ورغمّة..... 32

4 –محاولات تنظيم المقاومة بالوسط 34

5 –علي بن خليفة يؤكّد على طاعته في بداية الثورة..... 35

6 –علي بن خليفة يبرّر أعمال المقاومة..... 37

7 –عامل السّاحل يدعو علي بن خليفة للطّاعة..... 39

8 –الوضع العام بالبلاد في أوّل سبتمبر 1881 41

9 –مقابلة ثوّار الجنوب لوالي طرابلس وثورة منزل ڤابس..... 42

10 –ردّ العروش بجهة الكاف وسليانة إثر احتلال صفاقس..... 44

11 –موقـــف الجنود التونســيين في معركة الأربعين و هروب الجنود بصورة عامة..... 45

12 –صـــدى احتـــلال تـــونس..... 46

ب المعارك والقوى المتقابلة..... 47

13 –مـعـركـة خـمـيـر..... 48

14 – مـعـــركة خميـــر في الشعر الشعبي..... 49

15 –معركة بن بشير (30 أفريل 1881) 50

16 –الأوضاع في جهة باجة ومقعد في ماى 1881..... 51
17— مهاجمة مقر الشركة المرسيليّة بالنّفيضة (21 ماي 1881) 52
18 –تخريب خطوط الهاتف..... 53
19 –الإغارة على إبل الباي في ضواحي تونس..... 54
20 – معركة الحمامات حسب المصادرالأهليّة..... 55
21 –معركة الحمامات حسب السّلط الفرنسيّة..... 56
22 –معركة للّة بن سعيدان (10 سبتمبر 1881)..... 58
23 –معركة وادي لايا حسب الجيش الفرنسي..... 59
24 –معارك وادي لايا حسب المصادر الأهليّة..... 60
25 –الأحداث في صفاقس بين 27 و 29 جوان 1881..... 62
26 –تقرير قبطان الباخرة "الشاكال" حول ردّ قائد صفاقس والمقاومة..... 64
27 –ثورة صفاقس. 65
28 –نبذات من الصحافة البريطانيّة حول الأوضاع بتونس إثر احتلال صفاقس..... 66
29 –المقاومة وتنظيمها للدّفاع عن قابس..... 68
30 – تصميم الثوّار على مهاجمة جارة قابس وتخوّف العامل..... 70
31 –ثورة أهل قابس وصعوبات السّلطة المحليّة..... 72
32 –احتلال قابس..... 74
33 –احتلال المنزل وشنّي..... 76
34 –الوضع في جربة و ما جاورها (12 أوت 1881)..... 77
35 –تقرير قائد الباخرة ليوبار حول الأوضاع من المنستيرحتى قليبية 78
36 –الأوضاع بالساحل (10 أوت 1881)..... 80
37 –ثورة جنود السّاحل..... 81
38 –المقاومة بجهة المنستير (أوت 1881)..... 83
39 –الأوضاع بالمهديّة وتمرّد قصر هلال (أوت 1881)..... 84

40 –الوضع بالسّاحل 85
41 –تحرّك علي بن عمّار و تمرّد عروش جهة الكاف..... 86
42 –عمليّة وادي الزرقاء (3 أكتوبر 1881)..... 87
43 –احتلال القيروان (26 أكتوبر 1881)..... 88
44 –تقدّم الجيش الفرنسي بالوسط والقبض على سعد ثم..... 89
45 –مذكرة الكمندان برطون حول وضعية بقيّة جيش الباي..... 92
46 –قائمة القطع الحربيّة الرّاسية بالسّواحل التونسية 93
47 - قائمة لمختلف الوحدات المحتلّة في 4 أكتوبر 1881. 94
ج - موقف السلط والأعيان المحلّيين..... 95
48 –موقف شيخ الإسلام من الاحتلال 95
49 -خيانة الباي..... 96
50– تعاون قدّورالميزوني شيخ الطريقة القادريّة مع جيش الإحتلال. 97
51 – تعاون الباي مع جيش الاحتلال..... 98
52 –رد أعيان قابس على رسالة الكمندان ديبون قائد الباخرة دزائي (مترجمة)..... 99
53 –دعوة أهل جبال مطماطة للطّاعة والكفّ عن العصيان..... 100
54 –شكر أعوان المخزن على الطّاعة..... 101
55 –محمد الصادق باي يهنّئ روسطن إثر احتلال صفاقس..... 102
56 –فشل المخزن في حفظ الأمن..... 103
57 –فشل قائد الأعراض في تهدئة المتمرّدين..... 104
58 –احتلال سوسة 107
59– الأوضاع بالساحل بعد هزيمة الثوار 108
60 –الانتقام من العملاء..... 109
61 –برقيّة روسطن حول تبرئة علي باي من الشكوك التي حامت حوله في التعاون مع المتمرّدين (30 نوفمبر 1881)..... 110

د- القضاء على المقاومة والعقوبات..... 111

62 – غرامات الحرب التي سلّطت على عروش خمير وماطر و قبائلها. 111

63 –نفي 149 شخصا من وشتاتة لجزيرة سانت مرجريت..... 112

64 – رسالة من وزير الحرب لوزير الشؤون الخارجيّة حول الغرامات وأخذ رهائن من العروش المتمرّدة في جهة باجة وماطر(9 أوت 1881)..... 113

65 – بلاغ القائد العام للقوّات الفرنسيّة الموجودة في تونس. موجّها للسكّان و خاصّة للمتمرّدين (16 أكتوبر 1881)..... 114

66 –الغرامات التّى سلّطت على أهالي الجريد..... 115

هـ - الهجرة وأعمال المشاغبة 116

67 –تشريع الهجرة من البلاد المحتلّة..... 116

68 –تشريع الهجرة و نهب أرزاق الرّاضخين للإحتلال..... 119

69 –تقرير روسطن حول وضعيّة المقاومة و شروط منح الأمان 120

70 –تراجع القبائل الثائرة نحو الجنوب..... 121

71 –غارات القبائل من الداخل ومن طرابلس وانعدام الأمن..... 122

72 –غارات القبائل المهاجرة (صائفة 1883)..... 124

73 – اجراءات العفو 125

74 –عودة بعض المهاجرين (صائفة 1883)..... 126

75 –أحداث تمغزة (جوان 1883)..... 127

II- انتفاضة الفراشيش لسنة 1906:

تقديم..... 130

76 –الأسباب العميقة للثورة: بؤس الفراشيش..... 132

77 –أسباب ثورة الفراشيش..... 133

78 –تعبئة الفراشيش للثورة..... 134
79 –ثورة الفراشيش والسير نحو تالة 135
80 –تصريحات قائدي ثورة الفراشيش..... 137
81 –شهادة أحد المشاركين في الأحداث..... 138
82 –"المسيرة المقدّسة" نحو تالة كما وصفها القائد
في تقريره عن الانتفاضة بتاريخ 30 جوان 1906 140
83 –الأخبار الأولى عن أحداث تالة..... 142
84 –"الدين الاسلامي ينكر قتل المسيحي"..... 143
85 –عجز السلط عن توقع الأحداث..... 144
86 –الاحتياطات الأمنية والعسكرية الفرنسية لمواجهة ثورة الفراشيش..... 145
87 –معاملة الأوروبيين للأهالي بعد الأحداث..... 147
88 –انقسام الفرنسيين في شأن الأسباب التي أدت لثورة الفراشيش. 148
89 –"أحداث وقع تضخيمها"..... 149
90 –"لنكن عادلين إزاء الأهالي"..... 151
91- "الهمج" 153
92 –"كم كان القمع لينا ازاء مرتكبي أحداث تالة"..... 154
93 – عينة من مواقف اليسار الفرنسي بتونس من انتفاضة 1906..... 155
94 –من يتحمل مسؤولية الانتفاضة؟..... 157
95 –"شرف فرنسا في العدالة"..... 158

III - ثورة الجنوب وماتلاها من أعمال مقاومة.

تقديم..... 160
96 –واقعة ظهرة النصف حسب المرزوقي..... 162
97 –واقعة ظهرة النّصف حسب الجنرال ألكس..... 165

98 –معركة رمثه 25 سبتمبر 1915 166

99 –معركة أمّ الصّويغ (2 - 9 أكتوبر 1915) 168

100 –معركة رمادة ووادي السّمنة (26 جوان 1916)..... 170

101 –جدول مقارنة لضحايا معارك الجنوب (1915 –1916)..... 171

102 –دور الطّيران العسكري في مراقبة الحدود وتتبّع المقاومين..... 172

103 –"جو خمسة يقصّوا في الجرّه"..... 173

فهرس الخرائط:

- خريطة مواقع المقاومين والقوات الفرنسية يوم 20 سبتمبر 1881..... 47

- خريطة مواقع أهم المعارك (1915 - 1916)..... 164

تقديم

يأتي هذا الكتاب في إطار سلسلة من المؤلفات يصدرها المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنيّة بعنوان "وثائق من تاريخ تونس المعاصر". وهو الجزء الأوّل من مؤلّف نزمع نشره مضمونه المقاومة المسلّحة للإستعمار بتونس ويغطي هذا الجزء الفترة الممتدّة من 1881 حتى 1939 . ويطمح هذا المؤلّف أن يساعد بيداغوجيا عند تدريس ذلك الجانب من تاريخ الحركة الوطنيّة التونسيّة كما يوفّر مادة تاريخيّة خاما لكلّ المهتمّين بماضي تونس.

وهنا لسنا في حاجة لتأكيد الدّور الأساسي الذي لعبته المقاومة المسلّحة للإستعمار طيلة فترة الاحتلال كأحد روافد العمل الوطني وكتعبير على "التدخّل" الشعبي الفاعل في تغيير الواقع وتأكيد الذّات من أجل التحرّر والإنعتاق. ولعلّ الوثائق المقدّمة هنا تسمح بالوقوف عند خصائص هذه المقاومة من حيث التصوّر والتّنظيم والوقائع والنتائج وكذلك الاطّلاع على كيفيّة مواجهتها والتّعامل معها إن كان من قبل سلط الحماية أو السّلط الأهليّة.

وقد اعترضتنا لإنجاز هذا العمل عدّة صعوبات علاوة على مجهود البحث عن الوثائق وترجمة النّصوص وتصنيفها صعوبة أكبر وهي انتقاء النّصوص خاصة وأن الوثائق المعتمدة جلّها واردة في تقارير عسكريّة أو مدنيّة لا تستجيب دائما لخاصيّة التّكثيف للأحداث التاريخية أو الصّياغة المقتضبة وهي شروط ضروريّة لاسغلال النصوص استغلالا بيداغوجيا. ضف إلى ذلك أن المصادر الفرنسيّة تورد الأحداث من الوجهة الفرنسيّة ومن الجانب الفرنسي كذلك الشأن للمصادر التونسيّة وتفاديا لهذه النّقائص وبحثا عن مقاربة أكثر موضوعية أوردنا أحيانا وثيقتين أو أكثر من مصادر مختلفة ولنفس الحدث.

ولنفس الغاية العمليّة حاولنا تنويع الوثائق المقدّمة من حيث مصادرها (وثائق أرشيفية، مراجع[1] ، صحف...) أو نوعها (تقارير، رسائل، برقيّات، دراسات، مقالات صحفيّة، صور، خرائط...). فقد تضمّن الكتاب : 103نصّا وجدولا واحدا و17 صورة وخريطتين.

---

1) أوردنا استثناءا بعض النصوص لمحمد المرزوقي لقيمتها التاريخية حيث تسمح بالمقارنة مع الوثائق الأخرى ذلك أن صاحبها قد اعتمد فيها على الشهادات الشفوية.

وتسهيلا لاستغلال وثائق الكتاب أوردنا فيه كذلك جدولا زمنيا لأهمّ أحداث المقاومة المسلّحة من 1881 حتى 1939 وقدّمنا بإيجاز لأهمّ فصولها كما أثبتنا في آخر المؤلّف بيوغرافيا موجزة لأهم رجال المقاومة المسلّحة في تلك الفترة. كما ضمّنّاه ببليوغرافيا منتقاة للمقاومة المسلّحة للفترة المعنيّة.

عدنان المنصر **عميرة عليّة الصغيّر**

المصطلحات الواردة في الكتاب

بالعربية :

أ.و : الأرشيف الوطني.

ب : بكرة (بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنيّة).

و : ورقة .

و.خ.ف : وزارة الخارجيّة الفرنسيّة (الكي دورسي)

م. ملف

م . ت. ج. ب .: المصلحة التّاريخيّة لجيش البرّ (الفرنسي).

س : سلسلة.

س. م.س : سلسلة مراسلات سياسيّة.

ص : صندوق .

بالفرنسيّة :

Sigles et Abréviations:

B : Bobine
C : Carton
D : Dossier
F : Folio
Q.O. : Quai d'Orsay (Ministère Français des Affaires (des Relations)
extérieures.
S : Série
S.H.A.T. : Service Historique de l'Armée de Terre (Ministère Français de la Guerre, Château de Vincennes)
S.C.P. : Série correspondance politique.
S/S. 2H.T. : Sous-Série 2H-Tunisie.

أهم أحداث المقاومة المسلّحة من 1881 إلى 1939

1881

30 -31 مارس : تدخل القوّات الفرنسيّة إثر المناوشات الحدوديّة التي طرأت بين قبيلتي ناهد و خمير.

15 أفريل : تململ العروش و تجمّع جلاص بالجبيينة و أولاد عيّار بالسّرس و أولاد عزيز بوادي ران وأولاد رضوان بقفصة.

24 أفريل : كتيبة من الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال لوجرو تجتاز الحدود التونسيّة الجزائرية.

26 أفريل : احتلال الكاف دون مقاومة.

26 أفريل : احتلال طبرقة بعد قصفها بالمدفعيّة .

أفريل : أولاد سعيد و الحوامدة و أولاد عمرو و فروع خمير تتصدّى للجيش الفرنسي في حملة طبرقة .

28 أفريل : استيلاء أبناء مقعد على سفينة حربية فرنسيّة غرقت بين رأس سرّات و ميناء بنزرت و نهبها .

29 أفريل : احتلال سوق الاربعاء.

30 أفريل : معركة بن باشير.

1 ماي : احتلال بنزرت دون مقاومة .

11 ماي : احتلال عين دراهم.

12 ماي : الباي محمد الصادق يوقّع معاهدة الحماية بقصر باردو.

18 ماي : احتلال ماطر.

20 ماي : الجنرال لوجرو يدخل مدينة باجة .

- بداية شهر جوان: استسلام عروش مقعد و هذيل و بجاوة و تسليم أسلحتهم للجيش الفرنسي.

15 /-20 جوان : ميعاد القيروان حضره ممثلو مختلف العروش و القبائل الثائرة .

26 جوان : حل جيش الاحتلال و الاقتصار على 6000 جندي .

27 جوان : الباخرة الحربيّة "الّشاكال" ترسو في عرض صفاقس .

28 جوان : صفاقس تثور و تتكوّن فيها لجنة دفاع تسيّر المدينة مكوّنة من 40 عضوا برئاسة ضابط المدفعيّة محمد الشّريف.

29 جوان : ثوّار صفاقس يهاجمون القائد حسّونة الجلّولي لتواطئه مع الفرنسيّين .

5 جويلية : بداية قنبلة صفاقس (المقنبلتان : "الشّاكال" و "البيك").

16 جويلية : سقوط مدينة صفاقس و احتلالها.

17 جويلية : مهاجمة إبل الباي من ثوّار جلاص في أحواز العاصمة و اختطاف ألف منها و نهب بعض الضيعات .

19 جويلية : الباخرة الحربية "دسائكس" ترسو بسواحل قابس و يطالب قائدها السكان بموقفهم تجاه الباي وقوات الاحتلال.

24 جويلية : وصول الأسطول الفرنسي قابس و بدئه قصف المنزل مركز المقاومة .

28 جويلية : خليفة جربة عمر البّراني و أعيان الجزيرة يقدّمون استسلامهم لقائد السفينة "ليوبار".

27-28 جويلية : القوات الفرنسية تحتل الجزيرة (جربة) دون مقاومة .

3 أوت : الجنرال لوجرو يقبل استسلام جرجيس دون شرط مع الالتزام بضرورة حماية الاروبيين فيها .

15-18 أوت : أحمد بن يوسف (قائد أولاد رضوان) يترأس ميعاد سبيطلة حيث أقرّ ممثلو قبائل الجنوب الغربي التمرّد و الصمود (لم يحضره لا علي بن خليفة و لا الحاج حسن بن مسعي زعيم جلاص).

26 أوت : احتلال زغوان.

26 -29 أوت : طابوركرّيار (Corréard)يهزم في معارك جهة الحمامات .

2 سبتمبر : 150 فارس من نفّات يهاجمون جارة المستسلمة و تحت الحماية الفرنسيّة .

6-7-8 سبتمبر : الباخرة "الشّاكال" تقنبل المنزل ، شنني و سيدي بولبابة (قابس).

9 سبتمبر : احتلال منزل قابس .

11 سبتمبر : احتلال سوسة .

30 سبتمبر : فرقة يقودها على بن عمّار تحرق محطّة القطار بوادي الزّرقة و تقتل 9 أروبيّين .

15 أكتوبر : ميعاد العروش بالحامة يقرّر الهجرة (أغلب السّواسي ، المثاليث ، العقاربة ، أولاد سعيد ، بني زيد ...).

18 – 22 أكتوبر : معركة وادي لايا بقيادة علي بن عمارة وقد قتل في هذه المعركة غدرا.

26 أكتوبر : القوات الفرنسيّة تدخل القيروان دون مقاومة .

20 نوفمبر : علي بن خليفة يحطّ رحاله بوادي الزّاس و التحق به أخوه صالح في 23 نوفمبر .

20 نوفمبر : فورجمول يدخل قفصة حيث استقبله ألْقرو قائد الحامية .

3 ديسمبر : لوجرو يدخل حامة قابس دون مقاومة.

6 ديسمبر : خليفة بني زيد شرف الدّين يقدّم استسلامه للوجرو الذي أعاده لمنصبه و كلّفه أن يقوم مع "قوميته" بحراسة ممرّات الحامة .

8 ديسمبر : في زاوية سيدي بولبابة لوجرو يقبل استسلام سكان المنزل و شننّي.

14 ديسمبر : في قرية زراوة الجبلية 500 ثائر يعترضون تقدّم جيش لوجرو.

16 ديسمبر : لوجرو يقبل استسلام كل شيوخ بني يزيد.

1882

25 مارس : أحمد بن حمّادي قائد نفزاوة يذهب إلى قفصةمع 100 فارس لاستقبال فليبّار و يقدّم استسلام قبلي .

2 أفريل : فليبّار يخرّب أم الصمعة بتحريض من القائد و ذلك عن طريق العناصر التونسيّة التي كان يقودها حسين اللّونقو .

3 أفريل : تحطيم برج نقة (قبلي).

14 أفريل : الجنرال فليبار يصل دوز و يستقبله المرازيق ماعدى مرازيق العوينة المتحالفين مع أولاد يعقوب وكانوا من المتمرّدين .

16 أوت : حملة من المهاجرين تعد ما بين 250 و 500 فارس من الهمامة و أولاد رضوان و أولاد عزيز وفرسان جلاص هزمت الحامية الفرنسية ببئر زمّيط ووصل فرسانها حتى الوسط و أخفقت محاولات ملاحقتهم .

25 أكتوبر : أغار فرسان من أولاد يعقوب و المرازيق و العذارى على الجريد و هزموا حامية توزر.

أواخر أكتوبر : تراجع حملات المهاجرين لتدخل السّلط التركية في طرابلس لدى زعماء القبائل للكف عن مناوشة الفرنسيّين و ذلك بعد احتجاج الحكومة الفرنسيّة لدى الحكومة التركيّة.

1906

26 أفريل :اندلاع انتفاضة الفراشيش حيث هاجمت مجموعة مسلّحة ضيعة المعمّر الفرنسي سال المعروفة ببرج الشّعنبي .

27 أفريل : الثوّار يهاجمون تالة و يقتل منهم 12 و يجرح آخرون.

7 أوت : تقديم المتّهمين للمحاكمة بسوسة و لمحكمة التعقيب بالجزائر في 21 أوت.

22 نوفمبر : المحكمة الجنائيّة بسوسة تصدر حكمها النهائي في ثوّار 1906 من ذلك 6 إعدامات من ضمنهم فضلي بن عمر بن عثمان و المقدم علي بن محمد بن صالح .

1915

13 سبتمبر : واقعة المرطبة حيث هزم الثوار بقيادة محمد بن مذكور الشهيدي الحامية الفرنسيّة

14 سبتمبر : واقعة جبل عفينة حيث انهزمت فرقة الملازم أوّل مقريّي (Mégrier) .

15 سبتمبر : معركة ظهرة النّصف (كلم1 جنوب ذهيبة) بقيادة خليفة بن عسكر انهزمت فيها القوات الفرنسيّة.

17 سبتمبر : حامية مشهد صالح من الصبايحيّة بقيادة الباش شاوش محمد بن سعد تنضم إلى صف الثوّار .

18 سبتمبر : مهاجمة مركز ذهيبة العسكري من 2500 مجاهد لكن دون التمكّن من احتلاله.

23 سبتمبر: مهاجمة ذهبية مرّة أولى .

25 سبتمبر : معركة رمثة بقيادة شيخ الكراشوة عمر لبيض.

1 أكتوبر : معركة قلعة أولاد شهيدة (20 كلم على تطاوين) .

1 أكتوبر : واقعة مرساط (قبلي القلعة) وهي معركة ضارية استشهد فيها عديد المجاهدين .

1أكتوبر : واقعة تملست (18 كلم من تطاوين) حيث هاجم الثوار الثكنة الفرنسيّة.

2-9 أكتوبر : معركة أم الصويغ (14 كلم شرقي رمادة) و شارك فيها حوالي 2000 من الثوار .

3-6 أكتوبر : الجيش الفرنسي يخرب بالمدفعيّة قصور الكراشوة و أولاد محمّد و أولاد سلطان.

9 أكتوبر : معركة نكريف استشهد فيها شيوخ أولاد دبّاب (الحاج سعيد بن عبد اللّطيف و أخيه علي ...)

10 أكتوبر : هجرة المورّطين في الانتفاضة نحو ليبيا (حوالي 2000 رجل و 1500 إمرأة و 2000 طفل)

23 ديسمبر : السّلط الفرنسيّة تصتصدر مرسوما تحجز بمقتضاه أرزاق العروش المتمّردة (الجليدات ، الكراشوة ، الحمايديّة ، أولاد دبّاب ، الشهايدة ، الدغاغرة ، الزرقان ، سدرة عمارنة ، قطايفة ، وازن ، ذهيبيّة)

1916

جانفي : عديدالغارات عبر الحدود لنهب أملاك القبائل التي بقيت راضخة للاحتلال .

4 مارس : معركة بئر القصيرة (برج الباف ثم برج بورقيبة).

20 أفريل : غارة أبرق الجواشة (بالجفارة) على إبل التوازين حيث ساق الثوار منها 600 بعير إلى طرابلس .

18 جوان : معركة ذهيبة الثانية بقيادة خليفة بن عسكر لكن دون التمكن من هزم الحامية رغم حصارها خمسة أيام .

26 جوان : معركة رمادة وقد استشهد فيها محمد بن مذكور و ابنه يحي.

26 جوان : معركة وادي سمنة (6 كلم على رمادة) حيث أبيدت فرقة الملازم بريشون (Perruchon).

30 جوان : معركة بئر مغري (جنوب شرقي رمادة) انسحب الثوار على إثرها نحو نالوت.

20 أكتوبر : واقعة بئر عوين حيث تمكنت مجموعة من الثوار بقايدة عمر الغول من إبادة فرقة القرية و غنم أسلحتها و حيواناتها.

1917

1917: إحباط محاولة تمرّد كان يحضّر لها بني يزيد و إلقاء القبض على البارزين من شيوخها و ذلك إثر خيانة خليفة الحامّة محمد الزواري(شهر بودبّوس).

11 جوان : معركة الحايرة (18 كلم شمال غربي بئر كسرة) حيث جرح 8 من الفرنسيّين و خسروا 300 من المهاري بين مخطوف و مجروح.

31 جويلية : معركة شعبة النخلة (في جهة أم الصويغ).

19 أوت : واقعة بن نجمة (قرب ذهيبة) وهو كمين نصبه الثوار لقافلة فرنسية قتل 7من حرّاسها و غنم 100من إبلها.

9 نوفمبر : واقعة أم قرجوم (موقع جبلي قرب الحدود اللّيبية- التونسيّة) انهزمت فيه القوّة الفرنسيّة أمام الثوار القادمين من زوارة.

1918

27 مارس : معركة خنقة مطّوس تمكّن فيها الثوار في معركة ليليّة من انتزاع 150 جمل و قتل من الجاهدين ثلاثة.

أفريل : معركة الأحرش تمكّن فيها المجاهدون من نهب المحلّة الفرنسيّة بالمكان المذكور و قتل أفرادها.

4 - 5 جوان : التعرّض لعربة البريد المنطلقة من ذهيبة ونهبها.

جويلية : ملاحقة عصابتين من "الفلاّقة" الأولى بجبال مطماطة و الثانية في هملية غزو ببئر الحجّاج.

أوت : مهاجمة مركز فرنسي للمراقبة بذهيبة و كذلك قافلة تموين بالخشب تابعة للفرنسيّين.

15 أكتوبر : معركة وادي النخلة (18 كلم في الشمال الغربي لبئر كسيرة) حيث هاجمت حركة من الثوار تعدّ 350 نفز الفرقة الفرنسيّة بالمكان و دامت المعركة 8 ساعات خسر الفرنسيوز فيها 8 قتلى و الثّوار أربعة.

1919

1 جانفي : واقعة الزّلّوزة حيث قتل الدغباجي البرقادي بولو و ثلاثة من أعوانه.

20 مارس : عصابة من الجنود الفارّين تعترض قافلة عربات حول وادي الزاس على الطريق الرابطة بين قابس ومدنين.

29 جوان : غارة قام بها الثوار بمنطقة بئر دراسن خطفوا فيها 109 جمل.

1919 - واقعة خنقة عيشةبقيادة الدّغباجي و بشير بن سديرة، قتل فيها العديد من الجانبين .

1919- عمليّتان مسلّحتان بمرباح القطّاط بين مدنين و توجان قام بهما الثوار.

27 سبتمبر : مشادة عنيفة بين مجموعة من الثوار و القوات الفرنسية بزمّال الماجل بجبال مطماطة.

اكتوبر : تراجع عمليّات المقاومة انطلاقا من طرابلس و ذلك يعود لموقف خليفة بن عسكر الرّافض لعمليات الإغارة و كذلك لتشديد الحراسة على الحدود و فرض تراخيص التنقل على السّكان.

1920

جوان 1920 . : قائد نفزاوة يقوم بعمليّة وساطة بين السّلط و المتمرّدين من بني يزيد لاستسلامهم.

1921

10 جانفي : هجوم قامت به عبر الحدود اللّيبيّة مجموعتان من المتمرّدين بطويل هلال و فزارات (تطاوين) أختطف فيه قطيع من الماعز.

15 فيفري : مجموعة مكوّنة من 40 شخصا من أولاد محمود و بعض المتمرّدين من فزان اختطفت في منطقة طويل سي بلقاسم (شمال غربي ذهيبة) قطيعي ماعز.

27 فيفري : تكوين "دواوير المخزن" بجهة تطاوين لحماية التخوم الجنوبيّة .

فيفري : بعث مركز للمخازنيّة بأم علي بجبال العسكر.

23 جوان :كمين في الزّلط عن طريق رمادة أم الصويغ يقتل فيه إثنان من قومية مركز رمادة.

10-11سبتمبر : سلب عربة البريد شمال فطناسيّة.

17 أكتوبر : تمكّن "جيش" بجهة قبلي من اختطاف 25 جملا على ملك أشخاص من نفزاوة و فرّ نحو طرابلس.

3 ديسمبر : مهاجمة البريد في الطريق بين قابس و مدنين من قبل أربعة متمرّدين مسلّحين بأسلحة حربيّة.

ديسمبر : كمين بوادي الزاس بقيادة بلقاسم بن ساسي قتل فيه عسكريان فرنسيان الأول برتبة مقدّم و الثاني برتبة ملازم.

1922

20 مارس : مجموعة من المتمرّدين تختطف 7 من الإبل المعروف بعرف صالح (تطاوين).

15 أفريل : محاكمة المتمرّد سميدة بن محمد بن خليفة المكني (شهر"بودب") بقابس.

26 جوان : السلط الايطاليّة بطرابلس تسلّم الثائرين محمد صالح الدّغباجي و أخيه عبد الله لجيش الحدود الفرنسي.

7 نوفمبر : الثائر سعد بن محمد فريعس من أولاد شهيدة تسلّمه السّلط الايطالية بنالوت للسّلط الفرنسيّة .

1923

29 مارس : القبض على عبد الجليل بن مبروك المخلبي بقبلي عند عودته من طرابلس وهو متهم في الاعتداء على البريد الذي تم في 12 سبتمبر 1918 بعين غزالة على طريق قبلي قابس.

1935

28 - 29 مارس : صدام دام بين شبان من الحوايا (منطقة جبل دمّر) و قوات الجيش الفرنسي لرفض هؤلاء الخدمة العسكريّة عوض خدمة مخزن الاحتياط وقد أسفر الصدّام على ثلاثة قتلى من بين الحوايا و عديد الجرحى في الطرفين.

I - المقاومة المسلّحة للاحتلال الفرنسي

(1881 - 1883)

تقديم

إن احتلال تونس قد خطّطت له الدوائر الاستعمارية الفرنسية منذ وقت طويل إلا أن تنفيذ هذا المشروع لم يبدأ إلاّ في 24 أفريل 1881 إذ غزت القوات الفرنسيّة البلاد قادمة من فرنسا و الجزائر مدجّجة بأحدث الأسلحة آنذاك من بنادق و مدافع و رشاشات و بوارج حربيّة متطورة و دخلت الجيوش الفرنسيّة التراب التونسي يوم 24 أفريل 1881 قادمة من الجزائر فاحتلت الكاف يوم 26 أفريل ثم طبرقة في نفس اليوم ثم بنزرت يوم غرّة ماي ووصلت قوات أخرى قادمة من طولون ضواحي تونس وفي 12 ماي فرض الجنرال بريار على محمد الصّادق باي معاهدة الحماية ثم تواصل التوغّل العسكري الاستعماري ليسيطر على بقية البلاد.

لكن الجيوش الفرنسيّة الغازية لاقت مقاومة عنيفة في مختلف جهات البلاد و خاصة في الوسط و الجنوب حيث انبرت الفئات الشعبيّة و خاصة الرّيفية و شبه البدويّة منها والجنود الفارّين ، تقاوم المحتل وقد حاولت مختلف العروش و القبائل و بعض فئات المدن المتمرّدة تنظيم المقاومة و عقدت عناصرها القياديّة عدّة اجتماعات (ميعادات) و،تبادلت المراسلات لذلك الغرض . وقد استبسلت المقاومة الشعبيّة في عديد المعارك نذكر منها : معركة بن بشير ، معركة وادي لايا ، معركة الرّوحية ، معركة الحمّامات ، معارك صفاقس وقابس ، معركة وادي الزّرقة... (راجع أهمّ أحداث المقاومة بالوثيقة المثبتة بصدر هذا الكتاب).

كما تجدر الإشارة إلى أن المقاومة المسلّحة للمحتل لم تنته في أواخر 1881 بهجرة العروش الثائرة لإيالة طرابلس بل تواصلت الهجومات و المناوشات عبر الحدود مستهدفة الجيش الفرنسي و القبائل المستسلمة حتى سنة 1883 تقريبا.

إن مقاومة الاحتلال الفرنسي كانت أساسا من قبل الفئات الشعبيّة لكن لا تنفى مشاركة بعض الأعيان خاصة من الاداريين (قيّاد ، خلفاوات ، مشائخ ...) في أعمال المقاومة بواعز وطني وديني و دفاعا على مصالحهم و تخوّفا على ممتلكاتهم ومراكزهم التي يهدّدها النظام الجديد.

أ- تنظيم المقاومة.

1- نداء للجهاد و تمجيد المقاومة

"يا أمة نبينا يا من طالب على الجهاد يجينا
ضامونا الكفّار كان خرتوا فينا العيطة للقهار

* * *

من هاننا الله يهينه ومن باعنا لنصارى
ولا حاز موجب علينا و لا بين فينا دعارة
كل ما طلبنا أعطينا في كل يوم طالق الغارة
من أجل ملة نبينا طقنا أحكام الجسارة
حتى خان و خرّب دينه و دخل سوق الغفارة
وعطى القصبة الحصينة في الكاف عالي أسوارة
وإفريقيّة الأم الحنينة قعدت دشرة قفارة
يا باي تونس نعزّيك في دين بدر تمامه

* * *

بني زيد و الهمامه اثناش فيه
الحرب ليهم من قديم أبطال
(علي بن عمارة) صيد في الترعيّه
(محمد بن هذيلي) بطل م الأبطال
وطن السّاحل فيهم الرجليه
الواحد يلز كبده على الملال
قفصة ونفزاوة و جريديه
مع وعد ربي ما يقد الحال"

شاعر مجهول .المصدر: بلحولة محمد علي، الجهاد التونسي في الشعر الشعبي، مائة عام من تاريخ تونس، 1978، ص ص 58-61.

2 – "حلقات" العروش.

"الحمد لله. السلام لجانب القدر الهمام أمير الأمراء سيدي مصطفى الوزير الأكبر أبقاه الله فقد كنت أعلمت جنابكم بمكتوبنا المؤرخ في 2 شهر التاريخ عدد 402 يتضمن ما بلغني من أن الزيادنة يريدون يجعلون (كذا) حلقة و سألت عن ذلك أحد أعيانهم وأجاب أنّه أتاهم عمر بن المقطوف المثلوثي و أخبرهم بأن المثاليث و السّواسي تخوفوا منهم و طلبوا أن يجعلوا حلقة مجتمع بين المثاليث و السواسي و الزيادنة و الهمامة و يتّفقون بأنّه لا يصدر عيب من أحد إلى أحد منهم ومهمى (كذا) صدر عيب من أحد العروش إلى غيره فيكون جميعهم عليه الخ ما عرفنا بكمكتوبنا المذكور ثم بلغني أن أنفارا من الهمامة و أنفارا من الزيادنة و أنفارا من المثاليث و أنفارا من نفات و أنفارا من بني يزيد جعلوا حلقة وتعاهدوا أن لا يصدر عيب من أحد إلى أحد منهم و أنهم يجمعوا عددا من الخيل و يتوجّهوا لجهاد الفرنسيس و أنّهم ليس لهم كلام مع الدّولة العلية أيّدها الله (...) وبلغني أن أولاد مبارك من أولاد عزيز و أولاد أحمد و أولاد يوسف من أولاد رضوان رحلوا ونزلوا قرب نفات ليكن ذلك بشريف العلم و السلام من فقير ربّه محمد المرابط أمير أمراء عساكر السّاحل و القيروان وفقه اللّه. في 11 رجب 1298 (الموافق لـ 9 جوان 1881) محمد المرابط"

رسالة محمد المرابط عامل القيروان و أمير عساكر السّاحل و القيروان للوزير الأكبر مصطفى بن إسماعيل.

المصدر: أ–و. السلسلة التاريخيّة، ص: 17 ، م: 192 .

3 – تهريب الأسلحة وتمرّد البدو بجهة ورغمّة

"سيدي القائد الأعلى للأسطول الرّاسي بحلق الوادي.

صفاقس في 10جوان 1881.

" (...) لقد غادرت جربة يوم 4 جوان على السّاعة الخامسة صباحا ووصلت جرجيس في الثانية بعد الزّوال (...) لكن بعد ساعتين من وصولنا تغيّرت الأوضاع حيث أنّ العرب تخوّفوا من إرسائنا بالسّاحل و أرسلوا يستنجدون من أعراب الدّاخل حيث وصلتهم نجدة من فرسان ورغمة و قد علمت فيما بعد أنّ إشاعة ذاعت مفادها أنّ الفرنسيّين عند احتلالهم طبرقة قتلوا 500 عربي و إنّ قبائل ورغمة مصمّمة على مجابهة أي اعتداء من طرفنا (...) و عندما عزمنا على اشتراء بعض المؤونة و أغنام أعلمنا الخليفة أنّه ليس من الحذر أن ترسلوا أي شخص للقرية و عندما ألحّ عليه الضبّاط لمعرفة السّبب أضاف أنّه يوجد بها 500 رجل مسلّح و أنّه بريء من ذمّة أي شخص يغادر الساحل فعاد الزّورق للباخرة. وقد أفادني النّائب القنصلي الإيطالي بجرجيس السيد كلمباني (Colombani) أنّ الأعراب قد نصبوا معسكرهم في الداخل مستعدّين للمقاومة و مقتنعين بهجوم وشيك من طرفنا (...)

أما فيما يخصّ تهريب الأسلحة فإن كلمباني يدّعي أن ذلك يقع في جرجيس علنا و أن البارود يصل القرية محمّلا على مركبات مالطيّة تدفع معلوما جمركيا بنسبة 8% رغم وجود عون أنجليزي تابع للّجنة الماليّة لكنه متغيّب أغلب الأوقات (...) و حسب ما جمعته من معلومات فإن عمليّات التّهريب تقع غالبا على هذا النحو: بما أن العلاقات التّجاريّة بين صفاقس و مالطة كثيفة فإنّه كلّما كانت باخرة قادمة من مالطة و تحمل بارودا تعلم مسبّقا صفاقس بموعد وصولها عرض السّواحل التونسيّة حيث تعترضها مراكب في المكان المتّفق عليه و تتسلّم البضاعة و بدورها توزّعها على نقاط استقبال على طول السّواحل في الأثناء يكون المهرّبون من العرب في ترقّبهم يتحيّنون الفرصة المناسبة حيث يدخلون الماء حتى أحزمتهم ويصعدون المراكب و يدفعون ثمن البارود ليعودوا به لليابسة ثمّ تحمّل البراميل على الإبل التي تتوجه نحو الداخل (...)

4 – محاولات تنظيم المقاومة بالوسط.

" الحمد لله

صلى الله على سيدنا و مولانا محمد و على آله وصحبه و سلّم.

"جناب الصّدر الهمام أمير الأمراء سيدي مصطفى الوزير الأكبر(...) فقد كنت عرفت جنابكم بمكتوبنا المؤرّخ في 8 هذا الشهر عدد 435 المتضمن الإعلام بما وقع من خطاب العروش لبعضها في الاجتماع ببلد الجم للاتّفاق على الجهاد مع من يقصدهم من الأجانب و أنّا (كذا) الدّولة العليّة ليس لهم معها كلام الخ. وأعلمكم أنّ التّحليق المذكور بطل بسبب خروج فابورات فرنسيس لصفاقس فتوجّه سي علي بن خليفة لهناك ووجه للعروش بأن تلحقه فمنهم من توجه طوعا و منهم من توجّه خوفا حتى أنّ عامل أولاد يدير توجّه خوفا يوم التاريخ بالغصّب عليه من أهله وغيرهم حتى أنّه رجّعوه راكب على بغلته ووجّهوا لتلحيق حصانه وسلاحه وورد يوم التاريخ مكتوب بن ابن سي علي بن خليفة وعمر بن مقطوف وعدّة أسماء سواسي وبني زيد وغيرهم وبه طابع عمر بن المقطوف فقط خطابه لعمّال جلاص و أعيانهم وكافّتهم و لعامل السواسي يطلبون اللّحاق بهم لصفاقس (...) و السلام من فقير ربّه محمد المرابط أمير أمراء عساكر الساحل و القيروان وفقه الله. في 13 شعبان 1298 (الموافق لـ 30 جوان 1881) الإمضاء محمد المرابط"

رسالة عامل القيروان محمد المرابط للوزير الأكبر مصطفى بن إسماعيل.

المصدر : أ-و. السلسلة التاريخيّة. ص: 17 ، م: 192.

5 – علي بن خليفة يؤكّد على طاعته في بداية الثورة.

"الحمد لله وصلى الله على سيدنا و مولانا محمد و على آله وصحبه وسلّم

الصدرالهمام العماد أمير الأمراء ونخبة أعيان الوزراء جناب المولى الوزير الأكبر سيّدي مصطفى حفظ الله كماله وأدام بحقّه مجده وإجلاله السلام عليكم التام الأتق بعليّ ذلك المقام ورحمة الله تعالى وبركاته والمعروض به عن سامي جنابكم الأرفع الخير قد وافانا أمر عليّ مطاع مؤرخ في 26 رجب وفيه أذنني (كذا) علي جنابه بالإجتهاد في تحريض أهل عملنا على الاشتغال بمصالح أنفسهم و تقرير الراحة بوطنهم وترك كل ما يعود بالضرر عليهم و أمر أيده الله بخلاص المطالب الخ ما ظمنه (كذا) الأمر المطاع مصحوبا بعزّ مكاتبتكم (كذا) مؤرخين بالتاريخ المذكور وما عرفتهم بانفصال النازلة الحاليّة مع الدولة الحبيبة الفرنساويّة على الوجه الذي تقتضيه المحبّة و أنّ جميع ما يبلغ فإنّه لا أصل له و أن نستعمل الحزم على تعاطي الأسباب الموجّهة لتقرير الراحة بالعمل ومنع الاجتماعات و عدم مدّ اليد من إفساد خيط التلغراف الخ ما تضمّنته المكاتيب المشار إليها وعلمناه والذي أعرف به سعادة جنابكم هو أنّي لا زلت عن حزم تام في تمهيد الراحة و على الإقبال على تعاطي أسباب العافية وكف السفهاء عن مدّ اليد إلى ما يثير التشويش طبق ما تكرّر من صدور الإذن الأكيد حيث لا يخفى مجدكم أمور العروش لإشاعة الأقاويل الرائجة و نحن باذلون الجهد لما ينافي للأخبار الفاشية خشية أن يفشي على ذلك ما يخل بعموم الراحة وما لنا رغبة إلاّ سعي العافية التامّة التي نحمدوا عاقبتها بوجود مولانا ولي النعم ربنا يبقيه وأمّا من وقائع إفساد التلغراف فإن أهل عملنا بعيدون بالنزول من ساحته فيجب على عامل صفاقس و خليفة الأعراض أن يعملا جهدهما على حراسته وعدم إفساده فإنّ ذلك بتراب عملهما ونحن ننبّهوا على مشائخ عملنا ليحذّروا اخوتهم أن لا يقربوا ذلك وعليه قد وردت لنا مكاتب متعدّدة وتلغرافات في التأكيد التام لعمل بذل الجهد على كفّ اليد لما يعطّل التلغراف من سفهاء العروش مع السعي للعافية و الهناء التام و حينئذ تكاثرت وقائع إفساد ما ذكر فظهر لنا الآن أن نستدعي لحضور أعيان بعض العروش لنحذّروهم الحذر الأكيد لكي يحصل به دوام العافية للوطن إن شاء الله تعالى وينهوا إخوتهم عن إفساد خيط التلغراف ويحذّروهم عقوبة ذلك و الله المسؤول أن يكون في عون ما يجلب للمصالح و السيادة على أكمل حال و المطلوب من

الله سبحانه أن يبقى لنا وجود المعظم الأرفع مولانا وسيّدنا دام عزّه وعلاه ووجود السيادة على أحسن حال و أتم منوال و إليه يحرس مجدكم ويديم في بقاء العزّ حظكم و السّلام من خديكم غرس إحسانكم مقبّل يديكم الفقيرلربّه علي بن خليفة عامل نفات كان الله للسيادة وكتب في 1 شعبان الأكرم من سنة 1298 (الموافق لـ 29 جوان 1881)"

رسالة علي بن خليفة عامل نفّات إلى الوزير الأكبر مصطفى بن اسماعيل

المصدر: أ-و: السلسلة التاريخيّة. ص: 215 ، م: 307 .

6 – علي بن خليفة يبرّر أعمال المقاومة.

"الحمد لله صلى الله على سيّدنا محمد و سلّم

خلاصة الأوحد الهمام الأفخم أمير الأمراء سيّدي محمد البكوش المكلّف بعمل الساحل حرس الله كماله آمين السلام عليكم ورحمة الله و بعد فقد بلغنا الأعزّ كتابكم المؤرخ في 14 شهر التاريخ يتضمن أنّه المعلوم المقرر في كتاب الشريعة المطهّرة على صاحبها أفضل الصلاة و أزكى التحيّة الوقوف عند أوامر الشرع ونواهيه إذ هي الكفيلة بمصالح العامل و الأجل وقد بلغكم عن أخبارلم يحصل بحضرتكم القطع بصحتها حيث كانت منافية وما عقدته الدولة السامية من الشروط مع دولةفرنسا إنّها هي شروط ودادية لا يترتّب عليها ما يوجب التغيير الخ ما به علمناه و الذي أنهيه لجانبكم أبقاكم الله أن العهود الواجبة في ذلك أحقّ بها جناب سيّدنا المعظم دامت معاليه ثمّ رجال دولة لأنّهم هم المسؤولون عن رعاياهم ولا يصحّ بمثلهم صحّة ما بلغكم عنّا وإدارتنا مع مولانا المعظم موقوفة على الأمر والنّهي في أدنى شيء و خصوصا في مثل هذا الأمر وقد كنّا بذلنا المجهود في قطعه عن اتصال الأوامر العلية إلينا في ذلك و تحقّق لنا بأن النّازلة الحالية بين سيّدي المعظم و دولة فرنسا انفصلت بعدما وقع التشويش بأهل البوادي من الأخبار الواردة من أهل إفريقيّة وما حلّ بها و بالبلدان التي بنواحيها كالكاف والجبل وباجة وطبرقة من دولة فرنسا المذكورة بقصد ما بلغنا الساعة ذلك عند العامّة عملنا الجهد في تمهيد الراحة و عدم التشويش طبق ما صدر به الإذن العلي و حصلت الراحة التامة حتّى إن كان في 4 شهر التاريخ بلغنا مكتوبا (كذا) من أهالي مدينة صفاقس يتضمّن أنّه حلّ بهم عدد 9 شقوف فرنساويّة وأشاع بالمدينة من رعاي الفرنسيس القاطنين بها أن حاكم الشقوف المذكورة يشترط شروطا تخالف الشريعة المطهّرة وتشمل الشروط المذكورة الحاضرة و البادية و أشاع هذا الخبر عند أهل البوادي فسعينا في نفيه إذ ورد إلينا مكتوبا ثاني من أهل البلد المذكورة أن الشقوف المذكورة ألحقت الحرب القوي على البلد و أنّهم لا طاقة لهم بمراجعة هذا الأمر واستغاثوا بإخوانهم المسلمين بالإعانة لهم وتحركت الغيرة الإسلاميّة واجتمعت العروش متوجّهين لصفاقس فصحبناهم لمصلحة فوجدنا الأمر طبق ما ذكر وقد كنّا نتعهد من مولانا المعظم الحلم و المكارم و الشفقة على رعاياه وقد كان في الماضي إذا حدث أمر بأطراف الإيالة يوجّه له خدّامه النصحاء من الإسلام ويزيلوا ما أحدث

من أي أمر كان وهذا من شفقته ورأفته على رعاياه أدام الله بقاه و حين باشرنا ما هو موقوع (كذا) بأهل صفاقس استعضمنا ذلك قبل التحذير و النّهي وأنشدنا المعظم ورجال دولته موجودين ورعاياهم أمّة إسلاميّة يقتدون إليه ويصلّون على نبيّه صلى الله عليه وسلم ويدعون لمولانا بالنصر ودوام البقاء و عباد الأوثان يرجمون رعاياهم بمصائب لا تطاق مع أن المصابين بما ذكر تحت أمره ونهيه و حينئذ يليت أمري ما جواب ساعة الوقوف بين يدي الله جلّ وعلا فهذا الأمر الذي حيّر التحيير و التشويش بعد تمهيده و حيث ما كانت العامّة باشرت هذا الأمر عيانا لا تمكن الراحة إلاّ بإبطال الحرب نرغب علمي (كذا) جنابكم سيّدي أبقاكم الله بذل مجهودكم وصرف عنايتكم في إبطال الحرب لعلّ أن يكون إنقاذ هذه (الأمّة) الإسلاميّة على أيديكم ولا يعيركم أهليّة لهذا وسيجري الله الصالحات على أيديكم ولا زلنا سيّدي دائمين على العهد لمولانا ولي النعم وكلكم سيّدي في غنى عن التّعريف و لا يطرق (عبارة غير واضحة) و المعظّم قدركم أمير الاي علي بن خليفة عامل نفات وفق الله الجميع و كتب في 17 شعبان سنة 1298 الموافق (لـ 9 جويلية 1881)"

رسالة عامل نفّات علي بن خليفة إلى محمّد البكّوش عامل السّاحل

المصدر: أ-و السلسلة التاريخيّة. ص: 215 ، م : 300

7 – عامل السّاحل يدعو علي بن خليفة للطّاعة.

"نسخة من جواب إلى سي علي بن خليفة عن مكتوب

"الحمد لله

صلى الله علي سيّدنا و مولانا محمّد و آله وصحبه و سلّم

الموقّر الوجيه الأنجب الآلاي السيد علي بن خليفة عامل نفات حرسه الله تعالى السلام عليكم و رحمة الله وبركاته وبعد فإنّه بلغني كتابكم المؤرخ في 17 من شهر التّاريخ وسرّني ما ذكرتموه من حسن نيّتكم وإقامتكم على طاعة وليّ أمرنا سيّدنا و مولانا وعصمة ديننا ودنيانا أدام الله نصره كما ساءني ما أشاعه أصحاب الأغراض ممّا ذكرتموه من أنّ حاكم الشقوف الفرنساوي يشترط شروطا تخالف الشريعة المطهّرة تشمل عمل صفاقس و أهل البادية وعلمت جميع ما ذكرتموه و أنّي أقسم بالله الذي لا إلاه إلاّ هو أن عقدة الشروط لا وجود لها و لا أصل لها و أنّي (كذا) أشاع ذلك الخبر ليس له قصد إلاّ مضرّةعقدة المملكة و أهلها ثمّ إنّ ما بلغكم من أهل صفاقس بأنّ عدة شقوف فرنساويّة أرست بمرساها فلم يكن لذلك الخبرأصل في مبدإ الأمر وإنّما أولائك النّاس وقع لهم الغرور من أصحاب الغايات و غفلوا عن عاقبة الأمر. فتسبب عليه ذلك الرّدع و هو في الحقيقة إعلان بما تؤول إليه العاقبة وإلاّ فالأمر أعظم لولا حلم مولانا دام عزّه وشفقته على رعاياه و لا أخالكم تغفلون عن هذه الجزءيات أو تجهلون حال المدافعة إن لم يصل تلاقي من أهل الدراية لإنقاذ أولائك الناس ومن كاتبت الدّولة أعزّها الله تعالى بما تضمّنه مكتوبكم من التنصّل عمّا أشيع عنكم و أرجو بفضل الله ثمّ بمكارم مولانا أيّده الله غض الطّرف و المقابلة بالحلم كما تعهدون أنتم و سائر الأهالي إذ شفقته و رأفته على من قلّده اليه أمرهم لا يجهلها فرد من أفراد النّاس لاكن نركّز عليكم في حسم هاته المادّة وكفّ أولايك (كذا) المساكين على جلب ما لاقبل لهم به حيث من لا تبصّر له بعواقب الأمور لا يدري مصالح نفسه و لذلك يتأكّد على أهل الحزم بثّ النّصيحة و أنتم أولى بها وأحرى و ليصل إليكم مع هذا الرائد التونسي المضمّن به الشروط المذكورة و منه يتبيّن لكم حقيقة الأمر و خلاف ما وقعت به الإشاعة و إنّي الآن ننتظر منكم التّعريف بالإقلاع عمّا أوجب التّحيير و جلب المضار والله الهادي لا ربّ

سواه و دمتم بخير و السلام من الفقير إلى ربّه أمير الأمراء محمّد البكوش عامل الساحل عفي عنه في 18 شعبان الأكرم سنة 1298 (الموافق لـ 10 جويلية 1881) "

رسالة عامل الساحل محمد البكوش إلى علي بن خليفة.

المصدر: أ-و. السلسلة التاريخيّة، ص. 215 ، م: 307 .

8 – الوضع العام بالبلاد في أوّل سبتمبر 1881 .

"منّوبة في 3 سبتمبر 1881

"من الجنرال لوجرو قائد جيش الاحتلال إلى الجنرال قائد الفيلق التّاسع عشر بالجزائر إن وضعيّة القبائل السياسيّة بالمملكة رديئة وقد كتب لي من سوق الأربعاء أنّ مراسلات كثيفة تتبادل بسوق فرنانةبين قبائل خمير و سكّان الجنوب (...) وحول ماطر تذكر عديد عمليّات سطو مسلّح و سرقات.

في الكاف يتناقل السكّان أخبارا غريبة روّجها أناس قدموا من تونس مفادها أن ثماني بواخر تركيّة أنزلت بالسّواحل الطرابلسيّة عساكر رغم وجود أسطولنا ويتردّد كذلك أن حدودنا في الشّرق الجزائري غير محميّة و أن الجنود الفرنسيّين مرّضا أو قتلوا ولا حول لهم ولا قوّة.وقد اجتمع يوم 17 أوت بسبيطلة الهمامّة و ماجر و الفراشيش و أولاد عيّار ليتشاوروا للقيام بتحرّك شامل. انتهت المحادثات بمشاجرة بين الهمامّة و أولاد عيّار قتل فيها ثلاثة من هؤلاء و جرح همّاميان.

وأعلمني اليوم الكولونال دولاروك (De La Roque) أن حرائق غابات و أحراش تحيط بالكاف. وبين الأربعين و حمّام الأنف أجبر المقدّم كرّيار (Corréard) على محاربة قبائل السّاحل و أرياف القيروان (...) و من جهة أخرى يغير الفرسان المتمرّدون على المسافرين وينهبون الهناشير ويصلون حتى أبواب العاصمة.

في الجنوب تزيد الدّعاية الدينيّة من حالة الهيجان ويعلن الأهالي أنّهم على استعداد لمهاجمة صفوفنا(...).أما في تونس فإن حكومة الباي لم تعد تمارس البتّة لا المراقبة و لا حفظ الأمن حيث يدخل المتمرّدون المدينة ويتزوّدون بالبارود ويغادرونها.

خلاصة الأمر أن البلاد ملتهبة و أن ثورة عامّة تهيّأ و أنّ الأهالي بدون استثناء معادون لنا و لا يمكن أن نعوّل إلاّ على أنفسنا."

تقريرالجنرال لوجرو (Logerot) (3 سبتمبر1881)

(Q.O.322, S.C.P., C.62, D.1, f f.194- 195).

(و خ ف 322 ، س م س، ص 62 ، م 1 ، وو 194 – 195)

9 – مقابلة ثوّار الجنوب لوالي طرابلس وثورة منزل قابس.

"الحمد لله وحده

و صلى الله على سيدنا محمد و آله وصحبه وسلّم.

"جناب الصدر الهمام العمدة الأفخم أمير الأمراء سيدي محمد الوزير الأكبر(...) وبعد كنت أعلمت جنابكم الرّفيع في مكتوبنا المؤرّخ في الشهر المنصرم 30 أن السيارة قدموا الخ و الذي انهيه لسعادتكم أن يوم الإثنين 1 فاتح حجة الحرام أخبرنا الشيخ القاضي أن عشية أمس توجه إلى بلد شنّني واستوعب الأخبار التي أتوا بها السيارة المذكورين فكان مما أخبروا به أنّهم قابلوا والي طرابلس وبلّغوا له المكاتيب وبثوا ما هم بصدده مشافهة وهو يشيرُ عليهم بتحريك رأسه و لم يجاوبهم ولو بكلمة و لم يرجع لهم ضد المكاتيب وأيضا تلاقوا بأمير العساكر هناك و أعلنوا له سبب قدومهم لأجل تأخير النصرة عن القدوم لهم فذكرهم أنّه لم يصدر الإذن من الباب العالي في ذلك ولكن منتظرون قدوم زوج باشوات من الأستانة حرسها الله للمكان وبعد قدومهما يظهر ما يكون وأخبروا أيضا أن محلّة بها قدر 500 من عسكر ترك ومعها عرب الصّيعان تجاوزت الحدادة و الآن مستقرّة بمكان يقال له المعيد (المعيز؟) ذمن (كذا) العمالة التونسيّة بوطّن ورغمه و أرسلها أميرها إلى عرب ورغّمه فقدموا له و الآن نازلين بحزوة و كذلك كاتب عرب الودارنة بالقدوم له وأجلهم عن الأيام 3 فأجابوه أنّهم يقدموا وأخبروا أيضا أن العساكر و المهمّات بكثرة فمن جملة ذالك أنّهم وجدوا الفين خباه منصوبين بأجزاء طرابلس وذكروا أنّ ما بين طرابلس وزوارة سبعة أمحال وهذا اختصار مما أخبروا به وأتوا بأيديهم نسخة جوايب تاريخ في 24 شوال المبارك وبها مدح في علي بن خليفة ومسمّى المنصور و أنّهم وجّهوها إلى سي علي المذكور في الحين وأن جميع ما قرّر أعلاه أخبرني به الشيخ المذكور و أنّ هاته الأخبار المفنّدة التي لا أصل لها يخترعونها رؤساء المفسدين حتى تظهر كأنّها حقيقة عن الرّعيّة خوفا من أعراضهم عنهم وليكونوا يدا واحدة في البغي و العصيان ونعلم حضرتكم هو أنّه في يوم 1 المذكور وقع طلق البارود بحب الرّصاص من بلد المنزل عل العساكر بجاره فكافوهم العساكر بطلق البارود فصادفوا رجلا من أهل المنزل فمات من حينه و لا زالوا يطلقون البارود من المنزل على العساكر بجاره ليلا ونهارا أمس التاريخ وفي عشيّة يوم الجمعة الفارط أطلق السنيور متولي العساكر بالمكان عدد 8

يونبات على بلد المنزل وحواليها و هذا ما عندنا وما يقع بعد تعلم رفيع جنابكم ودمتم ودامت معاليكم و السلام من معظم قدركم الأسمى مقبل أيدكم الكرام فقير ربّه أمير الأمراء حيدر باشا آغا المكلّف بالأعرض وفقه الله. في 7 حجة الحرام 1298 (الموافق لـ 31 أكتوبر 1881)"

رسالة من عامل الأعراض إلى الوزير الأكبر محمد خزندار.

المصدر أ-و. السلسلة التاريخيّة، ص: 215 ، م: 300 .

10 – ردّ العروش بجهة الكاف وسليانة إثر احتلال صفاقس.

"الكاف في 5 أوت 1881.

سيدي الوزير.

"يشرّفني أن ألخّص لكم المعلومات التي وصلتني منذ تقريري الأخير. إنّ أهل ماجر بعد أن استدعوا ورتان للاجتماع معهم على أرضهم يوم السبت 30 جويلية لم يحضروا الموعد حيث انصرف الورتانيّون غاضبين. هذا وقد تمّ سوقهم بالقصور أول أمس مجدّدا بعدما هجر منذ أسابيع. وقبل الإقفال قدم علي بن عمّار قائد شرطية أولاد عيّار وهو يحلم أن تعترف بصفته تلك العروش المجاورة وقد عرض رسالة من علي بن خليفة يعلمه فيها بوصول قوات تركيّة لطرابلس ليوم الثالث عشر من رمضان ويسأل عن الأماكن التي يوجد بها ماء على طريقها نحو الشّمال.

وقد وعد عدد من الحاضرين بتقديم المعونة اللازمة وخيّر الآخرون اتّباع نصائح سي أحمد بن سالم الورتاني المستقر بالحاضرة والذي أشار عليهم بالانصياع للأمر الواقع. إذا فإن أهل ورتان منقسمون إلى شقّين كذلك أولاد عيّار الذين تبادل صفّاهما عيارات ناريّة. أمّا أولاد عون ودريد والفراشيش فلا حديث عنهم كما أن عدد المتمرّدين في تراجع سريع وهي نتيجة متوقّعة بعد الاستيلاء على صفاقس واحتلال قابس وجربة."

رسالة النّائب القنصلي بالكاف روا Roy (5 أوت 1881)

(Q.O. 321, S.C.P., C.61, D.1, f f. 109)

(و خ ف. 321 ، س م س، ص،61 م 1 ، و 109)

11 – موقـف الجنود التونسـيين في معركة الأربعين

"منّوبة في 8 سبتمبر 1881 .

" من اللّواء لوجرو (Logerot) قائد فرقة الاحتلال إلى السيد وزير الحرب.

"إنّ موقف الجنود التونسيين قد تطوّر من سيّئ إلى أسوإ . إنّهم يهربون بالجملة و أكثر من ذلك يخونوننا و يديرون أسلحتهم ضدّنا .وتأكيدا لما أدّعيه أقدّم لك سيدي الوزير الوثائق الدّالة:

– الوثيقة الأولى : رسالة الوزير المقيم بتونس بتاريخ 2 سبتمبر التي يذكر لي فيها وباعتراف الحكومة التونسيّة نفسها أن نصف الجنود التونسيّين تقريبا الذين هم تحت إمرة الكولنال التونسي سي الطّيب المسموري فرّوا وحاربوا في صفّ العدوّ رتل كرّيار ئ(Corréard) .

– ثانيا: نبذات من تقرير المقدّم فيّو (Villot) بتاريخ 2 سبتمبر. هذا الضّابط الذي يتكلّم العربيّة و كان شاهد عيان يبرهن دون مدعاة للشكّ على خيانة عساكر الباي حيث يذكر أن جنودنا في معركة الأربعين قد هوجموا من فرقة زواوة تتقدّمهم رايتهم(...).

– ثالثا: فقرة من رسالة الجنرال صباتيي (Sabatier) مؤرخة في 6 سبتمبر يؤكّد فيها أن أحد الضبّاط التونسيّين قائد لثلاث مائة زواوة صرّح له أنه لا يتحمّل تصرّفات رجاله ولا يتحكّم فيهم.

– رابعا : رسالة برتلمي(Barthelmy) قائد كتيبة مجاز الباب التي أتى فيها أن الضبّاط يشهدون أن معسكر الباي عند مروره بالمجاز اقترف عديد التعدّيات.

مثلما ترون، سيّدي الوزير، فإن العساكر التونسيّين ليسوا فقط بدون فائدة بل باتوا يشكّلون خطرا. من جهة أنهم لا يقاومون المتمرّدين و من جهة ثانية يثيرون السكّان بالمناطق التي يمرّون بها لما يقومون به من ابتزازات و مظالم متعدّدة(...) ورغم ملاحظاتي المتكرّرة لحكومة الباي لوضع حدّ لهذا الوضع لم يتّخذ أي إجراء من شأنه أن يعيد الانضباط و النظام(...).

هذا وإنّ القبائل المتورّطة أكثر في التمرّد مثل جلاص وأولاد سعيد و السّواسي و المثاليث وغيرهم تستمدّ جرأتها و إقدامها من نواة الجنود الفارّين التي ما فتئت تتضخّم(...).

تقرير الجنرال لوجرو (Logerot)" (8 سبتمر 1881)

(و خ ف 322 ، س م س، ص 62 ، م 1 ، وو 196 – 197)

12 – صـــدى احتـــلال تـــونس

"عام كذّب، عام اخبار عام نـذايرْ عام اللّي بات الوطن كامـل حائـر

* * *

عـــام رْوامـــــــهْ عام تسعة و تّسعين عـــام يتـامى

عام شاب مولْود انولد في عامه عـام انكفخْ مـن كـان ليـه دْبـاير

عام غيّبوا الأتراك و العلاّمـه عـام ان غدا عظم الحبيـب نشـايـر

* * *

عـــام الفـــــــدّه عام وطـنّا وقعـت عليـه الهـدّه

عام انْ بدوا الاجواد هـزّه وردّه عـام ان ملـك الاعراض كلـب درايـر

عام بُضعْ كاسه مُر ما يتعـدى عـام ان حبيب العزّ عنّي غـايـر

* * *

عـــــام مْحلـــــّه عـام اللّي فيه الوطن خـاض بْكلّه

عام (نيقرو) خش الجنوب احتلّه و نـصّب عليه الكفر حكمـه جـاير

عام ان لقوْا الاحرار فيه مـذلّه شيْ قـدّره الرّحمان هكـّه صـايـر"

الشاعر: عبد الله بن علي المرزوقي (استشهد سنة 1917).

المصدر: المرزوقي محمد، *صراع مع الحماية*، دار الكتب الشرقيّة، تونس،1973 ص. 127

ب - المعارك والقوى المتقابلة

خريطة مواقع المقاومين والقوات الفرنسية يوم 20 ستمبر 1881 .

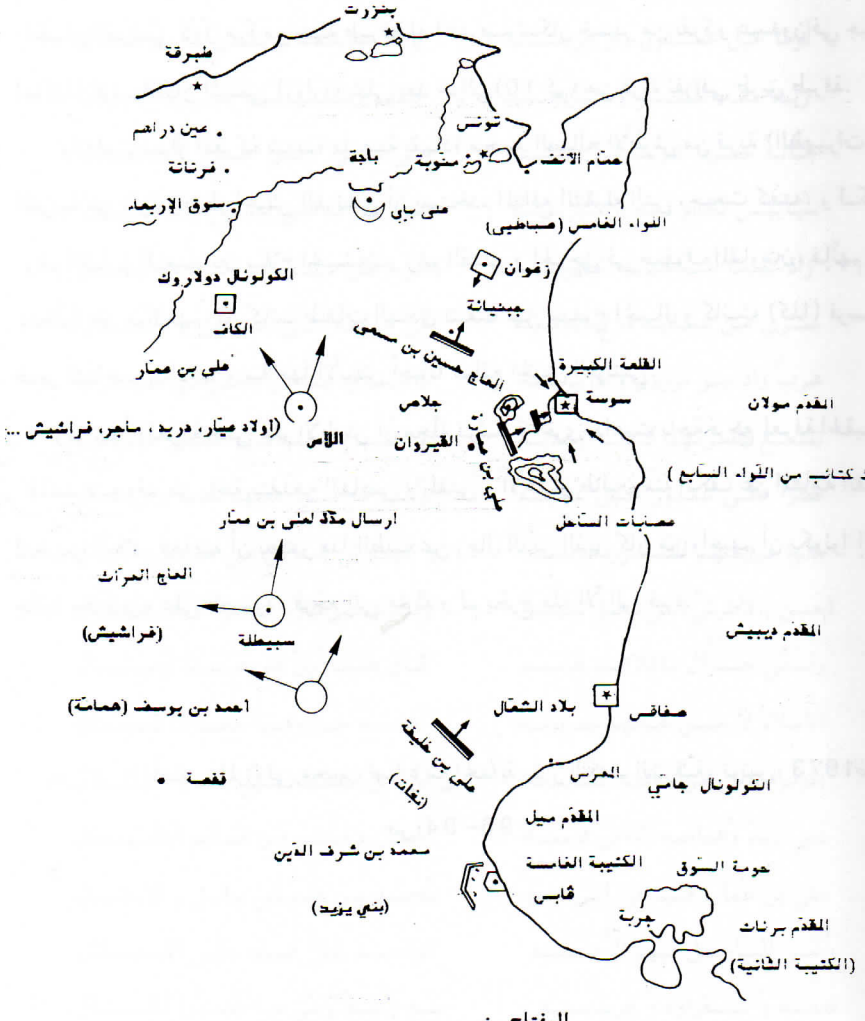

المفتاح :

- : حاميات فرنسيّة بالمدن المفتوحة.
- : قوات فرنسيّة مهاجمة.
- : معسكر علي باي.
- : محاصن المقاومين.
- : مواقع تجمّع العروش الثائرة.
- : إتجاه الهجومات.
- : محاصرة المقاومين لقابس .

مخبر رسم الخرائط كلية الآداب منوبة

13 - معركة خمير

" كانت أوّل معركة بين الجيوش الغازيّة و بين التونسيين هي معركة جبال خمير عندُدخول الجيش الفرنسي لأوّل مرّة من جهة طبرقة إذ اعترضه سكان خمير من نفزة و عمدون في جبل (ماكنة) قرب المكان المسمى (زوارة) على بعد حوالي(10 كم) من قرية نفزةفي طريق طبرقة.

واندلعت نيران المعركة شديدة ملتهبة بقيادة محمد الصالح الأطرش من قرية (الظهيرات) القريبة من نفزة واضطر الجيش الفرنسي أن يستخدم المدافع الثقيلة التي رجحت كفّته، و لكن رغم الفارق البعيد بين سلاح الجيشين،و رغم القتلى و الجرحى في صفوف المقاومين، فإنّهم لم يتخلّوا عن مواقعهم، بل كانت طلقات البنادق تنبعث من سفوح الجبال و كانت (كذا) فرسان خمير تهاجم ببنادقها و سلاحها الأبيض أحيانا مواقع الجيش الفرنسي.

ولم تهدأ المعركة حتى علم الأطرش أنّ محلّة فرنسيّة أخرى داهمت باجة فرجع لمعرفة الحقيقة فاعترضه وفد من باجة يتقدّمه القاضي و المفتي و الأعيان طالبين منه الكف عن المقامة اتقاء لتخريب البلاد ، فغاضه أن يصدر هذا الطلب عن رجال الدّين الذين كان من واجبهم أن يكونوا إلى جانبه يحرّضونه على الصمود ، فرجع إلى منزله و لم يخرج منه إلاّ إلى قبره."

- المصدر: المرزوقي محمد، *صراع مع الحماية*، دار الكتب الشرقيّة، تونس، 1973ص ص:94 -96 .

14 - معركة خمير في الشعر الشعبي

يا سامعني لاش تنشد فيّ ... واسمع قُولي كان قُلتو عال
تلقاش فيه عتاب و الا ليه ... و الا كلمة خاطية المثال
لُوما جبل عمدون دار مزيه ... و الا غدينا ريش علْ شعّال
زيد معاه خمير و الشّيحيه ... جبلهم وْعرْ ما يسكنه ذلال
جاتهْ جنود الفرنسيس دْبيه ... حتّى اليهود ركبوا على ألابغال
سْباييس تخدم فيه بالشّهريه ... من عينْ ماضي لسوحْ وادْ هلالْ
زاد بْعث للنّاحيه الظّهريه ... من وطن سيدي غريس جُوه امحال
سْرى من عنابه فْزع باليه ... من قلعة بني عبّاس و الختّال
عربْ واد بو مرزوق و دْزيريه ... و سوق هْراس يجي في المنزال
تسمع طْبولهم كنها رعديه ... و امّا العساكرع الخنق عْطال
حطّوا على عمدون ضيقْ عْشيه ... وْهُم هجموا عليهم نْسا و رجال
خلّوا فرايسهم للنّسور هديه ... و الهوش ياكل في لحوم الارْذال
(حسن بالاطرش) في الجبل تبيّا ... وْقالهم غْدوه كمّلوا الْ مازال
ولّى جنرال ناقلاته هيه ... قال هاذُونْ فورصه وْهبال
الاسلامْ لا من عانهم بسرّيه ... الجنّه حازوها مشاتْ قْدال
يْلوموا على منْ يطلب المشليه ... وْ يسلْ سيفه فني العدوْ حلال
بْني زيدْ وْهامه اثناش فيه ... الحرب ليهم من قديم أبطال
علي بن عْماره صيد في التّرْعيه ... مْحمد بن هْذيلي بطل م الابطال
وْطن السّاحل فيهم الرُّجليه ... الواحد يلزّ كبده على الملال
قفصه وْ نفزاوه وْ جريديه ... مْع وْعدْ ربّي ما يْقدُّوا الحال
إذا قدّر ربّي شورْ كل ثنيه ... يْجي صاحب المعروف و الأعمال
تْجينا نُصرة م البحرْ عتريه ... نْبشّركم يا سا مْعينْ الفال
تفرح النّسوان و الذّرّيه ... وْتطفا شيعة الكفر و المحال

شاعر مجهول المصدر: المرزوقي محمد، صراع ...مصدر سابق. ص ص. 120 - 121

15 - معركة بن بشير (30 أفريل 1881)

"لطمأنة السّكان و لحملهم على ملازمة دواويرهم أمر الجنرال لوجرو (Logerot) طابورا عسكريّا بالتّوجه من سوق الأربعاء على السّاعة الخامسة صباحا نحو تراب قبيلة أولاد سالم (...) و قد وصل محطّة القطار بن بشير على السّاعة السّابعة والنّصف و قد لوحظ بعض الهيجان على يسار المحطّة في دواوير الشيّاحيّة فتوجّه إليهم القبطان هيمان (Heyman) لطمأنتهم فاستقبلوه بالرّصاص، و كانت السّاعة الثّامنة آنذاك. فأمر القبطان هرفي (Herve) بأخذ المواقع للقتال(...) تقدّمت الكتيبة الثّالثة محاولة الالتفاف حول مرتفعات أحد الوهاد كان يحتمي بها حوالي 200 من الشيّاحيّة و عند رأس المنخفض وجدت نفسها وسط تجمّع كبير لم تستطع إزاحته من موقعه إلا بعد ساعة من الصراع (...) لكن عاد الشياحيّة للتمركز من جديد خلف سلسلة من الذّرى (...).

كانت السّاعة العاشرة صباحا و كان الفيلق أمام 3000 عربي فقرّرالكولونال هرفي التّموقع هنالك حول الواد و ترقّب المدد (...) و قد وصل لمحطّة بن بشير على الساعة 11 القنّاصة والخيّالة و توجّهوا توّا لموقع المعركة (...) في الواحدة بعدالزّوال أوقف الزّواف إطلاق الرّصاص حيث انسحب الشياحيّة و عمدون يطاردهم الخيّالة و القنّاصة و كعادتهم حاول الأهالي إعادة الكرّ لكن صدّتهم قنابل الكتيبة (...) و كانت الخسائر مقتل رجلين من فرقة الزواف و رجل من الخيّالة و جرح أحد القوميّة و خسارة 8 من الخيل و في جانب العرب 150 قتيل و أسفرت الغارة على الدّواوير على غنم 1500 رأس من الماشية و عديد البغال و الخيل و الحمير."

" - Belhomme- الكمندان بلهوم

(S.H.A.T.. /S.272,S/ S 2HT. C.2H.32, f f.63- 66)

(م ت ج ب S 272 ، س 2HT، ص 2H32، وو 63 - 66)

16 – الأوضاع في جهة باجة ومقعد في ماي 1881.

"الجديدة في 24 ماي (1881)، السّاعة 6 و 30 دقيقة مساء.

"إنّ بعض خلفاء دوائر ماطر وشيوخها قدموا معسكر الجنرال موران (Mourand) ليُعلنوا خضوعهم و يؤكدوا عاليا طاعتهم لأوامر الباي الذي يطالبهم بعدم فعل أي عدوان ضدّنا. إنّ أهل مقعد مازالوا متمرّدين و إنّه في 21 ماي تعرّضت دوريّة من الفرسان لنيران أسلحتهم و في نفس اليوم قتل أحد القنّاصة بدوريّة من عيارات قدمت من جهة برج سعادة إنّه من الثّابت إذا أنّ كامل المنطقة الواقعة بين وادي جُومين الأسفل و طريق برج سعادة ووادي جغل هي معادية لنا.

كما أنّه يوم 23 استقبل الجنرال موران وفدا آخر من عشرة شيوخ عن عروش بجاوة و طريق برج التلّة عبّروا عن استسلامهم و صداقتهم للفرنسيين(...)"

رسالة الجنرال بريار(Bréart)

(Q.O.319, S.C.P, C. 59, D1, f.80)

(وخ ف 319 ، س م س، ص. 59 ، م 1 ، و 80)

17 - مهاجمة مقر الشركة المرسيليّة بالنّفيضة

(21 ماي 1881).

"(...) قرابة الخامسة صباحا قدمت من كل جهة عصابة من الأهالي (حوالي 200) مسلّحة تدعمها مجموعات أخرى التحقت بها و توجّهت نحو مقرّ القائد السّيد حفيّظ بن الشيخ الذي كان مخيّما على بعد 500 متر من مسكننا (...) و بعد وقت قصير قدم إلينا القائد في زيّ كولنال يصحبه عشرون من الزّعماء و قد سرنا في استقبالهم حيث أعلمنا الوالي أنّ خبرا ذاع مفاده أنّ مقرّنا يحتوي على أسلحة مما هيّج القبائل و طالبنا بالسّماح للشيوخ بتفتيشه. وقد فتّش المقر في كل زواياه و حتى الحشّيات و الإسطبلات و في أثناء ذلك غزى المنزل جمهور من الأعراب لم يتمكن القائد من إخراجهم و الذهاب بهم عنده إلاّ بجهد جهيد(...) . و مرّة ثانية قدمت عصابات مسلّحة خلعت باب مقرّنا و تسوّرت الحيطان واستولت على الخيل في الإسطبل و قد حضر القائد عديد المرّات حائلا بيننا و بين أسلحة المتمرّدين معرّيا صدره و متوجّها لهم بقوله: ‹‹قبل أن تنالوا منهم يجب أن تمرّوا أوّلا علـــــى جسدي(...)›› و قد جرح أحد الأهالي في صفّنا بضربة سيف وأعتدي على عدد آخر بالعصي كما نهبت كل مؤننا وحوائجنا و قلّعت كل الأشجار الجديدة الغرس و حطّمت النّوافذ(...). إنّ فرقة أولاد عمّار هي التي ساهمت أكثر من غيرها في هذه الفوضى (...) لذلك أخذنا كلّ احتياطاتنا و أرغمنا القائد على مصاحبتنا وانطلقنا حوالي العاشرة ليلا نحو تونس(...)"

تقرير ممثل الشركة المرسيليّة منجيا فيكي (Mangiavachi)

(Q.O. 319, S.C.P., C.59, D.1, ff. 53- 57).

(و خ ف، 319 ، س م س.، ص 59 ، م 1 ، وو. 53 - 57)

18 - تخريب خطوط الهاتف

تونس في 17 جوان 1881.

سيدي وزير البريد و التلغراف بباريس.

إنّ الأضرار الملحقة بخط التّلغراف بجنوب تونس ما فتئت تزداد بصفة مهولة (...) في 31 ماي قطع الخط في ثماني مواقع بين تونس و سوسة و نزع 30 مترا من الأسلاك و إن الأخبار الواردة تحمّل مسؤوليّة هذه الأفعال للجنود الفارّين الذين يأملون الإفلات من الملاحقة. و في الليلة الفاصلة بين 8 و 9 من الشهر الجاري وقع قطع بين المهديّة و صفاقس و في 10 منه (على الساعة السادسة مساء) وقع نفس الشيء في برج الجرف حيث نهب الودارنة محل الحارس بعد تهديده في المرّة الثانية منذ شهرين يحدث فيها نفس التّخريب و في نفس الظروف. وباقتراح منّي صدر أوامر لقابس لنصب مركز حراسة على نقطة ربط التلغراف يحميه ستّة رجال مسلّحين تعمل كذلك في نفس اليوم (10 جوان) قطع الخط الرّابط بين سوسة و المهديّة بدوّار عسكري يدعى بئر رقي اللّيلة الفاصلة بين 14 و 15 من جوان وقع قلع عمود التّلغراف في مدخل قابس وفي مساء الأمس 16 ، عند الفتح تبيّن أنّ هنالك قطعا بين المحرس و قابس. إنّ هذه العمليّات المتواترة في جهات تونس البعيدة عن دائرة العمليّات العسكريّة لا تترك مجالا للشّكّ حول عداء سكان الجنوب نحونا."

تقرير مدير البريد و التلغراف ريبشون Rubichon

(Q.O. 319, S.C.P., C. 59, D.3, ff. 465- 466)

(و خ ف 319 ، س م س، ص 59 ، م. 3 ، وو: 465 - 466)

19 - الإغارة على إبل الباي في ضواحي تونس.

" تونس في 18 جويليّة 1881، الساعة 18 و 20د.

قدمت بالأمس عصابة متكوّنة من حوالي 500 فارس من قبيلة جلاص إلى ضواحي تونس على بعد 4 كلم منها واختطفت ألفا من إبل الباي ونهبت بعض الضياع ويذكر المغيرون أنهم مبعوثون من قبل علي بن خليفة قائد نفّات وأحد زعماء المقاومة. ومن الثّابت أنهم كانوا متبوعين بألفين من المشاة جنّدوا ضمن قبائل الجنوب. وقد بعثت هذه العمليّة الجريئة الانذهال والذّعر في تونس وقد أرسل الباي في ملاحقة هؤلاء النهّابين بعض الجنود لكن ليس من المحتمل إدراكهم. ومن جانب آخر اتخذ الجنرال لجرو (Logerot) كلّ الاحتياطات اللاّزمة للقيام بعمليات استكشاف هامة لكن عدد العساكر الذين في حوزته يكفونه بالكاد لحماية معسكره ولا يمكّنونه من إرسال رتل مطاردة وقد جلب من باجة عن طريق القطار سرّية لكنّي أعتقد أنّه من الحذر أن نبعث له بالمدد."

برقيّة روسطن لوزارة الشؤون الخارجيّة.

(Q.O. 320,S.C.P., C.60, D1, f.236)

(و خ ف. 320 ، س م س، ص 60 ، م 1 ، و 236)

20- معركة الحمامات حسب المصادرالأهليّة

" و شرع الفرنسيون يستعدّون لاحتلال دواخل البلاد التي منعهم المجاهدون من الوصول إليها حتى أواخر سبتمبر 1881 ، و مع ذلك لم يقفوا مكتوفي الأيدي بل حاولوا الاستلاء على الأماكن القريبة من السواحل لتأمين نقط تجمعهم في الشواطئ و لحماية العاصمة من الغارات التى يشنّها المقاومون.

فقد أرسل علي بن خليفة قوّة تتكوّن من (500) فارس و (2000) من المشاة أغلبهم من نفّات و جلاص، و وصلت هذه القوّة يوم 17 جويلية -أي قبل احتلال صفاقس- إلى مسافة 4 كم من تونس العاصمة، و أغارت على إبل يملكها الباي فاستاقتها، كما نهبت عدة ضيعات قريبة، للباي و أعوانه، و لم تستطع القوات الفرنسيّة أن تحرّك ساكنا (...)

و قرّر الفرنسيون محاولة تنفيس الخناق على العاصمة و على مراكزهم بالسّواحل فاحتلوا رغوان يوم 26 أوت كما أشرنا إلى ذلك و حطّموا شوكة فرسان جلاص في المقرن و أرسلوا قوّة أخرى من حمّام الانف إلى الحمّامات لاحتلالها إذ صعب عليهم احتلالها من البحر فاعترضهم المجاهدون خارج البلدة و يظهر أنّ سكان الحمامات و من انضمّ إليهم من المتطوّعين من الوطن القبلي و الدواخل القريبة و السواحل، يظهر أنّهم كانوا معزّزين بقوّة من جنود الباي المنضّمين إلى المقاومة و رغم تفوّق السلاح عند الفرنسيين فإنّهم هزموا هزيمة شنيعة أمام الحمامات بعد معارك طاحنة بينهم و بين المجاهدين الذين طاردوهم إلى بلدة (حمام الأنف)، وقد تركوا عشرات من جنودهم قتلى في ساحات المعارك و دامت معركة الحمامات من 26 -إلى29أوت 1881 م."

- المصدر: المرزوقي محمد، صراع مع الحماية، دار الكتب الشرقيّة، تونس، 1973 ، ص ص 106 -107 .

21 -معركة الحمامات حسب السّلط الفرنسيّة.

1-" المرسى في 28 أوت 1881 ، الثامنة صباحا.

"قتل لنا في معركة الحمامات رجل و جرح إثنان. المعسكر التونسي الذي كان مجاورا بقي محايدا. وقد طلب الباي من قائده أن يضع نفسه تحت إمرة القائد الفرنسي. طلبت من الأمرال كنراد (Conrad) أن يرسل قطعة أخرى حربيّة للحمامات لتموين جندنا (...)."

برقيّة روسطن" (28 أوت 1881)

(Q.O.321,S.C.P., C.61, D.2, f.415).

(و خ ف 321 ، س م س، ص 61 ، م 2 ، و 415)

2 - "المرسى في 28 أوت 1881 الساعة 2 و 20 دق.

"حسب معلومات جديدة وصلت الجنرال لوجرو (Logerot) و إلى الوزير الأكبر فإنّ المعسكر التونسي وقف ضدّ المتمرّدين و ألقى بقنابله عليهم عندما تراجعوا في اتّجاهه. لقد خيّم قائد رتلنا إلى جانب التونسيّين الذين أمدّوه بالماء و الشّعير وربط القائدان علاقات تفاهم و يحتمي المعسكران بموقع جيّد لكنه من المستحسن لمعنويّات رجالنا أن يتمكّنوا من التقدّم نحو الحمّامات واحتلالها في أقرب وقت ممكن."

برقيّة روسطن." (28 أوت 1881)

(Q.O.321, S.C.P., C.61, D2, f. 416)

(و خ ف 321 ، س م س، ص 61 ، م 2 ، و 416)

3 -"تونس في 31 أوت 1881 الساعة التّاسعة مساء.

"عاد هذا الصّباح الكولونال كوريار (Corréard) مع جنوده إلى حمّام الأنف وقد أجبر على التقهقر مدّة ثلاثة أيام أمام كثرة المتمرّدين وهو الآن محاصر من قبلهم وقد زادهم انتصارهم هذا هيجانا و جرأة حيث تسلّلوا حتى لأحواز رادس وقد خسر الطّابور الفرنسي في تراجعه 29 رجلا من قتلى و جرحى قتل منهم ضابط وجرح آخر، معنويّاته يرثى لها .

ويتشاور حاليا الجنرال لوجرو (Logerot) و الأمرال كنراد (Conrad) لدعم جندنا بقوّات بحريّة. إني على إتفاق مع الجنرال وإني أطلب من الحكومة التونسيّة أن تبعث لجهة حمّام الأنف بكل العساكر التي في حوزتها (...) أعتقد أيضا أنّنا سنجبر على تضخيم عدد أفراد قواتنا بتونس و بدرجة كبيرة.

برقيّة نائب المقيم العام لوكو - Lequeux -" (31 أوت 1881)

(Q.O.321, S.C.P., C.61, D.2, f.465).

(و خ ف 321 ، س م س، ص 61 ، م 2 ، و 465)

22 -معركة للّة بن سعيدان (10 سبتمبر 1881).

"قرّر الجنرال سباتيي (Sabatier) استكشاف الطّريق نحو القيروان و في نفس الوقت اشتراء الشّعير من القبائل المجاورة للمعسكر لذلك أمر في 9 سبتمبر طابورا صغيرا بالانطلاق يقوده دلاني (Delannay) (...) و بعد قطع 18 كلم من طريق القيروان خيّم الجيش بالمكان الذي يتقاطع فيه الطّريق مع قنال جغّار بعد أن تمكّن من إزاحة بعض مئات من العرب متمترسين هنالك. و مرّت اللّيلة بسلام.

في يوم 10 سبتمبر صباحا أمر القائد دلاّني طابوره بالتقدّم نحو الغرب في اتّجاه للّة بن سعيدان و عندما اقتربت طليعة الفرسان من هذه البلدة هاجمها حوالي 1000 فارس و 1200 مشاة من جلاص و رياح و طرابلسيّة و أحاط الثّوار من كل جهة بالطّابور ممّا أجبر دلاّني أمام ضعفه العددي على التّراجع نحو معسكر زغوان مرورا بقنطرة الفحص و قد استهدف الرّتل طيلة اليوم و تحت حرارة مرهقة لهجمات فرسان العرب المتكرّرة وتمكّن الملازم الأوّل كنستان) (Constant من النّفاذ عبر صفوف العرب ليصل المعسكر في الخامسة مساء و يطلب المدد. و بسماع طلقات المدفعيّة بعث الجنرال 3 سرّيات للنجدة و باقترابها انفضّ العدوّ عن الرتل الذي بلغ المعسكر على السّاعة الثامنة مساء و كانت الخسائر 7 قتلى و 7 جرحى."

الكمندان بلهوم -Belhomme

(S.H.A.T.., S. 272, S/ S: 2HT., C.2H., P2, f.191).

(م ت ج ب، S 272، س. 2HT، ص.2H. P2، و 191)

23 -معركة وادي لايا حسب الجيش الفرنسي

عسكر المقدّم لناس (Lanes) بالقلعة الكبيرة يوم 19 أكتوبر و قد اعتقد العرب في الأوّل أنها مجرّد عمليّة استطلاع لذلك لم يصدر منهم أي ردّ فعل لكن عندما علموا أن معسكرا انتصب بالقلعة الكبيرة هبّ من مخيّمي وادي لايا و الخزّازيّة 2000 مشاة و 1800 فارس من جلاص و أولاد سعيد و السّواسي و المثاليث و نفّاتو فطناسة واتخذوا مواقع قرب معسكر لناس ليرشقونه منذ المساء بطلقات بنادقهم. و قد استمرّت الهجومات على المعسكر يومي 20 و 21 و كان يقود المتمرّدين علي بن عمارة من أولاد إدير من جلاص. و قد قتل في هذه المعارك النّقيب ترافرس (Travers) متأثرا بجراحه كذلك جرح جنديان. هذا و قد تسلّل بين المعسكر و المدينة بعض العرب و خطفوا قطيعا و قد بعث الجنرال في ملاحقتهم سرّيتين تعضدهما كوكبتان من فرقة الخيّالة التحقتا بهم مع سقوط اللّيل بين السّاحلين و مساكن ولم تتمكن إلاّ من قتل البعض منهم.

الكمندان بلهوم - Belhomme -

(S.H.A.T.., S/ S: 2HT., C. 272,C.2H.32, f. 231).

(م ت ج ب S.272، س. 2HT، ص 2H32، و 231)

2 4 -معـــارك وادي لايـــا حسب المصادر الأهليّة

"كما أنّ علي بن عمارة الجلاصي لم تردعه نكبة (المقرن) عن مواصلة الجهاد فجمع من جديد حوالي (700) فارس من جلاص واعترض الفرنسيين في أحواز سوسة حائلا بينهم و بين الوصول إلى سوسة من طريق تونس أو خروج حامية من سوسة في نفس الطريق وانظم إليه مجاهدو الساحل فرسانا و رجالة من أولاد سعيد، و السواسي و القلعات و غيرها و جعل مركزه (بوادي لايا) بينما وقف زعيم جلاص الثاني حسين بن مسعي في فرسانه يغطي القيروان من الشمال و كان الفرنسيون يحاولون الوصول إلى سوسة من الطريق البري و وصلت فرقهم بفرنسانها و مدفعيّتها مركز علي بن عمارة في (وادي لايا) واندلعت المعارك بين الجانبين ما بين 18 و 22 أكتوبر 1881 م.

وكان المجاهدون يفاجئون الفرق الفرنسيّة من كل مكان و يهاجمون قوافل تموينهم التي تصل أخبارها للمجاهدين فينصبون لها الكمائن في الطريق ما بين أشجار الزّيتون و أسوار التين الشوكي و كانوا يقضون مضاجع المحتلين بالهجمات الخاطفة في أماكن مبيتهم تحت أستار الظلام.

و في هذه المعارك استشهد الشاوش الهذيلي بالزين مساعد علي بن عمارة و هو من فريق (همادا) معتمديّة السبيخة، و بلقاسم بن جاء بالله بن محمد من فريق السمرة من قبيلة السواسي أصيب برصاصة في المعدة و حمله قريبه محمد بن علي بن عثمان معصب البطن على فرسه إلى بلده حيث توفي و دفن بمقبرة السمرة، معتمديّة السواسي.

وأدرك الفرنسيون أنّهم سيلاقون الويلات ما لم يتخلّصوا من زعيم المجاهدين فقرّروا الغدر بعلي بن عمارة مهما كان الثمن، وجلب لهم أعوانهم أحد الخونة وكان الخائن -حسبما يفهم من الرّواية - من جواسيس علي بن عمارة الذين يأتون له بأخبار تنقلات الفرنسيين و قوافل تموينهم. و بهذه الصفة تمكن يوما من معرفة مبيت علي بن عمارة في إحدى الضيعات فاتّصل بالفرنسيين و عين لهم مكانه فغدروا به ليلا و قتلوه وهو نائم.

ولم يكد ينتشر خبر استشهاد علي بن عمارة غدرا حتى بادر إليه رفاقه و رفعوا جثّته إلى [illegible] و تفرّق جيشه و تمكن الفرنسيون من الوصول برّاً إلى حاميتهم بسوسة التي احتلوّها من طريق البحر يوم 11 سبتمبر 1881 ."

المرزوقي محمد، صراعة مع الحماية، دار الكتب الشرقيّة، تونس، 1973 ، ص ص 108 – 109 .

25 -الأحداث في صفاقس بين 27 و 29 جوان 1881.

"السيد النقيب قبطان البارجة "ألما" (l'Alma)

مرسى صفاقس في 29 جوان 1881.

يشرّفني أن أعرض عليكم الأحداث التي جدت منذ وصولي لصفاقس.

لقد أرسيت بعرض صفاقس يوم 27 جوان في الصّباح الباكر على بعد ميل ونصف من وسط المدينة وقد نزلت البرّ صحبة المترجم العسكـــري قندولف (Gandolphe) حيث زرت الممثّل القنصلي الفرنسي الذي اصطحبني عند القائد وقد كنت بلّغتكم فحوى الخطاب الذي وجّهته له. ويبدو لي أن العامل كان صادقا جدّا في التزامه دون خلفيات باحترامه للواقع الجديد الذي حتّمته المعاهدة وقد أكّد أن المدينة سوف تحافظ على هدوئها ما لم يصل لها أعراب الدّاخل (...).

منذ يومين أو ثلاثة كوّن الأعيان حرسا مدنيّا مسلّحا احتل الأبواب الرئيسيّة والنقاط التي يمكن أن يختل الأمن فيها وقد بقي الأعيان ملتفّين حول العامل على وفائهم لنا حتى كامل يوم 28 تقريبا حيث أنهم هم الذين حمَوْا عمليّة إبحار كل أروبيّي المدينة (...)

وعندما عدت من البرّ زرت "البشير" وهو فابور للباي كان راسيا بالميناء حيث وجدت قبطانه على نفس موقف القائد وأكّد لي وفاءه لفرنسا وللباي الذي وضع نفسه تحت حمايتنا.

من الغد حوالي السّاعة الثامنة والنّصف عدت للبرّ مصحوبا بأحد ضبّاطي السيد كارون (Caron) (...) وتوجّهنا نحو باب المدينة (...) لقد لاحظت ومن كلّ جهات المدينة وأنهجها عربا يجرون ملوّحين بالعصي شاقين متوعّدين كما علا صياح من كلّ صوب مخبرا بأن أعراب داخل البلاد هم على الأبواب.

لقد دخلنا المدينة واصطحبنا القنصل حتى مقر القنصليّة بينما كان يتبعنا حشد من النّاس يصيحون فتأكد لي أنّنا لسنا أمام مجرّد هلع بل أمام هيجان شعبي هدفه الأروبيون وخاصة الفرنسيّين. وفي لحظة امتلأ النّهج بالمتزمّتين البعض منهم مسلّح بالسيّوف والبنادق والآخرون بالعصي (...) وكان النّسوة من الأهالي على كامل طريقنا يطلقن صيحات تدعو للرثّاء (...).

وعندما كنت مشغولا بإركاب هؤلاء التّعساء (من الأروبيّين) شاهدت عصيّا وسيوفا مرفوعة

في وجه نائبنا القنصلي والسيدين كارون وقندولف كما لاحظت القنصل يُضرب ويسقط أو يقفز في الماء (...) وقد أسعفني الحظ أن أركبتهم الزّوارق قبل أن تلحقهم سيوف العرب الذين ارتموا في البحر يلاحقونهم (...)

لقد زارني بعد ذلك بقليل قبطان "البشير" وأعلمني أن القائد لم يعد يسيطر على الوضع غير أن أفراد الحرس المدني الذين بقوا أوفياء له هم الذين واصلوا حماية إبحار الأجانب دون حدوث مذبحة (...)"

هنّيك (Hennique) قبطان "الشكال.
(Q.O. 320, S.C.P., C.60, D.1, ff. 51_59)
(و خ ف 320 . س م س. ص 60 . م1 . وو 51 - 59)

26 -تقرير قبطان الباخرة "الشاكال" حول ردّ قائد صفاقس والمقاومة (29 جوان 1881).

(...) عندما عدت إلى متن الباخرة رأيت من واجبي أن أكتب الرّسالة التّالية للقائد: بعد التحيّة. من قبطان "الشاكال" إلى عامل صفاقس.

(...) أترقّب هذا المساء عديد البوارج الفرنسيّة وقوّات إضافيّة إذا لزم الأمر. حذّروا الصفاقسيّين أنّ ثأرا رهيبا وتنفيذا مشهودا سوف ترونه غدا لو وقع المساس بشعرة لفرنسي أو أروبي. أكون ممنونا لكم إن أجبتموني عاجلا وأعلمتموني بالموقف الذي يجبُ أن أرفعه لتونس". وقد أجابني قبل المساء : "بأنه فعل كل ما في وسعه لتفادي سيلان الدّماء وأنه يأسف كثيرا لعلمه أن القنصل قد جرح وأن العلم الفرنسي رفع من مكانه (...) وأن كل ما وقع هو من فعل الجهلة وأن الأعيان لم يشاركوا في ذلك (...) وأن الوضع في المدينة سيّء جداً وأن الاحتشادات تتواصل في الميناء وانّ عرب الخارج انضمّوا لمتمرّدي الدّاخل (حسّونة الجلّولي قائد صفاقس)"

"(...) وفي مساء يوم 28 جوان بدأ عرب الدّاخل يلجون المدينة دون أي مقاومة من الصفاقسيّين كما أن نظام الحرس المدني اضمحلّ وحتى القائد نفسه وقع تجاوزه وهدّد بالسيف ففرّ ليحتمي بإحدى الزوايا.

يوم 29 جوان حدثت مجازر أخرى وتواصل تهجير اليهود من المدينة (...) وقد علمت تفاصيل أخرى من مراكب أتت من البرّ مفادها أن خليفة صفاقس جرح يوم 28 عندما كان يحمي القائد من المتزمّتين قبل أن يتمكّن من الاختباء. كذلك وقع قتل مالطيّين من الرعايا الانجليز أحدهم مات متأثرا بجراحه والثاني قطع إربا وإن جثّته لازالت مرمية على الطريق قبالة الميناء كما أنّ ثلاثة يهود قتلوا أو جرحوا. ومن جانب آخر جرح كمندان مشاة تونسي وإثنين من بحريّة "البشير" عند محاولتهم الإبحار (...)"

قبطان الشاكال هنّيك Hennique

(Q.O. 320, S.C.P., C.60, D.1, ff 51-59)

(و خ ف. 320 ، س م س، ص60 ، م1 ،وو51 - 59)

27- ثورة صفـــاقس.

" تونس في 8 جويليّة 1881، السّاعة 11 و 40د.

اتصلت توّا بالبرقيّة التاليّة من قبطان "لاران بلانش" (La Reine Blanche)

لتبلّغ لوزير البحريّة:

" صفاقس قصفت بالمدفعيّة. الشّكال حطّمت منصّة صواريخ ذات إحدى عشرة قطعة منصوبة على السّاحل. الصفاقسيّون يردّون لكن تصويباتهم ليست مصيبة. "الشاكال" لم تصب لكن المنصّة أصلحت ليلا. كثير من القتلى والجرحى. يذكر أن مائتي صفاقسي مسلّحين مصرّون على المقاومة، جنود الباي يحيّون طلقات الصّفاقسيين: يستحيل التّعويل عليهم. هذا الصّباح قنبلنا المدينة وقصبتها. نتائج جيّدة كرمي لكن دون جدوى لضمان عملية إنزال. الوضع صعب. إنّنا في وسط ثورة جهويّة وليس لدينا القوّة الكافية لعمل سريع وإنّنا سنتعرّض لفشل خطير لو حاولنا هجوما مفاجئا (...) المقاومون حول صفاقس : بين 10 و 15 ألفا. الرّاية الخضراء مرفوعة. المدينة جيّدة التّحصين. منشآت تحصينيّة أنجزت حولها. اقتحامها صعب من جرّاء قلّة العمق وكثرة الوحل. الجنود التّونسيون يكونون أحسن في سوسة. لوترسلون المدد. "الرّان بلانش" (La Reine Blanche ") "والألما" ("L'Alma") لم يتبقّ عندهما إلاّ خمسة عشر يوما من المؤونة. ابعثوا مايكفي شهرين لكل منهما كذلك قذائف وبارود "لشاكال" "Chacal" وبيك ("Pique"). أحتفظ بالسّارت ("La Sarthe") والجنود. إنّه يستحيل المسافنة".

برقيّة تلغرافيّة من روسطون لوزير الشؤون الخارجيّة.

(QO. 320, S.C.P., C.60, D1, ff117- 118)

(و خ ف 320 ، س م س. ص 60 ، م1 ، وو 117 - 118)

28 - نبذات من الصحافة البريطانيّة حول الأوضاع بتونس إثر احتلال صفاقس.

* "تونس في 19 جويلية 1881.

" لم يسمح للأروبيّين بالنزول لصفاقس حيث كانت تحرق جثث الموتى وأنها من الكثرة حتى أن الوزير الفرنسي منع الجنود الفرنسيّين دخول المدينة خوفا من الأمراض أمّا جنود البحريّة فإنهم يحتلون الأبراج حول المدينة."

الدايلي نيوز -Daily News- لندرة.

* "تونس في 19 جويلية 1881

" إن مدينة القيروان المقدّسة قد ثارت حيث تحوّل إليها البدو من صفاقس كليّة كما أن هنشير النفيضة على مسافة قريبة من القيروان وسوسة، ثار بدوره وفرّ الأروبيّون المتواجدون هناك وان هذه المدينة الأخيرة مهدّدة."

الدايلي نيوز -Daily News- لندرة.

* "تونس في 19 جويلية 1881 مساء.

"إن عرب القيروان خيّروا قائدهم الجنرال سي المرابط إمّا أن يكون بايا لهم وإمّا -إن رفض- أن يغادر مع عائلته نحو تونس لأنه محبوب من قبلهم ولقد راوغهم في الإجابة وكاتب الحكومة ليتلقى تعليماتها."

الدايلي نيوز -Daily News- لندرة.

* تونس في 20 جويلية 1881.

"إنّ خط التلغراف السّاحلي قد قطع بيد البدو مجدّدا وإنّ صفاقس مازالت ممنوعة ماعدى على الضباط لذلك لا نملك تفاصيل عمّا وقع. ويبدو أن كامل المدينة أصبحت خرابا وأن العرب قد نهبوا كل المنازل وحطّموا كل ما لم يتمكنوا من حمله. وعندما حلّ أحد الضّبّاط بها وجد مجموعة من

الجنود الفرنسيّين يحاولون فتح خزانة بقيت سليمة تابعة للجمارك (...) إنّ المعركة التي دارت على السّاحل إثر عمليّة الإنزال كانت كثيرة الجدّية وإنّ العرب برهنوا على شجاعة كبيرة وحملوا مرتين متتاليتين على المدافع التي أنزلها الفرنسيّون."

إدتور تايمز -Editor Times- لندرة.

* تونس في 20 جويلية 1881

" إنّ هرب الجنود التونسيّين من الجنديّة مازال متواصلا حيث وقعت البارحة 40 حالة (...) وإنّه في الأيام الأخيرة جدّت 500 عمليّة فرار"

الدايلي نيوز -Daily News- لندرة.

* تونس في 20 جويلية 1881.

" (...) ما إن علم أن الباي ينوي إرسال جنود للقتال حتى فرّ عدد كبير من العساكر وإنّه من الصعب منع ذلك مستقبلا وهذا يبيّن بجلاء عدم جدوى إرسال جنود من الأهالي لمحاربة المتمرّدين . يمكن القول أن البلاد في حالة فوضى كاملة وأنّ حكومة الباي لم تعد معترفا بها ويبدو أن الثّورة سوف تنتشر في كامل الجهات التي لم تحتلّها القوّات الفرنسيّة (...)."

أدتور تايمز -Editor Times- لندرة.

* تونس في 21 جويلية 1881.

"أتانا فابور فرنسي غادر صفاقس يوم الثلاثاء ببعض التفاصيل الجديدة حيث ذكر أنّه كان في الحي العربي من المدينة حوالي 300 من الأهالي وقد أجبر الفرنسيون على القتال منزلا بمنزل وتفجير عديد البناءات ويقدّر أن العرب خسروا 600 رجلوالفرنسيّون 100 قتيل وقد قاوم المتمرّدون ببطولة كبيرة وأن زعيمهم علي بن خليفة لم يقتل حسب ما نقل ويقال أنّ رمي الفرنسيين كان بدقّة متناهية."

أدتور تايمز -Editor Times- لندرة.

29 - المقاومة وتنظيمها للدّفاع عن قابس.

"الحمد لله وحده

صلى الله على سيدنا محمد وآله و صحبه تسليم

"جناب الصدر الهمام العمدة الأفخم أمير الأمراء سيدي مصطفى الوزير الأكبر(...) وبعد الذي أعلم به جنابكم الرفيع أنّ هاته العربان باقية في الزيادة للعصيان و المخالفة وقلّة الطاعة ولم يمتثلوا لأوامر سيدنا ومولانا أيّده الله ولا لمكاتيب رفيع جنابكم ولا لمكاتبنا (كذا) أيضا أن سي علي بن خليفة إلى الآن يوجّه لهم المكاتيب وهم ممتثلون لما يأمرهم به فيهم ومهمى نوجّه لهم مكتوبا إلاّ ويزيدون في الغلظة و النّفاق ولم يرجعوا لنا ولو ضد مكتوب واحد وعلى ما نتحققه أنّ هاته العربان لا يطيعون إلاّ بالغصب و المحاربة إننا جعلنا معهم كل الوسائل القاضية للراحة وكاتبناهم بعدّة مكاتيب وأنذرناهم وعرّفناهم بما فيه مصلحتهم وعدمها حتى وقفت عندنا جميع المسالك السياسيّة ولأن لم يبق لنا معهم إذن وسيلة بالمكاتبة أو غيرها حيث أنّهم تشاجروا كثيرا في هاته المرّة الأخيرة وسيزيدهم على ذلك قدوم سي الحاج صالح بن خليفة لهم وأخبرنا السنيور لُوطنة كلنيل أنّه لا يتيسّر له الدخول لغابتهم أو محاربتهم بالعساكر التي عنده لصدور (لعدم صدور؟) الإذن له في ذلك غير أنّه يبقى بالمرسى ويجعل عسّه بجاره البرانية ويترجى في وصول العساكر الفرانساويّة إلى بلد القيروان وبعد ما يتم أمرهم هناك يأتوا إلى هنا فعلى هذا أنّنا وجدنا لافائدة في إقامتنا هنا هاته المرّة و أنّ العربان نازلين في راس الواد وفي بلد شنني ولم يبقى لنا معهم خطاب ولم يأتينا منهم أحد و المرّة بعد المرّة يهجمون على بلد جارة ويتشاجروا علينا و على أهلها و هذا لا يناسب مقامنا الذي شرفنا به سيدنا أيّده الله فعلى هذا نطلب من جزيل إحسانكم و كريم جنابكم صدور الإذن العلي في قدومنا للحاضرة المحميّة و لما تصل العساكر القرانصويّة إلى قابس و لزمتني الخدمة معهم فإني حاظر (كذا) سامع مطيع ولا يخفى جنابكم أنّنا في قلّة الهناء و أضيق المعيشة حتى أنّي أتسلّف فيما نصرفه على معيشتنا و معيشة أتباعنا وذلك وقع علينا بكثرة لغلو الأسعار وأضرّ بنا و أمّا قول العرب المنافقة إنّهم مصمّمين على محاربة جارة وخرابها وهتك حماها و الظاهر أنّ سيدنا أبقاه الله ورفيع جنابكم لا يرضون بأن يتفاخرون العرب السفهاء فينا حيث أن محل سكنانا قريب من المحاربة و نطلب من

الله تعالى أن يلهم جنابكم لما فيه الصالح و الخير بجاه النبي البشير ودمتم ودامت عافيتكم و السلام من الفقير لربّه و مقبل أيديكم الكرام فقير ربّه أمير الأمراء حيدر باشا آغة المكلف بالأعراض. في 17 شوال المبارك 1298 (الموافق لـ 12 سبتمبر 1881)"

رسالة عامل الأعراض حيدر باشا إلى الوزير الأكبر مصطفى بن إسماعيل.

المصدر: أ-و. السلسلة التاريخيّة، ص: 215 ، م : 300 .

30 - تصميم الثوّار على مهاجمة جارة قابس وتخوّف العامل.

"الحمد لله

صلى الله على سيّدنا محمد وآله و صحبه وسلّم

جناب الصدر الهمام العمدة الأفخم أمير الأمراء سيّدي مصطفى الوزير الأكبر

(...) و بعد الذي أعلم به جنابكم الرّفيع أن هاته العربان باقية في الزّيادة للعصيان والمخالفة وقلّة الطّاعة ولم يمتثلون لأوامر سيّدنا و مولانا أيّده الله ولا لمكاتيب رفيع جنابكم ولا لمكاتيبنا أيضا لأنّ سي علي بن خليفة إلى الآن يوجّه لهم المكاتيب وهم ممتثلون لما يأمرهم به فيهم ومهمى (كذا) نوجّه لهم مكتوبا إلاّ ويزيدون في الغلظة و النّفاق ولم رجعوا لنا ولو ضدّ مكتوب واحد و على ما نتحقّقه أنّ هاته العربان لا يطيعون إلاّ بالغصب وعرّفناهم بما فيه مصلحتهم و عدمهم حتّى وقفت عندنا جميع المسالك السياسيّة والآن لم يبقى لنا معهم أدنى وسيلة بالمكاتبة أو غيرها حيث أنّهم تشاجروا كثيرا هاته المدّة الأخيرة وسيزيدهم على ذلك قدوم سي الحاج صالح بن خليفة لهم و أخبرنا السينتور لُوطنه كلنيل أنّه لم يتيسر له الدخول لغابتهم أو محاربتهم بالعساكر الذي عنده لصدور (كذا) الإذن له في ذالك غير أنّه يبقى مقرّ بالمرسى ويجعل عسة بجارة البرّانية ويترجّى في وصول العساكر الفرنساويّة إلى بلد القيروان وبعد ما يتم أمرهم هناك يأتوا إلى هناك فعلى هذا إنّنا وجدنا لا فائدة في إقامتنا هناك هاته المرّة و أنّ العربان نازلين في رأس الواد وفي بلد شننّي ولم يبقى لنا معهم خطاب و لم يأتينا منهم أحد و المرّة بعد المرّة يهجمون على بلد جارة ويتشاجروا علينا و على أهلها وهذا لا يناسب مقامنا الذي شرّفنا به سيّدنا أيّده الله فعلى هذا نطلب من جزيل إحسانكم و كرم جنابكم صدور الإذن العلي في قدومنا للحاضرة المحميّة ولمّا تصل العساكر الفرنسويّة إلى قابس و لزمتني الخدمة معهم فإنّي حاظر سامع مطيع ولا يخفا جنابكم أنّنا في قلّة الهناء وضيق المعيشة حتّى أنّي أتسلّف فيما نصرفه على معيشتنا و معيشة أتباعنا وذلك وقع علينا بكثرة لغلوّ الأسعار و أضرّ بنا و أمّا قول العرب المنافقة أنّهم مصمّمون على محاربة جارة و خرابها وهتك حريمها و الظاهر أن سيّدنا أبقاه الله ورفيع جنابكم لا يرضون بأن يتفاخروا العرب السفهاء فينا حيث أنّ محل سكنانا قريب من المحاربة

ونطلب من الله تعالى أن يلهم جنابكم لما فيه الصلاح والخير بجاه النّبي البشير ودامت عافيتكم و السلام من الفقير إلى ربّه مقبّل أيديكم الكرام فقير ربّه أمير الأمراء حيدر باش آغة المكلّف بالأعرض في 17 شوال المبارك سنة 1298(الموافق لـ 12 سبتمبر 1881)"

رسالة حيدر باش آغا المكلّف بالأعراض

إلى الوزير الأكبرمصطفى بن اسماعيل.

المصدر: أ-و. السلسلة التاريخيّة، ص: 215 ، م: 300 .

31 - ثورة أهل قابس وصعوبات السّلطة المحليّة.

"الحمد لله

صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه تسليم.

"جناب الصدر الهمام العمدة الأفخم أمير الأمراء سيدي محمد الوزير الأكبر حرسه الله (...) وبعد كما أعلمنا جنابكم الرّفيع بمكتوبنا المؤرخ في الشهر المنصرم أنّ سي الحاج صالح بن خليفة كاتب جميع العروش من أهل الأعراض ليجتمعوا لديه الخ والحال أنّهم اجتمعوا وبلغنا أنّهم يتفاوضون في سعي الفساد و التشويش و الإغارة على جارة ومحاربتها فلذلك كاتبناه بمكتوب مؤرخ في 25 شوال المنصرم فرجّع لنا ضدّه لكن على غير حقيقة منه لأنّ فعله في هاته الأيّام مناقض لما ذكر فيه ثم كاتبناه ثانيا على مقتضى ما تضمنه مكتوبه المذكور وكاتبنا جميع المشايخ و الأعيان من العروش المجتمعة عليه كما يصل صحبة هذا مكتوبه المذكور وقايمة بها مضمون ما كاتبناهم به ليطلع رفيع جنابكم عليها و عرّفناهم بترجيع ضدّها فامتنعوا ولم يمتثلوا لذلك وفي كل يوم يطلقون بحب الرصاص من أطراف بلد المنزل على العساكر الفرنصويّة العساسة بجارة وعلى ما بلغنا أنّ يوم 26 فزع لبلد شنني عدد 800 أنفارحواية وعدد 200 أنفار غبنتن وبعض من الحرارزة الجميع (كذا) ورغمة وجملة من توجان بني زلطن وذلك سبب استدعائه سابقا وفي يوم 28 أطلق وجهين بحب الرصاص من بلد المنزل على الشيخ القاضي (...)، وفي يوم 28 الإربعاء هجم العربان المذكورون ومن معهم من العصاة على أهل بلد جارة وتحاربوا يسيرا ولم يظفر كل منهم من الآخر بشيء ولمّا رماهم السنيور متولي العسكر بقابس بالبونبة فرّوا الهاجمين وظفروا برجل من بلد جارة بسانيته بالمكان فرفعوه خارج السّواني وقتلوه وفي صبيحة يوم 29 الخميس أيضا هجم العصاة المذكورون على البلد المذكور فتحصنوا (كذا) أهل البلد المذكور بالمتريزات وقد أعانهم متولي العسكر بعدد 50 من العسكر وبطلق البونبة ودام الحرب بينهم ثلاثة ساعات و مات من الهاجمين نفرين وأمّا الجرحى (كذا) لم يتحقّق عددهم وفي صبيحة يوم 30 الجمعة أيضا هجم العصاة المذكورون على البلد المذكور و أعان أهلها السنيور المتولي المذكور بالعدد المذكور وبطلق البونبة ودام الحرب بينهما قدر ساعتين فأمّ (كذا) أهل جاره جرح منهم إثنان فقط و أمّا المهاجمين المذكورين مات منهم على ما بلغنا خمسة أنفار وجرح منهم ما يقارب من

عدد 19 أنفار وفي عشية يوم 1 السبت فاتح قعدة الحرام صرخ أهل المنزل على أحد العساكر العساسة بجارة فآصابته الحبة على جبهته لاكن بلطف (...) و السّلام من معظم قدركم الأسمى مقبل أيدكم (كذا) الكرام الفقير لربّه أمير الأمراء حيدر باش آغا المكلّف بالأعراض وفقه الله. وكتب في قعدة الحرام من سنة 1298 (الموافق لـ 26 سبتمبر 1881) "

رسالة عامل الأعراض حيدر باش آغا إلى الوزيرالأكبر محمد خزندار.

المصدر: أ-و. السلسلة التاريخيّة، ص. 215 . م : 300 .

32 - احتلال قـــابس.

"من البحر لا يمكن أن نشاهد إلاّ حيّ باب البحر الذي يتكوّن فقط من القشلة و هي ثكنة مدفعيّة الباي و كذلك منزل السّيّد سيكارد (Sicard) الممثّل القنصلي الفرنسي أما حيّا المنزل وجارة المنشأين على طول الواد وفي ضفّة الواحة و كذلك برج زواوة الفاصل بين الحيّين تتعذّر رؤيتها (...) و على مرتفع في شرق الواحة تبان قبّة الولي سيدي أبي لبابة(...).

في صبيحة 24 جويلية (1881) كانت تحرّك هذه اللّوحة حشود المتمرّدين و صولات الفرسان الصّاخبة على الشاطئ في تحدّ للأسطول لكن سرعان ما تفرّق الجميع أمام قذائف بواخرنا لتسمح بنزول البحّارة الرماة وقد تمكّن طاقم الباخرة ليوبار (Léopard) من الاستحواذ على المدفعين اللذين نصبهما الأهالي على الضّفة اليسرى من مصبّ الواد بينما سيطرت السّريات الأخرى على القشلة ونصبت بطّاريّة من أربعة مدافع شرعت في قنبلة المنزل.

و تحت حماية طلقات المدافع تقدّم البحّارة يقودهم النّقيب البحري مارك دوسانت هيلار) (Marq de Saint- Hilaire لمهاجمة القريتين. و كان أعيان جارة لا يترقّبون إلاّ وصولهم ليرفعوا الرّاية البيضاء و يعلنوا إذعانهم للحماية الفرنسيّة كما فتح اليوزباشي مصطفى التّركي قائد البرج الأبواب للعساكر الفرنسيين الذين اتخذوا البناية مرتكزا للإغارة على المنزل (...).

و قد توغّل طابورصغير مسلّح بالحراب عبر نهج القوم حتى ساحة المسجد أين وجد نفسه وجها لوجه مع الفرسان المتمرّدين محتشدين على أهبّة القتال تحت إمرة باش مفتي المنزل فاندلع قتال ضاري قتل فيه هذا الوجيه لكنّ التوقّف القسري للمدفعيّة مكّن المدافعين عن القرية من التّموقع على سطوح المنازل و أمطروا تلك المجموعة الصّغيرة من الجنود بوابل من الرّصاص حيث جرح منها خمسة و أصبح التراجع ضروريّا لها لكنّ المتمرّدين المتحصّنين ببناية التّلغراف بمنعطف نهج القوم سدّوا أمامه الطّريق فقرّر الملازم أوّل بحري برام (Brem) نسف المبنى و تمكن من العودة بجنوده لبرج زواوة. وقد شجّع هذا الانتصار سكّان المنزل الذين يربو عددهم على 3000 عادة و الذي تضاعف على الأقل بمساندة البدو على القيام بهجوم معاكس أجبر الفرقة الفرنسيّة على تسليم البرج فتسمح بذلك للبواخر الحربيّة بقنبلة المتمرّدين (...) و قد أدّى القذف المركّز

على البرج الذي يحتلّه الثّوار إلى إشعال النّار في مخزن البارود فانفجرت البناية على من فيها وقتل ما بين 60 و 70 منهم(...).

لقد انقضّ أهل المنزل على جارة ليحتّلوها عازمين على تقتيل ساكنيها و أرادوا تنفيذ ذلك فعلا يوم 25 جويلية لولا تدخّل أحد زعمائهم و هو منصور فتّوش من مطماطة الذي أثناهم عن مشروعهم(...)"

LE BOEUF (Commandant), *"Historique de la conquête pacifique des territoires militaires de Tunisie"*, ***Rev.T.***, janvier 1907, pp. 112-128.

33 - احتلال المنزل وشنني.

"هاجم المتمرّدون يوم 28 جويلية صباحا جارة و قد صدّهم الكولونال جامي (jamais) و أمر المدفعيّة بهدم الأسوار الجنوبيّة الشرقيّة للمنزل ليأخذه عنوةبأحد الطوابير ثم طارد فلول الأهالي الذين احتموا بالواحة وقد تمكّن بعد معركة ضارية من احتلال قرية شنني وقتل خمسين من أهلها أثناء دفاعهم عن منزل علي بن خليفة قائد التمرّد في الجنوب. لكن قلّة عدد الجنود و البعد عن قاعدة الانطلاق التّي تفصلها الواحة التّى أصبحت معسكرا للثوّار منع الكولونال جامي من البقاء على عين المكان واضطر للعودةإلى قابس. وفور مغادرته شنني ترك المتمرّدون مخبأهم بوهاد رأس الواد واحتلوا القرية واحتفالا بانتصارهم حرقوا في الساحة العموميّة جنديّين وهما حيّان كانا أسرا عند مهاجمة القرية(...).

وفي يوم 2 سبتمبر وصل أهل المنزل وشنني مدّد من 150 فارس بعث بهم علي بن خليفة وقد قاموا بمحاولة يائسة لاسترداد جارة وكان القتال عنيفا لكن الكولونال جامي تمكّن من صدّ المهاجمين بعد أن عزّز الدّفاع بالمدفعيّة و بكتيبة من المشاة. ورغم الخسائر في الجانبين أعاد المتمرّدون الكرّة يوم 6 سبتمبر لكن أمام هذا الفشل الجديد انسحب فرسان نفّات نحو معسكرهم بعقلة الفوني تاركين أهل المنزل بمفردهم.

و إزاء هذه الاعتداءات التى تمّت في الوقت الذي كان فيه سي حيدر (القائد) يفاوض لاستسلام أهل المنزل قرّر الكولونال جامي، لاستحالة حل سلمي، مهاجمة القرية يوم 9 سبتمبر و أعطى الأوامر لوحدات أهالي جارة أن تدعم المدفعيّة و الكتائب الثلاث وهكذا تمّ تحطيم بؤرة التمرّد هذه التّي صمدت في وجوهنا منذ 24 جويلية و مكّنت أهل جارة من الأخذ بثأرهم وذلك بتخريب ديار أعدائهم (...)"

LE BOEUF (Commandant), "*Historique de la conquête pacifique des territoires militaires de Tunisie*", ***Rev. T.***janvier 1907, pp.112-128.

34 - الوضع في جربة و ما جاورها (12 أوت 1881).

"القلادياتار (Le Gladiateur) في 12 أوت 1881 .

" (...) لقد نزلت بحومة السّوق بجربة يوم 11أوت صباحا (...) إنّ بيت التّلغراف قد هدّم و قطع السّلك في عديد المواقع (...) إنّ الودارنة الذين يسكنون الجهة وهم أعداء لنا قد هاجموا المهابيل هذه القبيلة الصّديقة لفرنسا والتي تسكن أطراف الجرف قبالة المرسى وقد انسحب هؤلاء من هناك ويمكن القول أنّ في هذه السّاعة كامل السّاحل من الجانب الآخر من المرسى تسكنه قبائل معادية و يصل جزيرة جربة كل يوم أناس يذكرون أنهم سلبوا من الودارنة(...)

يبدو أن علي بن خليفة زعيم ثورة الصفاقسيّة كاتب عديد شيوخ السّاحل يطالبهم بالانضمام إليه لمحاربة الفرنسيّين و إلاّ حرقت و نهبت منازلهم و أسر أهاليهم . من ذلك أن شيخ الزّارات، حسب قول بعض اليهود الذين قدموا أخيرا جربة، في حيرة كبيرة و أنّه مؤيّد للفرنسيّين لو دعموه لكن دون ذلك سيكون مجبورا على الوقوف إلى جانب علي بن خليفة خوفا من تخريبه(...).

أما سكّان جربة فهم في الواقع ليسوا موالين لنا و لا يجب أن نحجب ذلك إذ أنهم ليسوا من الملاكين و ليسوا بفرسان و غير متعوّدين على حياة التّرحال و حمل السّلاح لذلك لا يشعرون بالقوّة الكافية للدّفاع عن أنفسهم فارتموا في أحضان الفرسان الضامنة أكثر لحمايتهم(...)".

تقرير كمندان القلادياتار" -Le Galdiateur- (12 أوت 1881)

(Q.O. 321, S.C.P., C.61, D2, FF.318- 324).

(و خ ف 321 ، س م س، ص 61 ، م 2، وو 318 - 324)

35 -تقـــرير قائد الباخرة ليوبـار (Léopard) حـول الأوضـــاع من المنستيرحتى قليبية (14 أوت 1881)

"ليوبار، حلق الوادي في 14 أوت 1881

أمرال

يشرّفني أن أعرض عليك تقريرا حول المهمّة الاستكشافيّة التي كلّفتني بها على السّاحل الشّرقي من المنستير حتى قليبية (...)

إن السّكان بالمنستير بعينها استقبلونا بحفاوة وهم يحبّون بصورة خاصة البحرية الفرنسية (كذا). إنّ المدينة في حدّ ذاتها وكذلك المهدية هادئتان لكن الفوضى تسود الأحواز حيث تعيث فسادا في الأرياف عصابات من قطّاع الطرق حتى أنّ المبادلات التّجارية توقّفت ووصلت الأمور إلى حدّ أنّ السكّان المسلمين يرغبون في الاحتلال الفرنسي ليتمكنوا من العمل براحة ويتخلّصون من انشغالهم الدائم. لكن لا يجب المبالغة من جهة أخرى اذ نحن إزاء عصابات مسلّحة من المتمرّدين تنشر الانزعاج ولا تفترض حضور قوّة كبيرة بالجهة لضمان النظام بها (...) وقد قمت في المساء بزيارة غير رسميّة إلى الخليفة وقد استقبلني بحفاوة وعبّر لي كعادته على طيب مشاعره نحونا (...).

وقد انتقلت يوم السّبت صباحا الثالث عشر من أوت نحو سوسة (...) وقد أخبرني النّائب القنصلي هنا أن الوضع هو مماثل تماما لما هو عليه بالمنستير. إن المدينة هادئة لكن الفوضى تعمّ الأرياف حيث انعدم الأمن (...)

لقد أرسيت في الثالثة والنصف بالحمّامات (...) وقد زارني على متن الباخرة النائب القنصلي الإيطالي ككشيا (Cacchia) وأكّدّ لي أنّ المدينة هادئة وعند نزولي وإياه برّا استقبلنا على السّاحل خليفة المكان وكامل السكّان (...) وذكر لي أن السكّان يشرّفهم رؤية العلم الفرنسي وأنهم كلهم يحبّون النظام لكن وضعهم صعب بوجود عصابات من المتمرّدين بجوارهم تكدّر راحتهم حتى أبواب المدينة (...) وفي منزل النّائب القنصلي قدّم لي الخليفة القاضي والمفتي وقائد القلعة وكل أعيان المدينة وقد تجوّل بي الخليفة بعد ذلك في الحمّامات (...)

في نابل استقبلني الخليفة على عتبة قصر العدالة وقد بدا منفعلا شيئا ما لأنّه لأول مرّة يرى ضابطا أجنبيا لكن سرعان ما أصبح أكثر مودّة (...) وأعلمني الخليفة أن الهدوء يسود المدينة لكن أطرافها ليست آمنة وأنّه طالب بأسلحة لحمايتها (...)

وصلت قليبية التاسعة ليلا (...) ولم أنزل إلاّ السادسة صباحا وقد جاءني الخليفة يصحبه الأعيان والسّلط عند السيد كنفرسانو (Conversano) قبطان المرسى والعميل القنصلي لكل من ايطاليا وانجلترا وفرنسا. وكما هو الشأن أينما حللت أستقبلت بحفاوة (...) ولم يتأخّر الخليفة ليقول لي أنه ليس مسرورا بالحماية الفرنسيّة فقط بل سيكون سعيدا لو رأى حامية فرنسيّة بالقلعة. قليبية هادئة وهي أقل تخوّفا من أحوازها (...)"

تقري قائد الباخرة ليوبار ملّرمي -Mallarme- (14 أوت 1881)

(Q.O. 321, S.C.P., C.61, D.2, FF. 280- 287)

(و خ ف 321 ، س م س، ص 61 ، م 2 ، وو 280 - 287)

36 - الأوضـــاع بالســـاحل (10 أوت 1881)

"السيد الوزير المقيم العام بتونس.

"المنستير في 10 أوت 1881.

إنّ الوضع تدهور إثر الصدام الذي جدّ بجمّال وقد وضع ذلك حدّا نهائيا للسّلطة المتداعية وغير الشعبيّة للجنرال البكّوش حيث انتشرت عصابات مسلّحة من الجنود في قرى ومنطقة المنستير وأرغمت النّاس بالقوّة على تسليم الأسلحة والمؤن وهدّدت السكّان بنهب وتقتيل شامل إذا لم ينضمّوا إليها وقد كان يقودهم المسمّى سعد القم وهو قاطع طريق وسفّاح ويمثّل الرّعب في هذه الجهة يتنقّل بكلّ حريّة حتى السّاعة بين مدن السّاحل دون أن تعمل السّلطة على إيقافه ومن قائد مثله يخشى كلّ شيء.

وقد حضر إلى القنصليّة عديد المشائخ وقصّوا عليّ هذه الوقائع مظيفين أنّ السّلط المحليّة تخلّت عنهم تماما وتركتهم عرضة للسّب ونهب الأوباش (...) إنّ القرى كانت ومازالت مستعدّة لتجنيد عدد من الرجال لتخلّص البلاد من هؤلاء الفارّين من العساكر النهّابين والذين يكوّنون تهديدا متواصلا لسلامتهم وراحتهم (...)."

رسالة النائب القنصلي بالمنستير إرسّن - Irisson- (10 أوت 1881)

(QQ. 321, S.C.P., C. 61, D.2, FF 217- 222)

(و خ ف 321، س م س، ص 61، م 2، وو 217 - 222)

37 - ثورة جنود السّاحل.

"الحمد لله

وصلى الله على سيدنا محمد وسلّم

"إلى حضرة المكرم الأجل الأقبل الزكي المرعي برعاية الله جلّ وعزّ إلى سيدي محمد البكوش أكرمه الله آمين. أما بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فالمراد منا في ملمة العسكر أننا كنا صفرنا للجبل في جهاد الفرنصيص وسبقنا سبعين نفر إنّهم يسهلوا في التريق للعسكر ونترجاو في نهار الجهاد متى يمسى أو يصبح ولو كان الشقى ضهر (كذا) بطال لا لأجل الثنيّ سهلناه للفرنصيص باش إفسّد دينّ وبعد ذلك إننا بلغنا إلى الجبل و الفرانصيص يفتنوا في إخوتنا المسلمين ثلاثة أيّام واحنا نتفرّجوا بعينين لا صبنا نفكّوا عليهم حتى ساعة واحدة ويكون في علمك أنّنا صار فينا بالعطش في الدخلة إلا حدّ العسكر اللّكلك (يلكلك) في الحشيش باش يتغضى (يتغذى) مرحلتين رحلوا بنا في مرحلة وبعد ذلك روحنا إلى القشلة الحسينيّة كنا نرجوا في المسراح ولّو حكموا علينا نهبطوا إلى العسّة و العسكري واقف في العسّ و النصراني تبصر عليه وتقل له يا محمد اتجاهد فكولك فاطمة وجيت مع هذا كل كل صابرين عليه وصرنا نهبطوا إلى العسّ من القشلة إلى باب البحر و الصرف يخدم علينا من كل حنوت واحنا طالعين من العسه و هو كذالك الله ينصر سيدي و مع هذا كل نبه علينا إذا كان جي متعدّ ضابت (كذا) الفرنصيص و العسكر واقف يبقى يعطيه السلام إلاّ (الذي) ما يعطيش السلام ياكل متين ويزوز إلى الحبس وبعد ذلك أرسلنا إلى البحر وفكوا لنا السلاح في البيرو وخلّونا مثل النسي وهم سلاحهم جملة الفرانصيص و مع هذا إناكلو قليطه في الليل وقليطه في النّهار و الزيت ناخذوا فيه طبق و مع هذا في الأربعة و العشرين ساعة العسكري ياخذ طاصة مي مغليّة قطار مي بحر ومع هذا هو يقلي و عندهم فلوكة مزفتة يصبوه فيها حتى يرجع أكحل كيف القطران ومع هذا مرضت منا عشرين رقبة كان العمر فيه بخير ومع هذا المسلم اجي يلمس طاصة المي و الفرانصيص يضربوا بالدوفينة ويسب له دينه و مع هذا أحنا نرقدوا في االيل (كذا) و الفرنصيص يبدا يعقّس فينا نتكلّموا يتسب دينا و ناكلوا بالدّوفينة وبعد ذلك الدّخان يبيع فيه الفرنصيص بواحد وستين

ريالا ومع هذا صابرين على هذا كل وما عندنا إلا أنت سيدي محمد المرابط و أنت تخاطب فينا على التولي بعد هذا العذاب التي صار فينا و ما نرجعوا إلا ميتين إن شاء الله في الجهاد و هذا ما عندنا عرفناك به من جملة المعسكر بالتمام

و السلام".

رسالة جنود من السّاحل إلى القائد محمد البكوش.

المصدر: أ-و. السلسلة التاريخيّة.ص: 38 ، م : 443 م.

38 - المقاومة بجهة المنستير(أوت 1881)

"السيّد الوزير المقيم العام بتونس.

"المنستير في 11 أوت 1881.

أثناء كتابتي لرسالتي بالأمس 10 من الشّهر الجاري بلغني أنّ 800 عسكري مسلّحين قد تمركزوا بجمّال تحت قيادة باش شاوش سابق وهو المدعى علي بن الحاج حسن الميلي وتحت إمرته ثلاثة أشخاص وهم الحاج علي بن خديجة والحاج مصطفى سرّادي وسعد القم وجميعهم يحاولون تنظيم هؤلاء الجنود وقيادتهم حسب معرفتهم العسكرية التي حصلوا عليها بالجيش التونسي (...)

كما تعرّض بالأمس كل سكّان المنستير أثناء عودتهم من سوق المكنين إلى السلب من قبل سعد القم وبعض من شركائه الذين يشغلون أوقات فراغهم من وظيفتهم الجديدة كزعماء عسكريّين في السّطو على كلّ من يتجرّأ منذ السبت الماضي على المغامرة بالطرقات.

وقد عمّ الهلع بين سكان المنستير (...) وكلّهم يهرّبون عائلاتهم ودوابهم نحو مدن السّاحل.

أما شيخ بنّان فقد أتىّ المنستير محتميا لأن سعد القم أوصى أن يبلّغوه أنه ينوي قتله ليلة الإثنين ويحمل رأسه عربون نصر لجمّال (...)."

رسالة النائب القنصلي بالمنستير إرسّن -Irisson - (11 أوت 1881)

(Q.O. 321, S.C.P., C.61, D.2, FF. 223- 227)

(و خ ف. 321 ، س م س، ص 61 ، م 2 ، وو 223 - 227)

39 -الأوضاع بالمهديّة وتمرّد قصر هلال (أوت 1881)

"سيدي الوزير

يشرّفني أن أعلمكم أنّ الوضع السياسيّ هادئ نسبيّا بالمهديّة غير أنّ السّكّان مضطربون بموضوع الفارّين من الجنديّة وعددهم 800 بأطرافها (...) ويرد على المدينة بدو الجهة وقد رأيت أنه من الحذر عدم مطالبتهم بترك أسلحتهم عند الباب. إنهم أتوا يبيعون كل زادهم من قمح وشعير بأبخس الأثمان لأنهم أذاعوا أنهم سوف يفرّون من جهتنا نحو الجنوب ويلتحقون بقائد الثورة علي بن خليفة (...) إنّ الاتصالات قد انقطعت مع سوسة (...).

يوجد حول مكنين معسكر من الجنود الفارّين عددهم 400 ويرفضون الخضوع وقد هدّدوا الخليفة بأنهم سوف يهاجمون المدينة إن مسّت السلط أحد أفراد عائلاتهم (...) إن الوضع بالمكنين مقلق وإنّ خليفتها وأعيانها ينوون التّوجّه هذا الصّباح إلى المنستير ليشتكوا للقائد سي مزالي. الوضع مماثل كذلك بقصور السّاف التّي هي بيد المتمرّدين من العساكر وعددهم بين 300 و 400 فرد يدعمهم أهاليهم ويحرسون طريق المهديّة وهم على استعداد للمقاومة لو أريد إيقافهم (...)

إنّ قائد حامية المهديّة تصرّف على الوجه الأكمل في إيقافه للفارّين وإنّ عزمه وصلابته تستدعي التنويه، إنّ محمد صفر ضابط مقدام شارك في حرب القرم وهو الآن متفان ومخلص لحكومته ولفرنسا (...) وفي إحدى المقاهي الكبرى بالمهدية ووسط جمع من الزبائن أنّب الجميع بقوّة قائلا لهم "ترون كيف أنّ الفرنسيين قدموا لحمايتكم وأنتم بجبنكم تسمحون بتواجد فارّين بينكم" والتفت إلى أحد الفارّين وأمره بالخضوع والالتحاق بتونس وقد ردّ عليه الجندي بوقاحة أنّه يرفض فما كان من القبطان صفر إلاّ أن انهال عليه ضربا بعصاه (...) وبفضل عزم هذا الضّابط التحق 69 هاربا بمركزهم (...)

وقد حذّرني خليفة المهدية بلخوجة أن عشرة من أعيان المثاليث أنذروا خليفة قصور السّاف أنهم سوف يعلنون عداءهم له ويتصرّفون تبعا لذلك لو أوقف المتمرّدين من الجنود (...)."

تقرير النّائب القنصلي بالمهديّة كرتان -Cretin- (22 أوت 1881)

(Q.O. 321, S.C.P., C.61, D2, FF. 313- 316)

(و خ ف 321 ، س م س، ص 61 ، م 2 ، وو 313 - 316)

40 - الوضع بالسّاحل بعد احتلال سوسة

"من الأمرال كنراد (Conrad) القائد العام لفرقة المشرق إلى وزير البحريّة و المستعمرات.

"سوسة في 13 سبتمبر 1881 .

"{بعد دخول العساكر الفرنسيّة مدينة سوسة يوم 10 سبتمبر}(...) اتّخذ القائد الجنرال البكّوش إجراءات احتياطيّة لتفادي أي عمل عدائي أو تعصّب ديني من قبل السكّان العرب. و بالفعل لم يحدث شيء من ذلك بل أنزل جنودنا في قصبة شاسعة في قلعة البحريّة وهم في ظروف صحيّة و عسكريّة أحسن ما عليه في جميع نقاط المملكة التي نحتلّها.

سوف يقام مستشفى كبير و في هذا الشأن لا يدّخرالجنرال البكوش ما في وسعه و هذا نادر عند موظّف تونسي لإعطاء الأوامر الضّروريّة لضمان راحة عساكرنا.

قامت قوّاتنا باستطلاعات وتبيّن أنّ العدوّ قد تراجع في اتّجاه زغوان وربّما أكثر في اتّجاه الغرب نحو الحدود الجزائريّة. لقد استسلم أهل حمّام سوسة و أكّودة في الحال و جلبوا للمدينة 63 فارّا من الجيش التّونسي لكن جوبهنا مباشرة من سكّان القلعة الكبيرة الذين تورّطوا في الأعمال العسكريّة الأخيرة ضد رتل كرّيار (Corread) عند تقهقره من الأربعين إلى حمّام الأنف. إن لم تستسلم هذه القرية في غضون اليوم فإني سأقنبلها من البحر إن أمكنت رؤيتها و ذلك بطلب من الجنرال البكّوش (...) يسود الهدوء التّام المنستيروقد اقتاد لها أعيان القرى المجاورة 70 هاربا من الجنديّة(...)."

تقرير الأمرال كنراد - Conrad - " (13 سبتمبر 1881)

(Q.O. 322, S.C.P., C.62, D.1, FF.223- 226).

(و خ ف 322 س م س، ص 62 ، م 1 ، وو 223 - 226)

41 - تحرّك علي بن عمّار و تمرّد عروش جهة الكاف.

" الكاف في 23 سبتمبر 1881 .

"إنّ علي بن عمار مازال "بالغرفة" يرسل بدوريّات استطلاعيّة كثيفة نحو خنقة الخديم حيث أقام في مدخلها مركز مراقبة وتنطلق كتائب مكوّنة مابين 150 و 200 فارس لتصل البحيرة و حتى الطريق و معها أوامر بإشعال النّيران لو شاهدت إحدى فرقنا في هذا الاتّجاه (...). إن تصرّفات عروش الونايفة أصبحت مريبة أكثر فأكثر و إني أعتبرهم كلّهم في صف الثّورة و لا يترقّبون إلاّ تقدم الفراشيش و ماجر نحو الشّمال ليفصحوا أكثر عن نيّتهم(...).

ويضم فريق الونايفة: الوراغة، شارن، الخمامسة، الزغالمة، أولاد يعقوب، أولاد بو غانم أي القبائل الكبيرة لجهة الكاف و منها إثنتان تتحكّمان في طرق اتصالاتنا عبر سيدي يوسف وغار الدّماء.

كما أملك معلومات سيّئة جداً على الجنادبة الذّين هم في اتصالات دائمة مع علي بن عمّار (...)."

" de la Roque - تقرير قائد حامية الكاف الكولونال دولاروك

(Q.O. 322, S.C.P., C.62, D.1, FF.275- 276).

(و خ ف 322 ، س م س، ص 62 ، م 1 ، وو 275 - 276)

42 - عمليّة وادي الزرقاء (3 أكتوبر 1881).

"انطلق القطار عدد 2 من باجة على السّاعة الرّابعة و النّصف صباحا محمّلا بالجنود في اتجاه وادي الزّرقاء وفي النّقطة الكيلومتريّة 102 أصابت طلقتان مؤخرة القاطرة واشتعلت النّيران في عربة أخرى بينما كان أربعون فارسا يصعدون تلال الضفّة الشرقيّة لمجردة وقد نزل الأرض أربعون جنديا حيث وقع تبادل النّار و شوهد عديد المتمرّدين يسقطون وقد تمكّن القطار من التقدّم ومرّ بالقنطرة عدد 11 و كانت أرضيتها تحترق.

وعند مرور القطار بالقنطرة عدد 10 كانت النّيران تشتعل بها كذلك بحجرة المراقبة بالنّقطة الكيلومتريّة 98 وقد وضعت في عرض السكّة على بعد 400 متر من القنطرة كومة لجاف (Traverses) ممّا أجبر القطار على التّوقّف فتعرّض في الحين لإطلاق الرصاص من عرب كانوا كامنين و لم يواصل سيره إلاّ في الخامسة، والربع مع استمرار الطلق في اتّجاه المعتدين.

بعد خمس دقائق و عند المرورببيت المراقبة 29 الذي حرق يوم 30 سبتمبر و كانت الحشائش تغطّي الخط عند المزلقان حيث رفعت السكّة اليمنى و رغم محاولة إيقاف القطار، خرجت القاطرة مدفوعة بالعربات الخلفيّة عن السّكة و في الحين استقبلها العرب بوابل من الرّصاص. وقد قفز كل الجنود أرضا واتخذوا مواقعهم للرّد على الهجوم و تواصلت هذه المعركة حتى السّادسة والربع وقد ذكر الفنّي سي التركي وهو شاهد عيان أنه لاحظ سقوط 12 عربيّا لكن يصعب تقدير خسائر العدوّ لأن العديد من المتمرّدين كانوا مختفين وراء الأشجار من جانبنا جرح ثلاثة جنود أحدهم في حالة خطيرة و رضّ السائق ماكوتا (Macotta) في جبهته (...).

=تونس في 3 أكتوبر 1881

=مهندس الشركة ج ديبوس - J. Dubos - "

(Q.O. 322, S.C.P., C.62, D.2, FF. 55- 58).

(و خ ف 322 ، س م س، ص 62 ، م 2 ، وو 55 - 58)

43 - احتلال القيروان (26 أكتوبر 1881)

"تونس في 28 أكتوبر 1881 ، التاسعة و 20 دق. صباحا.

"أرسل لي عوننا بسوسة البرقيّة التالية:

"دخل الجنرال إتيان (Etienne) يوم 26 أكتوبر القيروان التي رفعت الراية البيضاء وفتحت أبوابها دون شروط وقد احتلت قصبتها إحدى كتائبنا. إنّ الجنرال إتيان (Etienne) لا خبر له عن طابور زغوان. انسحبت عروش جلاص نحو غربي القيروان"

(Q.O.322, S.C.P., C.62, D2, F.326).

(و خ ف 322 ، س م س، ص 62 ، م 2 ، و 326).

44 - تقدّم الجيش الفرنسي بالوسط والقبض على سعد ثم.

الحمد لله

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلّم.

الصدر الهمّام الفخم أمير الأمراء الوزير الأكبر سيدي محمد أدام الله إجلاله(...) وبعد فقد عرفنا السيادة قبل هذا لما بلغ كما بلغ إلينا من خروج طايفة من العسكر الفرانساويّة من القيروان بقصد التوجه للمثاليث ومرورها يكون على أعراب كركر وبلد الجم ثم الآن ورد التعريف من خليفة المستير بأنّه بلغه من مشايخ عميره وأنّه ورد لهم خطاب من أمير الحملة المشار إليها بأن يقابلوه ببلد الجم وأنّه لمجرّد ما بلغه ذلك كاتب مشايخ عميرة و الخليفة ومشايخ بالجم في الوصاية بقبول الحملة بما يناسب من التّرحيب وتعظيم أميرها وتعريفه بما هم عليه من الوقوف في خلاص حقوق الدولة ومساعفته في جميع ما يطلبه منهم إلى غير ذلك من الوصاية و التأكيد في هذا الشأن.

كما عرف بأنّه ورد الخبر من شيخ بومرداس بوقوع التمكّن على سعد قم البناني بقرب بلد الجم وأنّ الذي تمكّن عليه هو الشيخ أحمد بن حسين الحدسي و إبنه سلمه للباش شاوش سي حسين عطيّة خليفة المكنين و المذكور سلّمه لأمير المحلّة بالجم و أنّه بلغه أنّ الباش شاوش المذكور استأذن نايب قنصل الفرنسيس بالمنستير في التوجّه للمحلّة بإذنه بذلك و أعطاه مكتوبا لأمير المحلّة وتوجّهه للجم هو و مشايخ المكنين من غير أن يستأذن من خليفة المنستير في ذلك وبلغ للخليفة أن الباش شاوش قابل بمشايخ عميرة أمير المحلّة ولم يفرض عليهم أداء شيء بعد أن عزم على ذلك لأنّه على ما قيل أن البعض من المثاليث عرفوا أمير المحلّة بأن أعراب عميرة ملحقين بهم ولمّا ثبت عند أمير المحلّة أنّهم من عمل المنستير ترك مطالبتهم.

كما عرف خليفة الجم بوصول المحلّة لبلدهم في يوم الجمعة 24 الفارط من الشهر المنصرم و أنّهم قبلوها بالتّبجيل والترحيب وتلقوها سائر الأهالي بما يناسب و أحضروا ما لزم حضوره من الماء و التبن و الحطب (...) و عرف الخليفة أيضا بوقوع التمكن على سعد قم المذكور وتسليمه لأمير المحلّة ورحلت به المحلّة وهو راكب على قباض المدفع (...) والسلام من معظم قدركم فقير ربّه أمير الأمراء محمد البكوش المكلف بالسّاحل. في 11 صفر الخير سنة 1298 (الموافق لـ 22ديسمبر 1881)"

رسالة محمد البكوش قائد الساحل إلى الوزير الأكبر محمد خزندار.

المصدر: أ-و. السلسلة التاريخيّة. ص:39 .م : 444 -

ARCHIVES GÉNÉRALES
DU
GOUVERNEMENT TUNISIEN

نسخة من جوابه الى بعض بني هليص عن نفس السنة

25

الحمد لله صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

اعوض لوجيه الماجب ابي الماجب الصيد محمد بن خليفة عامل بفاس حرسه الله تعالى اصلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فانه بلغني كتابكم المورخ في من شهر اثنين وليس بي فاذكر فتوى من حسن نيتكم وانا فاذكركم على كما عهدتم فيّ اني لم اقصد غير ومولانا وعلمة ما يشاوه فيلزمنا اداء ما الله تعالى كما سألنا بني ما انا فيه اصباح الاغراق العشر تشمل اهل صيافس واهل اجاديه وعلمت جميع ما ذكرتم وانا اقسم بالله الذي لا اله الا هو ان هذه الشهور بعد نصاوبه بشهر كامل وكل تخالف الشهر بعشرة ايام وانا اقسم بالله الذي لا اله الا هو ان هذه الشهور بعد نصاوبه بشهر كامل وكل تخالف الشهر بعشرة ايام وانا اقسم بالله الذي لا اله الا هو ان هذه الشهور بعد نصاوبه بشهر كامل وكل تخالف الشهر بعشرة ايام

ربنا اتاهم اجدهم ان عقد الشهور وكل ما رجوه لهلال واصل لهلال وانا اقسم بالله الذي لا اله الا هو ان هذه الشهور بعد نصاوبه بشهر كامل وكل تخالف الشهر بعشرة ايام

الجزء ليس له نصر الا بعقد الشهور وكل ما رجوه لهلال واصل لهلال وانا اقسم بالله الذي لا اله الا هو ان هذه الشهور بعد نصاوبه بشهر كامل وكل تخالف الشهر بعشرة ايام

عمدة تشهروا بن نصاوبه اربعة بن ساعد ما بم يكن لذلك الجزء اصل في عبد الله الامر وانا اوما يكل انا ان ونعم لهم الشهور من اصباح انطاباب وغفلوا عن عمانة الامر.

بتسبيب عمليه غلط اجدهم وهو في الحقيقة اجدهم بما تقول انه اهانة واما اذا كم تغفلوا عن هذه اعظم لولا حلم مولانا عن عمكم وشفقته على رعايا وانا اذا كم تغفلوا عن هذه الجزء يا اوتجهلوه حال اذا بعثت ان لم يصل قلبي من اهل الدراية انا غلط او يا يكل انا ان ونعم كانت الدولة اجمعهم الله تعالى بما تضمنه مكتوبكم من انتصل بما اتشيع عمكم واذا هو بفضل الله كم بكلام مولانا ايده الله نصر الله محض الغرض والله اعلم بما يجعلها اجره من اجراء انا ان كان نذكر عمليكم في هم بعقلته وراقته على من فلذ الله امر فقم بما يجعلها اجره من اجراء انا ان كان نذكر عمليكم في هم بعقلته وراقته على من فلذ الله امر فقم

الحاكين عملي جلب ما قبل لهم به هيئ من تاقبوه بعوائد الامور ما يدريها الا الله نفسه ونذكم لنا كر على اهل الحق بث النصيحة وانتم اوني بها واحق وليصل اليكم مع هذا اجرا يدا تتوفيه الفن بي الشهور وكل الذكر وعنه يتبين لكم حقيقة الامور وخلاف ما وقعت به الاعتماد عمدة وابي اما ان تنتفع فنكم التعريف بالفلاح بما اوجب التحقيق وجب انتظار والله الهادي بارب سواه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه اجمعين

امير الامراء محمد البكوش عامل اطاحل

الحرر

الارشيف الوطني التونسي

Source : Série H. C.215. D.307

45 - مذكرة الكمندان برطون (Breton) حول وضعية بقيّة جيش الباي (أكتوبر 1881).

"إنّ العساكر المجمّعة بمعسكر سي علي باي و المستخدمة في تونس أو بالنّقاط الأخرى التّى حدّدناها لها تنقصها الرّواتب و المؤن كما لم تصلها الحصص من الطّعام التي خصّصناها لها لذلك فإن الفرق التي بقيت بمراكزها و حافظت على هيئة ليست رثّة جداً مصابة بالإحباط. إن الأغلبيّة التي بقيت بعد الفرار من جنود زواوة سرّحت والآخرين على أبواب الطّرد. سوف يحتفظ بفرقة المدفعيّة و النّضاميّين و بعض الحنفيّة والصبايحيّة. ويمكن الإبقاء على هؤلاء على أمل أن نكوّن منهم نواة جيش (...) و لعلّه من الحكمة السياسيّة في هذا الوقت أن نضمن لهم الأجر و الغذاء الإعتياديّين و نعرّفهم بأنّ ذلك منّا وبمشيئتنا (...) إنّ هذا الإجراء ستكون له نتائج طيّبة ويغنينا عن عديد المتاعب و ربّما مصاريف ثقيلة لإعادة تنظيم الجيش و لن نخرج منها إلاّ باحتلال كامل للبلاد (...)"

(Q. O. 322, S.C.P., C.62, D.2, FF.346- 347)

(و خ ف 322 ، س م س، ص 62 ، وو 346 - 347)

46 - قائمة القطع الحربيّة الرّاسية بالسّواحل التونسية في 4 أكتوبر 1881.

"- القاليسونيار(La Galisonnière): تحت قيادة العميد بحري كنراد (Conrad)

- روفـــــانش (Revanche): بارجة فرقاطة.

- ران بلانش (Reine Blanche): بارجة.

- كسّـــــــار (Cassard): طرّادة.

- لاتوش ترفيل (La Touche Triville): سفينة حربيّة خافرة.

- أسـبـــيـــك (Aspic): مدفعيّة. (Canonniere)

- ستنـــدار (Stendard): مـدفعيّة.

- الشـــاكال (Chacal): مـدفعيّة.

- قلادياتور (Gladiateur):مـدفعيّة.

- ســـــارت (Sarthe): باخرة نقل و مستشفى.

- فيـــــان (Vienne): نـقـل."

(ملحق برسالة لوزارة البحريّة بتاريخ 4 أكتوبر 1881)

(Q.O.322, C. S:C.P. 62, D.2, FF. 65- 66)

(و خ ف 322 ، س م س، ص 62 ، م 2 ، وو 65 - 66)

47 - قائمة لمختلف الوحدات المحتلّة للمدن الساحليّة و غيرها في 4 أكتوبر 1881.

"باريس في 4 أفريل 1881

"السيد الوزير و الزّميل العزيز.

"(...) إن مختلف المدن السّاحليّة التونسيّة تحتلّها الحاميات التالية من المشاة:

- طبرقة : كتيبة واحدة.
- بنزرت : كتيبة واحدة.
- سوسة : لواء من 7 كتائب.
- صفاقس: فوجان.
- قابس : ثلاث كتائب.
- جربة : فوج واحد.

أضف إلى ذلك قوات أخرى عديدة مستقرّة في أحواز تونس أو تحتل نقاطا أخرى من شمال البلاد وهي:

- الكاف: ثلاثة أفواج.
- غار الدماء: فوج واحد.
- فرنانة: كتيبة واحدة.
- باجة: كتيبة واحدة.

هذا دون حساب ثلاث كتائب بعين دراهم في وسط جبال خمير. (...)"

من رسالة وزير الحرب إلى وزير الشؤون الخارجيّة (4 أكتوبر 1881)

(Q.O.322, S.C.P., C.62,D2, FF.66).

(و خ ف 322 ، س م س، ص 62 ، م 2 ، و 66)

ج - موقف السلط والأعيان المحليين

48 - موقف شيخ الإسلام من الاحتلال.

"في مساء تلك الليلة المضطربة (الليلة الفاصلة بين 11 و 12 ماي 1881) زرت أحميدة بلخوجة شيخ الإسلام أي أعلى سلطة دينيّة بتونس و كان يسكن قلب المدينة العربيّة (...) و كما هو منتظر كان سي أحميدة شديد الانشغال بما حلّ بالمدينة و ببلده من مصائب و في الحال اندفع يناقش القضيّة المنكّدة باللّغة العربيّة الفصحى و قد صرّح أنّه شخصيا و كذلك إبنه و إخوته نصحوا في جوامع تونس منذ بداية التعقّدات و بكل مثابرة الخاصّ و العامّ بالصّبر و عدم المقاومة والطّاعة المطلقة للباي و كاتبوا في هذا الاتجاه كل منظوريهم بالقيروان وبكامل المملكة. مع ذلك بلغه أنّه يتردّد في أوروبا أنّه نودي لحرب دينيّة وأنّه وقع اكتشاف مؤامرة ثوريّة بالجامع الرّئيسي بتونس، ومن المؤكّد أنّ النّبأ خاطئ. و قد ذكر أنّه قال للنّاس بما أنّكم ضعفاء لا يمكنكم مقاومة المحتلّين و إن أردتم ربح تعاطف أوروبا فيجب أن تحوزوه بالصوم. و حتّى أن أبيدت الثروة الوحيدة للتونسيين من قطعان و حيوانات فإنّ صبرهم هو الكفيل لضمان المساعي الحميدة للأمم الصديقة عندما يشاع جور الغزو"

BROADLEY (A.M.), *La dernière Guerre Punique, Tunis, passé et présent avec un récit de la conquête française de la Régence*, William Rock and Soons, Edinbourg et Londres, 1882, Vol. II, pp. 305-306, (trad. fr. P. Grandchanp).

49 - خيـــانة البـــاي

"الباي باع الوطن بيع الشـــوم باعـث علينـا يلـــوم
قال: أفرحوا بامحال ولد الروم (بـــاردو) تملـــك بيـــه
يحوم على "الابكار" من ترضيه
البـــاي باعـــه بيـــع مـــا عادلـــه ترجيـــع
(و الكاف) ولى في الكلام نطيع لا مـــن توقـــف فيـــه
و بنزرت خالية و راحت اماليه
البـــاي بـــاع الوطن بتصحيح مـــا عـــاد فيـــه مليح
واللي يعينه في الجهاد يصيح يخـــف يســـرع ليـــه
الجنـّة تفتحـت ليـــــه
الباي باع الوطن بيع الشـين غـــرّد عليـــه البـــين
يا ملا على سكة أولاد حســين بـــاع أصلهـــم بيديـــه
ركوب الكراسي حارمين عليـه
الباي بـاع الوطن كيف يصير مـــا عـــاد لـه تدبيـــر
الله ينصرك يا جبل خميـــر اللـه ينصره و يحميـــه
القطب و الصـلاح داير بيـــه"

لشاعـر مجهـول

المصدر: بلحولة محمد علي، الجهاد التونسي في الشعر الشعبي: مائة عام من تاريخ تونس، تونس، 1978 ، ص. 63 .

50 - تعاون قدّورالميزوني شيخ الطريقة القادريّة مع جيش الإحتلال.

"الكاف في 24 أفريل على الساعة 7 و 15 دق. مساء.

كـاتبني الشيخ قدّور رئيس طريقة سيدي عبد القادر يسألني عمّا يجب أن يفعله و قد أجبته بأن لا يخشى شيئا ونصحته بأن يتمادى في تعامله الطّيب معنا."

"الكاف في 24 أفريل 1881على الساعة 8 مساء.

أبـدى الشيخ قدّور استعداده لأن يذهب في استقبال قوّاتنا و أن يقدّم ولاءه للجنرال لوجرو (Logerot) و إني أعتقد أن هذا المسعى سوف يكون له الأثر الطيّب لذلك سوف أمنحه كلمة توصية للغرض إذا لم يكن ثمّة رأي أحسن منه"

برقيّتا برنارد روا (B. Roy) النّائب القنصلي بالكاف
(Q.O. 317, S.CP. C.57, FF.451-452).
(و خ ف 317 ، س م س، ص57 ، وو451 -452)

رد القنصل الفرنسي على برقيّتي النائب القنصلي برنارد روا (B.Roy)

"تونس في 24 أفريل 1881 على الساعة الثامنة و 50 دق. مساء.

"إني آذن لك بتسهيل ما عزم عليه الشيخ قدّور و فعل كلّ ما من شأنه أن يمنع إراقة الدّماء هباء(...)."

(Q.O. 317,S.C.P, S.CP. C.57, F. 452.)
(و خ ف 317 ، س م س، ص57 ، و 452)

51 - تعاون الباي مع جيش الاحتلال.

"تونس في 19 أوت 1881.

"سيّدي الوزير.

(...) أمّا فيما يخصّ موضوع المساكن فإنّ الباي قد منحنا وبدون أي صعوبة البناءات التي يملكها أو التي هي على ملك الدّولة من ذلك ترسانة حلق الوادي وقصر الحريم القديم بهذه المدينة وقصره بحمّام الأنف وثكنة الخيّالة بمنّوبة كما أمر بإخلاء دار الجنرال رستم بهذه البلدة لتحوّل لمحلّ إسعاف. إنّه ليس من المعقول إذا أن نطالبه بتعويض الملاكين والكرّائين الذين نحتاج لمنازلهم(...)"

تقرير روسطن (19 أوت 1881)

(Q.O. 321, S.C.P., C.61, D.2, FF 273- 277)

(و خ ف 321 ، س م س ، ص61 ، م 2 ، وو273 - 277)

52 - رد أعيان قابس على رسالة الكمندان ديبون (Dupont) قائد الباخرة دزائي (Desaix) في 19 جويلية 1881. (مترجمة).

"الحمد لله وحده

"السيد الكمندان والسيد هنري سيكار (H.Sicard) السّلام عليكما .

عند وصولكما قابس عرفتمونا بمواقف حكومة جلالة الباي وفي هذا الموضوع لم تصلنا أي وثيقة حسب الإجراءات المعمول بها. وقد أوفدنا إليكما السيّدين عبد الله السويحي وعلي المثناني وقد عادا باستفساراتكما (...) أولا فيما يخصّ خضوعنا لسلطة الباي فجوابنا أنّنا خاضعون له ولا يمكن أن نتمرّد عليه وبرهاننا في ذلك أنّنا كلّفنا أفرادا منّا بحماية مداخيل جلالته. أما فيما يخصّ رحيل الخليفة فإنّه عندما ثار البدو خاف وقد خفره أعيان البلاد في طريقه. يبقي أن البلاد ثارت نتيجة ما وصل من خبر بأن الفرنسيّين قادمين لقابس وأنّ فرنسا كانت في شمال البلاد ودون أن يحاربها أحد قامت بصورة غير شرعيّة بالتقتيل والغصب ونفت لفرنسا العديد بدون سبب وإنّكما تعلمان لو أنّ الفرنسيين ينزلون بلدنا سوف نحاربهم لأنّكما تجهلان طبيعة العرب المستوجبة السّياسة والصّبر. أمّا فيما يتعلّق بقتل اليهودي فإنّنا لا نعرف شيئا عن ذلك (...).

والسلام من أعيان قابس

حرّر في 23 شعبان 1298"

الرسالة بدون أي إمضاء.

(Q.Q. 320, S.C.P., C.60, D.1, FF. 349- 350)

(و خ ف 320 ، س م س، ص 60 ، م 1 ، وو 349 - 350)

53 - دعوة أهل جبال مطماطة للطّاعة والكفّ عن العصيان.

"جبل مطماطة — جبل بني زلطن

جبل بني عيسى — جبل توجان

جبل الزراوة — جبل توجرت

جبل تمزرط

في 23 رمضان سنة 1298 (الموافق لـ 8 جويلية 1881)

"وبعد كنت كاتبتكم بالقدوم لعرضنا بالأمان التام مع جملة أعيان أهل الأعراض و الحال أنّه لم يتيسّر و المنهي لكم الآن أن تقبلوا منّي النصيحة التي تؤول لإصلاح دينكم ودنياكم أنكم تجيبوا (كذا) لطاعة سيدنا ومولانا أيّده الله كان في ذلك راحة السكان وغاية المنى و العمران ولا يغرّنكم ما يقع عند تخمينكم وتدابير غيركم أن ذلك لا أصل له لأنّ مولانا وسيدنا أبقاه الله يده طايلة ولا يريد إلاّ عمران بلده وراحة سكانها وان قابلتم تلك النّعمة بالعصيان و المخالفة فيخشى عليكم ان قابلكم راعاه الله بالبطش و الانتقام ولتعلمن أنّكم لا تقاس بما يقاس به غيركم من العربان وإنّي لا أظن بكم إلاّ الخير إن شاء الله و من أنذر فقد أعذر والدين النصيحة و إن هداكم الله تأتوا لنا فورا من غير تراخي لنبدي لكم ما فيه مصلحتكم و مصلحة بلادكم وربنا يهدي الجميع لما فيه الخير و إن ظهر لكم عدم الإجاب (كذا) و القدوم و حاشاكم من المخالفة تعرفوني ما سبب ذلك لنكن على بصيرة وفيه كفاية لمثلكم و السلام

الإمضاء: حيدر باشا آغة"

نصّ المكتوب الذي وجّهه عامل الأعراض لأهل جبال مطماطة.

المصدر: أ-و. السلسلة التاريخيّة، ص: 215 ، م: 300 .

54 - شكر أعوان المخزن على الطّاعة.

"خليفة أولاد شهيدة من الودارنة

خليفة أولاد دبّاب منهم

خليفة العمارنة منهم

خليفة الحميديّة منهم

قاضي الخزور و المشايخ و الأعيان من ورغمّة

جملة مشايخ التوازين و الأعيان منهم

مضمون المكاتيب الموجّهة للمذكورين أعلاه

في 24 رمضان 1298 (الموافق 9 جويلية 1881)

وبعد نعلمكم أنّنا قدمنا إلى بلد قابس في 12 شهر التاريخ على خير وبلغنا عن سيرتكم أنّها حسنة وطايعين أوامر سيدنا و مولانا أيّده الله وذلك هي مصلحتكم واستحسنّا منكم ذلك كثيرا وشكرناكم لحضرة مولانا وسيدنا أدام الله بقاءه وهذا ما نعلمه منكم إنّ فائدة الجميع في رضاء جنابه أيّده الله وأوصيكم بأن لا تلتفتوا إلى الأقوال الكاذبة وإلى ما تفعله بعض العربان من العصيان و المخالفة المضرّة بهم وسترون ما تكون عاقبتهم من الانتقام و لا أوصيكم بعد هذا و السلام.

حيدر باشا آغة"

مكتوب عامل الأعراض إلى أعوان المخزن.

المصدر: أ-و. السلسلة التاريخيّة، ص: 215 و م : 300 .

55 - محمد الصّادق باي يهنّئ روسطن إثر احتلال صفاقس.

" تونس في 17 جويلية 1881، الساعة الثانية و 22 دقيقة ليلا.

" إنّ الباي الذي أنبأته بسقوط صفاقس أجابني بالبرقيّة التاليّة:

لقد اتصلنا بالمتّلغراف الذي أرسلتموه لنا والذي احتوى الخبر الطيّب ألا وهو أن جنود الحكومة الفرنسيّة الصّديقة الذين تحوّلوا لصفاقس لمقاومة المتمرّدين قد تمكّنوا من النّزول بها واحتلالها لكي يعود الاعتراف بالسّلطة كما في السّابق. ولقد سعدنا بهذا الخبر و نتمنّى أن نعلم كذلك أن العساكر وضبّاطهم يتمتعون بصحّة جيّدة. كما نشكركم حيث تفضّلتم بإعلامنا وبسرعة بهذه البشرى".

روسطن.

(Q.Q.320, S.C.P.,C.60, D1, F.222)

(و خ ف. 320 ، س م س، ص 60 ،م 1 ، و 222)

56 - فشل المخزن في حفظ الأمن.

"الحمد لله وحده

وصلى الله . لمى سيدنا محمد وسلّم تسليما كثيرا.

"مقام الهمام المفخم أمير الأمراء وعامل السّاحل سيدي محمد البكوش (...) وبعد والذي نجيب به إعلام السيادة الخير هو لما كثرت علينا النّهابة من الوطن القبلي وخبر المرّوا بوطننا تكن عدتهم أربعين فارسا تفزع معهم فرسان من وطننا ومن كل فرقة ويجتمعوا (كذا) خيول كثيرة ويغوروا على المسلمين والقلالة و المساكين وكثرت علي الناس المنهوبة أرزاقهم أين نفدت مصلحة كاتبت الرجالة الكبار متاع وطن اجلاص بأن يعينوني في تمهيد الراحة ونهي السّفهاء فبعثوا لنا سيّار وأخبروا بأن تجتمع أولاد سعيد ومعاد (كذا) اجلاص يوم الإثنين 12 بالشهر التاريخ بالولي الضريح الشيخ الكامل سيدي سعدان وينسق عن السفهاء منا ومنهم فصوغنا ذلك باليوم المذكور لمحضرنا ونهوا عن النهابة و السفهاء بلسان طويل وجعلوا عليهم رجالة كبار الذي تنهيهم بالقهر وقرينا الفاتحة على ذلك بالشيخ المذكور و إن شاء الله يثبت هذا العهد وتتمنا القلالة و المساكين بأماكنها و أيضا سيدي كلام الأعراب الذي لم يثبت لا فائدة فيه و كذلك سيدي نطالب فضل الله ثم فضلكم أن تجعل لي تأويلا نخرج به على حسن حال من هذه الكلفة لأني نخاف من تدليس العربان إني كاتبتك في شأن هاذا (كذا) القول مرارا و من الجملة أوصيت لك مع الحاج الفجري بن حميدة و شكالك مشافه و أنت غفلت عليّ أظنك مشتد الغفلة و أنا خايف كثير اعلمني في بالك اقسمت عليك براس أسيادي وربنا يبقي لنا وجودكم و السّلام. من فقير الله أمين الحاج الواعر. في رمضان المعظم 1298(الموافق لـ جويلية 1881)"

رسالة من الحاج الواعر لمحمد البكوش عامل السّاحل.

المصدر: أ-و. السلسلة التاريخيّة، ص: 38 ، م: 443 م.

57 - فشل قائد الأعراض في تهدئة المتمرّدين.

"عـــــــرش نـــفـــــات	البعـــض مـــن الهمامـة
عـــــــروش بـــنـــي زيـــــد	أهـــل بـــلـــد وذرف
عـــــــرش الحـــمـــارنـــة	أهـــل بـــلـــد غنوش
أهـــــل بـــلـــد المـــنـــزل	أهـــل بلد شننّي قابس
أهـــــل بـــلـــد الحـــامّة	أهـــل بـــلـد بـــوشمّة
أهـــــل بـــلـــد المـــطويّة	عـــرش العـــلايـــة
أهـــــل جـــبـــل بني زلـــطن	أهـــل بـــلـد الزّارات
البعض من عرش الحرازرة من ورغمّة	أهـــل جـــبـــل تـــوجان
عـــــــرش الحـــــــزم	

"الحمد لله

وصلى الله على سيّدنا محمد و آله و صحبه و سلّم

الصدر الهمام العمدة الأفخم أميرالأمراء سيّدي مصطفى الوزير الأكبر (...) وبعد فالذي أنهيه لسعادتكم هو أنّي نزلت إلى بلد قابس عشية يوم 12 الخميس الفارط على أحسن حال و توجّهت أولا إلى محل المحترم السنيور الكنونير جمي قائد الجيوش الفرانصويّة بالمكان وقبلني قبول حسن الغاية و تخاطبنا بعض الخطاب ثمّ توجّهت إلى بلد جارة البرانية وجعلت سكنايا بها في الدارالتي كانت مقرّ سي العروسي بو صرّه عليه رحمة الله ووجدت بالبلد المذكورة قدر طابورا (كذا) من العساكر الفرانصويّة عسة علينا و على أهل البلد المذكورة خوفا من العرب (...) وثبت أنّ سي علي بن خليفة نازل في رأس وادي قابس يبعد عشرة أميال على البلد المذكورة ومعه السبعة عشر عرشا المبينين أعلاه وإلى الآن تجتمع عليه العروش شيئا فشيء وعلى ما بلغنا أنّهم يريدون الإغارة على بلادي (كذا) جارة الدخلانيّة والبرانيّة لأنّ أهلها لم يتبعوهم بل إنّهم سامعين طائعين للأوامر العلية ولم يصدرمنهم عيب ولا معصية ثمّ غدى(كذا) صبيحة يوم 17 الجمعة أتاني السنيور الكنونير المذكور إلى محلّي بجارة و تكلمنا في المصلحة واتفقنا على أن

نجعل كل الوسائل السياسيّة في هناء هاته العروش ورجوعها لأماكنها من غير حرب وسفك الدماء فأرسلت مكتوب إلى الشيخ القاضي السيّد عبد العزيز الحمروني ليقدّم لنا لأنّه مقرّ في بلد زريق فوجده السيّار عند سي علي بن خليفة فبلغه المكتوب فقدم في اليوم المذكور فعرفته بجميع الأمور التي تقتضي الهنى و أن يكون في إعانتنا على ذالك فعرفني أنّ سي علي بن خليفة وجملة أهل الأعراض يريدون مقابلتي فأرسلت معه مكتوب إلى سي علي المذكور وجملة المشائخ و الأعيان من أهل الأعراض ليقدموا إلينا وتقع مقابلتي معهم في ضريح سيدي أبو لبابة الأنصاري رضي الله عنه لكن بشرط أن يأتوا في نفر يسير من المشائخ والأعيان فقط وفي صبيحة يوم 18 السبت أتى جمع غفير من العروش المذكورة ما يقرب على خمسة مائة نفر ما بين راكب وترس وطلبوا بأن نتوجّه لهم بنفسي منفردا من غير عسكر فظهر لي منهم الخيانة فأرسلت إلى الشيخ القاضي فأتى وتوجّهت معه إلى السنيور الكنونير المذكور وأعلمناه بأنّ العرب عقولهم قاصرة وإن كان ولا بدّ من وقوع شروط عليهم مثل تسليم السلاح منهم و أداء مصروف الحرب يتأخّر الآن ولا نعلموهم بذلك لربّما يقع لهم التشويش ولما يتفرّقون إلى أماكنهم يقع معهم كل شيء بسهولة فوافقنا السنيور الكنونير على ذلك فأعلمت الشيخ القاضي بأن يأتي البعض منهم ألينا ببلد جاره ونتكلّم معهم ويذهب ويأتي غيرهم و عليهم ءامان (كذا) الله منّا ومن العساكر الفرانصوية فأبوا ذلك ولم يأمنونا فأعلمته أيضا بأن نجعل خباء بعيد عن المنزل بقرب العساكر الفرانصوية ويأتوا لمقابلتي فيه فأعلمني الشيخ المذكور أنّهم لم يوافق ذلك وأن سي علي بن خليفة لم يأتى معهم بل أتى إبن أخيه وهو الحاج محمد بن صالح ثمّ طلب منّا الشيخ القاضي بأن تكون مقابلتي معهم في داره قرب المنزل على شرط أن يأتوا ثلاثة أو أربعة أنفار من كبرائكم ونتكلّم معهم ثمّ يرجع ويأتوا غيرهم مثلهم وهكذا إلى أن يقابلونا قدر ثلاثين منهم وباقيهم يرجع إلى رأس الوادي وذلك خوفا من أن تقع المناوشة بينهم وبين العساكر فكان من الأمر أنّهم أتوا جملة واحدة تقرب من خمسين نفرا وباقيهم مكمنين وراء سيدي الصحابي وبلغني أيضا أن في الوقت المذكور اجتمع خلق كثير في بلد المنزل و أطلقوا ثلاث وجوه على بعض من العساسة الفرانصويّة وفي اليوم 18 المذكور ألهبوا النّار في دار التلغراف فأحرقوها وفي بعض ديار يهود حماية فرانصة وإن بلاد المنزل خالية لا فيها لا بيع ولا شراء فبسبب ذالك ظهر(كذا) لي منهم أتمّ الخيانة فعدلت عن التوجه إليهم وأرسلت إلى الشيخ القاضي ليأتي إلينا فرجع إلى زريق ولما أتانا

وفي عشيّة أمس التاريخ أخبرنا السنيور الكنونير أن في ليلة التاريخ يريد اطلاق بعض البومبات على بلد المنزل لأنّ أهلها مكمنين فيها ومهمى (كذا) يرون بعض من العساسة يطلقون عليه البنادق فجاوبته بأن يفعل ما يظهر (كذا) له لأنهم جنوا كثيرا فأطلق عليهم عشرة بومبات بعد الغروب بساعة ويوم 19 التاريخ أعلمني الكنونير المذكور بأن نرسل إلى الشيخ القاضي ليقدم ويعلمنا ما كان جواب ذالك القوم وإذا لم يقدّم عشيّة اليوم المذكور فإنّه يريد اطلاق البومبات على بلد المنزل وغابتها ليهدّمها وما نحن كاتبناه بذلك وهذا ما عندنا وما يقع بعد هذا نخبره جنابكم ودمتم ودامت سعادتكم و السلام من فقير ربّه مقبل أيديكم الكرام أمير الأمراء حيدر آغه المكلّف بالأراض وفقه الله في 19 رمضان سنة 1298 (الموافق لـ 15 أوت 1881).".

رسالة حيدر باش آغا المكلّف بالأعراض إلى الوزير الأكبر

مصطفى بن اسماعيل.

المصدر: أ-و. السلسلة التاريخيّة، ص: 215 ، م: 300 .

58 - احتلال سوسة

"السيد الوزير المقيم العام بتونس.

"سوسة في 11 سبتمبر 1881.

"من الأكيد أن الفلتجار (le Voltigeur) الذي غادر سوسة أمس عشيّة قد أعلمك أنّ قوّاتنا احتلّت المدينة و قد جرى ذلك في نظام كبير وبدون مقاومة كما توقّعت. لقد اصطفّ بالباب الجديد القائد و معه السّلط الدّينيّة و الأعيان لاستقبال المقدّم قائد رتل الاحتلال و المفرزات الأولى من المشاة التي أنزلت. هذا وقد اتّخذ الجنرال البكّوش كل الإجراءات اللازمة لحفظ الرّاحة و الأمن طيلة الوقت الذي استغرقه تحوّل جنودنا للقصبة كما رفع العلم الفرنسي مباشرة على القلعة.

حافظ سكّان سوسة على هدوئهم الذي هم عليه منذ أشهر وفهموا أنهم أصبحوا أحرارا اليوم بعدما كانوا مسجونين بالأمس و أنّهم يمكنهم بعد قليل القيام بأعمالهم الفلاحيّة بكل اطمئنان.

ويظهر أنّ الجنرال البكوش قد انظمّ بصورة نهائيّة لسياستنا حيث لم يدّخر جهودا في تسهيل إنزال جنودنا وإقامتهم ولا يسعنا إلاّ أن نعترف له بذلك".

رسالة النّائب القنصلي بسوسة (11سبتمبر 1881)

(Q.O.322, S.C.P., C.62, D1, FF.157- 158).

(و خ ف 322 و س م س، ص 62 ، م 1 ، وو 157 - 158)

59 -الأوضـــاع بالســـاحل بـعد هـــزيمـــة الثـــوار.

"السيد الوزير المقيم العام.

"المهدية في 25 سبتمبر 1881.

"يشرّفني أن أعلمكم أن احتلال مدينة سوسة ومهاجمة قوّاتنا جمّال و هزيمة البدو حولها من شأنه أن يحسّن الأوضاع السياسيّة كثيرا في جهة المهديّة.

لقد استعاد خليفة المكنين بن عطية كل سلطته حيث تمكّن من القبض على بقيّة العصاة و وأرسل بهم إلى قائد المنستير سي مزالي. و قد فرّ بقيّة الجنود البعض مع القم و الآخرون مع المسعي أو الحاج الصغير من المثاليث و إني متأكد الآن أن مدينة المكنين ستبقى على خضوعها لأني أعرف من مصدر موثوق أن الخليفة بن عطيّة أمسك بناصية الوضع ويتصرّف بعزم كبير.

كذلك بطبلبة و البقالطة فإن المشائخ و الخليفة يسيطرون على دواويرهم ويبعثون بالجنود المتمرّدين للمنستير. كما تحسّنت الوضعيّة كثيرا بقصور السّاف وانضمّ تقريبا كل السكان للخليفة سي بيّوض الذي تحكّم في الوضع نهائيا منذ بضعة أيّام وتمكّن هو و أعوانه من القبض على ثلاثين من العصاة و جلبهم اليوم إلى المهديّة ليرسلوا نحو سوسة (...)"

تقرير النّائب القنصلي بالمهديّة كرتان - Cretin -" (25 سبتمبر 1881)

(Q.O.322, S.C.P. C.62, D.1, ff. 281- 282)

(و خ ف 322 ، س م س، ص 62 ، م 1 ، وو 281 - 282)

60 - الانتقام من العملاء.

"الحمد لله وحده.

"جناب سعادت (كذا) المعظم المفخم الهمام الأرفع الجنرال سيدي لوجرو الحاكم الكبير بولاية تونس حرسه الله. السلام عليكم وبعد فإني أنا الحاج محمد بن سعيدان أوّل من باشر خدمتكم مع القايد كان سي العبيدي السبوعي وقت حلولكم بالقيروان أنا مقيم بمحلتكم وأتاني ابننا مقتول قتلوه الهمامة ورفعُ حصانه و إلى الآن الحصان موجود عند يوسف بن علي الجريدي الهمامي الرضواني ابن أحمد بن يوسف وأنت قلت لي ابنك وجْعك أنا نخلّص ثارك ممن قتله و أنا نترجى في وعدك نطلب من فضلك تتم ما وعدتني به لأنني نشوف في حصان ابني راكب عليه يوسف بن علي الهمامي فقد أساءني ذلك راكبين على حصان ابني بسرجه من غير وجه. نطلب من فضل سيدي تأذن في رجوع حصان إبني بسرجه ونظركم أصلح و السلام من فقير ربّه محمد بن سعيدان. عفى الله بالجميع. في جمادي الأوّل 1301 (مارس 1884)"

رسالة من الحاج محمد بن سعيدان من أولاد سنداسن إلى لوجرو قائد قوّات الاحتلال.

المصدر: أ-و: السلسلة التّاريخيّة. ص: 215 ، م: 310 .

61 - برقيّة روسطن حول تبرئة علي باي من الشكوك التي حامت حوله في التعاون مع المتمرّدين (30 نوفمبر 1881).

"تونس في 30 نوفمبر 1881 الساعة 10 ليلا.

"إن سلوك علي باي تجاه المتمرّدين الذين هزمهم في واقعتين يبرهن عن بطلان الشّكوك و الاتّهامات التي كان موضوعها وسأرسل له الكولونال الآقرو (Allegro) ليهنّئه من قبلي ويطمئنه في شأن ما شاع أنّنا سوف نساند (في ولاية العرش) سي الطيّب و أنوي كذلك إيفاد المقدّم برطون (Breton) لديه حال وصوله لتونس، من ناحية ليتدرّب على المهمّة المبعوث من أجلها و ليراقب عن كثب هذا الأمير من ناحية أخرى(...)."

روســـــطن"

(Q.O.322, S.C.P., C.62, D.1,f f.297).

(و خ ف 322 ، س م س، ص 62 ، م 1 ، و 297)

د - القضاء على المقاومة والعقوبات

62 - غرامات الحرب التي سلّطت على عروش خمير وماطر و قبائلها.

"باريس في 5 أوت 1881

"السيد الوزير والزميل العزيز.

لقد طلبتم منّا بمكتوبكم لفاتح أوت الجاري إعلامكم بقيمة المبالغ التي كنّا جمعناها من العروش التونسيّة الواقعة في مجال عمليّاتنا العسكريّة (...) على إثر العمليّات التي تمّت ضد قبائل خمير وماطر والرّقبة وغيرها تقرّر ضمن شروط منح الأمان إضافة لتقديم رهائن تغريم كل حامل سلاح بأربعين فرنكا كتسبقة على الغرامات الحربيّة اللاحقة دفعت للخزينة العامة وعندما تبدي بعض العروش مقاومة تصادر قطعانها وتباع وتضاف أثمانها للخزينة وكان محصول الأموال التي قبضت 328954 فرنك. وقد طالب الجنرال قائد جيش الاحتلال بأن توزّع الأموال كالتالي:

- 50 000 فرنك تمنح لمالكي الباخرة سنتني (Santoni) التي نهبها أهل مقعد.

- 219 100 فرنك تمنح للجزائريّين الذين تضرّروا في أرواحهم وفي أملاكهم من جرّاء التونسيين.

- 58 854 فرنك المتبقيّة توزّع على العساكر الفرنسيّين نصيبا لهم من الغنيمة.

أمّا فيما يخصّ القيمة الجمليّة للغرامة الحربيّة يجب أن تتضمّن غرامات تعويضيّة للأضرار التي وقعت من جرّاء القبائل التونسيّة، مثل حرق الغابات التابعة للدّولة أو تعويضات على مصاريف الحملة العسكريّة (...) ومن المناسب أن تكون في حدود 2 622 000 فرنك (...)"

رسالة وزير الحرب إلى وزير الشؤون الخارجيّة (5 أوت 1881).

(Q.Q. 321, S.C.P., C61, D1, FF. 93- 95)

(و خ ف 321 ، س م س، ص 61 ، م 1 ، وو 93 - 95)

63 - نفي 149 شخصا من وشتاتة لجزيرة سانت مرجريت (Sainte Marguerite).

1 - رسالة وزير الحرب لوزير الشؤون الخارجيّة.

" السيد الوزير و الزّميل العزيز.

"(...) يشرّفني أن أعلمك أن رهائن وشتاتة الـ 149 قد وصلوا يوم 22 أكتوبر (1881) لجزيرة سانت مرجريت و هم رهن الاعتقال هناك".

(Q.O. 322, S.C.P., C.62, D.2, F.388)

(و خ ف 322 ، س م س، ص 62 ، م 2 ، و 388)

2 - حول مصير رهائن وشتاتة:

" (...)- جانفي 1882 : إعادة 40 منفيّا للوطن. 13 نوفمبر 1884 : عودة 11 منفيّا.

- 26 جانفي 1885 : عودة أحمد من مبروك - 4 جوان 1885 : عودة ثلاثة آخرين.

- 20 أوت 1885 : تحويل المنفي مصطفى مبروك لسجن كالي "calais"."

وثيقة من أرشيف وزارة الحرب بعنوان: "رهائن معتقلين

(S.H.A.T., S. 266, S/ S, 2H.T., C.2H- 26,D.1, f.30).

(م ت ج ب S.266 ، س 2H T ، م 1 ، و 30)

64 -رسالة من وزير الحرب لوزير الشؤون الخارجيّة حول الغرامات وأخذ رهائن من العروش المتمرّدة في جهة باجة وماطر(9 أوت 1881)

"باريس في 9 أوت 1881

"سيدي الوزير وزميلي العزيز.

"أثناء العمليّات التي قامت بها قوّاتنا ضدّ العروش التونسيّة بالرقبة وخمير وفي دوائر باجة وماطر فرض الجنرال قائد الحملة العسكريّة تسليم رهائن وقبض على آخرين كضمان لخضوع تلك القبائل وبلغ عددهم 660 منهم 160 من وشتاتة، هذه القبيلة التّي كانت أكثر شراسة في مقاومتنا وحملت السّلاح مدّة أطول خسرت كل أنعامها (...)

ويرى الجنرال قائد الفرقة العسكريّة بقسنطينة وعلى حقّ أن تسريح هؤلاء الستين والمائة شخص وكلهم مقاومون أشدّاء يعتبر من الغفلة التي يمكن أن تخلق لنا عديد المتاعب وهو يطالب بحجزهم خارج الجزائر ومن جانبي قد إتّخذت الإجراءات اللاّزمة لاعتقالهم بجزيرة سانت مرجريت (Sainte Marguerite) .

أمّا في شأن الخمس مائة المتبقّين من الرّهائن لا يرى الجنرال ضيرا في تسريحهم وهذا رأيي أيضا خاصة وأنّ القبائل المنتمية التزمت بالهدوء بل أكثر من ذلك مدّت قوّاتنا بالحيوانات الضروريّة. إنّ هؤلاء الرّهائن يربكون قصبة عنّابة وسجون سوق أهراس وليس عندنا أي سبب لإطالة حجزهم وهو يتكلّف لنا الكثير. وأرى أنه من المناسب إعادتهم لأهاليهم ويمكن مطالبة كل عائلة بمائة فرنك - ماعدى المعوزة منها - ويدفع المحصول لحكومة الباي على غرار الـ 100000 فرنك التي ستمنح للصّادق باي كغرامة حربيّة (...)."

رسالة وزير الحرب لوزير الشؤون الخارجيّة (9 أوت 1881).

(Q.O. 321, S.C.P. C.61, D.1, FF. 162- 163)

(و ف خ 321 و س م س، ص 61 ، م 1 ، وو 162 - 163)

65 -بـــلاغ القـــائد العـــام للقـوّات الفرنسيّة الموجودة في تونس للسكّان و خاصّة للمتمرّدين (16 أكتوبر 1881).

"بلاغ القائد العام للقوّات الفرنسيّة.

"في الوقت الذي يتسلّم فيه مهامّه على رأس القوّات الفرنسيّة يعلم الجنرال القائد العام كل قبائل المملكة أنّ الحكومة الفرنسيّة الحليفة لحضرة سموّ باي تونس، أنّه أرسل لهذه البلاد لردّ النّظام إلى نصابه وقمع التمرّد.

إنّ السكّان الذين عاشوا إلى حدّ الآن في سلام لا خوف عليهم و أنّهم سوف يعاملون كأصدقاء. إنّ الجيش الفرنسيّ المحترم للأرزاق و للذّوات و الدّين لن يمسّ بأي من هذه المصالح الكبرى لكنّه سوف يقتصّ من كلّ الذين يصغون لدعاة الفوضى و ينسون واجبهم نحو حكومة الباي وثاروا ضدّه ويحتلّون الأرياف و يروعونها بلصوصيتهم و شرورهم.

القيادة العامة بحلق الوادي. في 16 أكتوبر 1881 .

الجنرال سوسيي -General Saussier-"

(Q.O. 322, S.C.P., C.62, D.2, F.236)

(و خ ف 322 ، س م س، ص 62 ، م 2 ، و 236)

6 6 - الغرامات التّى سلّطت على أهالي الجريد.

" (...) دفعت قرى الجريد كغرامة حربيّة ما جمعه 312.135 فرنك و 76 سنتا توزّعت كالتالي:

1 - 26 سبتمبر 1881 : نفـــطة: 50.000,48 فرنـك.

2 - 1 أكتوبـــر 1881 : تـــوزر: 60.352,27 فرنك.

3 - 2 أكتوبـــر 1881 : الوديـان: 50.320,80 فرنك.

4 - 2 أكتوبـــر 1881 : الحامّـة: 4.904,89 فـرنك.

5 - 9 أفريـــل 1882 : تـــوزر: 63.680,57 فرنك.

6 - 11 أفريـــل 1882 : ســـدادة: 77.780,975 فرنك.

7 - 13 أفريـــل 1882 : الحامّـة: 5095,775 فـرنك.

المجموع 312.135,76 فرنك.

(...) و قد انتفع بذلك أهل "سوف" تعويضا على الأضرار التي لحقتهم من أهالي الجريد (...) و مواطنينا و أعوان قنصلتي نفطة و توزر و مصلحة الإستعلامات العسكريّة بالواد (...)".

رسالة الوالي العام بالجزائر لوزير الحرب (23فيفري 1883)

(S.H.A.T., S.266, S/ S. 2H.T. C.2H.26, F. 190)

(م ت ج ب s.266، س 2HT، ص2H26 ، و 190)

هـ - الهجرة وأعمال المشاغبة

67 - تشريع الهجرة من البلاد المحتلّة.

<<حضرة الأجل المرعي الأكمل الأمثل المبجّل الشاوش أحمد بن أبي القاسم خليفة نفزاوة وكاهية الجريد، صانه اللّه، ووقاه من كل مكروه والاه آمين.

السلام عليكم ورحمة اللّه والبركة،

وبعد فإنّا ندعو لكم بصالح الحال والهداية من الرّب المتعال، وقد بلغنا الخبر عنكم أنك تعامل في عدو الدين، بطريق الحيلة، وتسايس في الأحوال حتى يفرج اللّه على الأمة على أحسن حال، جزاك اللّه خيرا، وذلك المطلوب منكم والواجب عليكم، وكان بلغنا جوابكم ولذيذ خطابكم، واستفدنا منه سلامتكم وحمدنا اللّه تعالى عافيتكم..... [1] بالخطاب.

وقولكم فيه : وعليكم أمان اللّه التّام، تعلم أيها المحب أنّ انتقالي وهجرتي ليس فرار من جنابكم كما يظن من ليس له معرفة بالأمور، بل إنّما هو من جناب عدو الدين، خوفا من دخولي في وعيد قوله سبحانه وتعالى : <<إنّ الذين توفّاهم [2] الملائكة ظالمي أنفسهم، (أي بعدم الهجرة) قالوا فيم [3] كنتم، قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض اللّه واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنّم وساءت مصيرا [4].>> [...].

وفي وعيد قوله تعالى : <<يأيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين. ومن يفعل ذلك فليس منّ اللّه في شيء>> [5].

وفي وعيد قوله تعالى : <<يا أيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين. أتريدون أن تجعلوا للّه عليكم سلطانا مبينا >> [6].

1- مكان كلمة مطموسة في الأصل

2- في الأصل تتوفاهم، وهو خطأ.

3- في الاصل فيما وهو خطأ.

4- سورة النساء، آية 98.

5- سورة الممتحنة آية 1 .

6- سورة آل عمران، (آية 118).

وفي وعيد قوله تعالى : ‹‹ياأيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا اليهود والنصارى آولياء، بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنّه منهم›› [7].

وفي وعيد قوله تعالى : ‹‹ياأيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا الذين اتخذوا دينكم هزءا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم، والكفار أولياء، واتّقوا اللّه إن كنتم مؤمنين›› [8].

وفي وعيد قوله تعالى : ‹‹ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار›› [9] ولا ظلم أكبر من ظلم عدو الدين. وخوفا من دخولي في وعيد قوله صلّى اللّه عليه وسلّم : أنا برىء من كل مسلم مقيم بين أظهر المشركين الخ... [10]

وقال : ‹‹ لا تساكنوا المشركين، ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فهو منهم.››

[.....] فما بالك أيّها الاخ بمن سكن في بلد مسلم اعتدى عليها (كذا) الكفّار بقوة الغزو. فماذا يا ترى يكون موقفه أمام اللّه يوم يسأله عن بقائه هذا وهو قادر على الهجرة. لا يمنعه مانع. والآيات والأحاديث حجة اللّه على عباده. ولا يزال باب الجهاد مفتوحا إلى يوم القيامة. كما قال عليه الصّلاة والسّلام بإمام، أو بغيره إن ركن الإمام الى معاشرة الكافرين [11].

وهذا ما جعلني هداكم اللّه إلى الصّواب، أفضّل الهجرة على البقاء بداري ما دمت قادرا على ذلك. واللّه سبحانه يوفّق المؤمنين والمسلمين إلى أمر دينهم ودنياهم. إنّه وحده القادر على تغيير الحال. والمعين لعباده العاملين على رفع دينه. وإنّ هجرتي أردت بها وجه اللّه المبدىء المعيد، متوسلا إليه أن يسبل عليّ وعلى الامة كل خير، وليس ذلك - أي الهجرة - بدعة مني، فقد هاجر سيد الأوّلين والآخيرين من مكة إلى المدينة بإذن من اللّه سبحانه وتعالى.

7- سورة آل عمران آية 28 .

8- سورة النساء آية 144.

9- سورة المائدة آية 51.

10- سورة المائدة آية 57 .

11- سورة هود آية 113.

هذا ، ونسأله تعالى السلامة والهداية والتّوفيق، لكم وجميع المسلمين إلى أقوم طريق.
والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

هذا إن رأيتم في كلامي صوابا فهو من اللّه فاقبلوه. وان رأيتم خطأ فهو منّي فردّوه. والسلام من محمد بن عبد اللّه المرزوقي.

وكتب في رجب عام 1299 هـ (ماي-جوان 1882)<<

رسالة الشّيخ محمد بن عبد الله (الشّرع) إلى عامل نفزاوة

أحمد بن بلقاسم بن حمّادي.

أوردها المرزوقي (محمّد) في <<صراع مع الحماية>>،

دار الكتب الشرقيّة، تونس، 1973 ، ص ص . 264- 266 .

6 B - تشريع الهجرة ونهب أرزاق الرّاضخين للإحتلال.

"أنا رزقكم كان حرامْ نخافَـــه وكان حـلال الوطـن جاه نشـــافـه

* * *

كانا حـــلال محلـــــــــّل نعـــاف الخدم جمله وفيه نْهـــلـــــل

في الأخره نالقَـــاه وين نظلّل منين ريـقْ بو نـــادم كما النّشّافـــه

(...)

وعلْ جالكم يْبدا الحصان مكلـّل كلْ يوم ناتـي بزغابـــه خطـّـافـــه

* * *

انتم رزقكم علْ قُولـــــــي في كتاب سيدي علْيش [12] حلّلهُـو لي

لو كان للحاكم غرض في قبولي لواشي حديث الكذب يا جيّافـــــه

نهار الرّبـــايب شيْ ما درتُولي مْنينه الْ ضنى ينسى ضنـــاه يعافـه

* * *

أنتـم رزقكـم حلّلـــــنا من النّار ندخل بيه بـاب الجنـــّه

واجب علينا الهجرْ فرض وْسنّه بالشّرع مولى الخـــايْبـــه يتكافى

و اللّي طلب الهـوش بِيثّنـــّى نعطيـــه كان زْرارْ بـــين اكتـــافـه "

للشاعر المجاهد: منصور الهوش

المصدر: المرزوقي محمد، صراع مع الحماية، دار الكتب الشرقيّة، تونس، 1973 ص ص 290 - 291.

---

[12] يقصد الشيخ محمد علّيش أفتى بضرورة هجرة المسلم من الوطن المحتل و إجازة نهب أرزاق الذين رضوا بالبقاء فيه.

69 - تقرير روسطن حول وضعيّة المقاومة و شروط منح الأمان (5 نوفمبر 1881).

" تونس في 5 نوفمبر 1881 .

سيدي الوزير.

" إن التّقارير حول الحالة النفسيّة للسكّان داخل البلاد تتّفق كلّها على أن الأوضاع سائرة نحو التّهدئة و أنّ الزّعيمين الرئيسيّين للثّورة علي بن خليفة في الجنوب و علي بن عمّار في الغرب يخسران كل يوم عددا من أتباعهما أمام ضغط طوابيرنا من جهة و أمام الحاجة لبداية الحرث خوفا من المجاعة لذلك يجهر هؤلاء الأنصار على رغبتهم في طلب الأمان و أنّ ما نلاحظه من بعض التّأخير و التردّد يعود إلى أنّ المتمرّدين يحبّذون التّفاوض مباشرة مع حكومة الباي على أن يكون ذلك مع جنرالاتنا على أمل الحصول على شروط أهون. لكنّ المتّفق عليه هو أن الأمان لن يكون مشروعا إلا عندما يُمنح بعد تفاهم الحكومة التونسيّة مع القائد العام لقوّاتنا أو مع الجنرالات الذين يمثّلونه.

لقد حدّدت شروط الأمان فيما يلي:

- دفع غرامة حربيّة تختلف قيمتها حسب موارد القبائل و درجة تورّطها ،
- أخذ بعض الرّهائن.
- التزام القبيلة بضمان الأمن على ترابها و حمايته ضدّ أي عدوان من المتمرّدين،
- العفو على الجنح المقترفة ما عدى جرائم الحق العام.

و قد أستثني، طبعا ، من الأمان الأفراد الذين تورّطوا في مذبحة وادي الزّرقة و الذين فتحت في شأنهم السّلطة العسكريّة تحقيقا (...).

روسطن .(Q.O.323, S.C.P., C.64, D.1, FF. 61-62)

(و خ ف 323 ، س م س، ص 64 ، م 1 ، وو 61 - 62)

70 - تراجع القبائل الثائرة نحو الجنوب.

" جرجيس في 11 ديسمبر 1881 "

" (...) لقد غادرت حومة السّوق يوم 10 ديسمبر صباحا و وصلت جرجيس بعد الظّهر. و ما إن أرسيت حتى جاءني يستقبلني خليفة عكّارة رحومة بلهيبة يصحبه عديد الأعيان و إن تأكّدت الأخبار التي زوّدني بها الخليفة، و إنّي أميل لتصديقه، فإنّ احدى القبائل التي أجلاها الجنرال لُوجُرُو (logerot) و هما نفّات بقيادة علي بن خليفة و جلاص بزعامة حسن بن مسعي يوجدان حاليا بوادي فسّي على مسافة سير يوم من جرجيس. أما بقيّة القبائل المتمرّدة من همامّة و السّواسي و أولاد سعيد و بني زيد فقد تكون توغّلت في جنوب المملكة. فيما يخصّ ورغمّة فقد تراجعت عروشها عمّا عزمت عليه منذ أيّام في إعلان الاستسلام و وضعت حدّا لتلك المساعي خوفا من تعرّضها للنّهب (...)"

رسالة قائد الباخرة العسكريّة Etendard رِفَـــيْ Rivet " (11 ديسمبر 1881)

(Q.O. 323, S.C.P., C.64, D.3, FF. 202- 203)

(و خ ف 323 ، س م س، ص 64 ، م 3 ، وو202 - 203)

7 1 - غارات القبائل من الداخل ومن طرابلس وانعدام الأمن (فيفري- مارس 1882).

" لم تقع السّيطرة تماما على المنطقة الممتدّة بين القيروان و صفاقس و وادي جلمة بل إنّها تخضع بصورة متزايدة لغارات عصابات المتمّردين الذين يتمكّنون في مجموعات صغيرة من التسلّل إلى دواخل البلاد ففي أواخر شهر فيفري تمكّن جيش من 550 فارس متمرّد من عبور دوائر قابس في زمرات صغيرة و تجمّع في شمال وادي العكاريت ثم انقسم إلى ثلاث مجموعات عبرت سيدي مهذّب و السّقي إلى أراضي نفّات حيث أغارت على عديد القطعان وإنسحبت نحو خشم الهرشومة في الشّمال الغربي من صفاقس و تمّ قطع التلغراف بين صفاقس و قابس قرب وادي العكاريت. و في أوّل مارس تعرّض أولاد نمر و هم فرقة خاضعة من المثاليث كانوا يجمعون الحلفاء بالعجيلة 70 كلم غرب صفاقس إلى هجوم من 200 فارس يقودهم يوسف بن علي بن نصر و قد قتل منهم 6 أشخاص و سلب 70 من إبلهم. و قد وصلت مجموعة أخرى على بعد 15 كلم من صفاقس ولاحقتها سريّتان دون أن تدركها. في نفس الوقت لوحظ جيش آخر يتكوّن من 300 فارس شمال القيروان قام في اللّيلة الفاصلة بين 4 و 5 مارس في معبر وادي السواتير على الطريق الرابطة بين القيروان و الحمّامات بقتل 7 مالطيّين و إيطاليّين و جرح إثنين آخرين و خطف 200 من الإبل و في يوم 5 شقّت نفس المجموعة منطقة النفيضة و سلبت بعض القطعان و توجّهت في المساء جنوبا نحو الجم (...)

و قد شوهد هذا الجيش يوم 5 مارس في السادسة مساء حول سيدي الهاني و قد لاحقته كل قوّات الخيّالة و المدفعيّة المنقولة تسندها السّريّة 48 حتى اللّيل شمال السبيخة و قد ترك المغيرون 27 قتيلا و جزءا من القطعان المنهوبة و قتل في المعركة ضابط صف و جرح جندرمي (...). في 10 مارس هاجمت عصابة من الهمّامة مكوّنة من 100 رجل و 50 فارسا أهل برج الحامّة (قابس) و جرحت ثلاثة منهم و سلبت العديد (...)

و كرّر يوم 11 الهمامة غزوهم لبرج الحامّة حيث قتلوا 3 من سكّانه و جرحوا 22 (...) و يوم 17 مارس التحم جيش من جلاص قرب قابس مع قوميّة برج الحامة حيث قتل 2 من جلاص و جرح العديد. و في 18 من نفس الشّهر أغار 300 فارس على أهل جلاص المستسلمين قرب قمّودة جنوب القيروان وانتزعوا منهم 70 جملا (...)."

"- Belhomme - الكمندان بلهوم

(S.H.A. T., S. 272, S/ S. 2HT, C.2H 32, F. 419)

(م.ت.ج.ب. S.272، س 2HT، ص 2H 32 و 419)

72 - غارات القبائل المهاجرة (صائفة 1883)

"لقد كانت الحدود التّونسية-الطرابلسيّة مسرحا لعدّة أحداث ممّا يبرهن على أن المتمرّدين لم يتخلّوا على نيّتهم في غزو القبائل التونسيّة التي دخلت في الطّاعة. ففي 23 ماي (1883) لوحظ شمال شرق الدّويرات جيش ضخم من الهمامّة و جلاص و لكن عاد من حيث أتى دون أن يغنم شيئا. و في 26 ماي إختطفت كوكبة من جلاص إبلا لأولاد خليفة لكن أجبرت على التخلّي عن غنيمتها إثر ملاحقتهم. و في 27 من نفس الشّهر نهب بعض الهمامّة قرب المزارْ 20 بعيرا من أولاد سعيد و هي فرقة خاضعة من التّوازين. و هاجم يوم 29 ماي فرسان من نفّات و همّامة دوّار توازين حسن بن ناجي دون نتيجة و في 30 منه سلبت فرقة مكوّنة من همّامة و نفّات و بعض النّوايل إبلا لأولاد عون و تمكّن الخليفة ضو بن ضو من استردادها لكن جرح أثناء الصّدام وفي نفس اليوم سطا أولاد خليفة قرب بئر سنان على 300 من أغنام يهودي من جربة و سلبوا يهوديين آخرين. و في 6 جوان أغار علي بو علاّق زعيم أولاد يعقوب المتمرّدين على المرازيق لكنّه صدّ من ودارنة سالم بو حجلة الذين لاحقوا المغيرين حتى الدّويرات و على إثر هذا الفشل طلب علي بو علاّق عن طريق مفتي الودارنة الأمان والتزم إن وقع قبول إعادة تنصيبه خليفة على أولاد يعقوب أن يرجع معه كلّ متمرّدي عرشه.

و في 19 جوان أغار 200 من النوايل و نفّات على أولاد بوزيد بين عين السّمارة و بوغرارة وخطفوا 200 جمل وقطعان أغنام و قتلوا أحد الرّعاة و جرحوا إثنين آخرين و قد لاحقهم قوم الخزور و قوم حسن بن ناجي تساندهم سريّة مختلطة من قصر أم التّمر، استردّوا كلّ المسلوب بعد معركة ترك فيها المغيرون 6 قتلى و خسر القوميّة 12 رجلا بين قتلى و جرحى (...)".

تقرير شهر جوان للجنرال فورجومول (Forgemol)

(Q.O.332, S: C.P. C.75, D.1, FF.162- 164).

(وخ ف 332 ، س م س، ص. 75 ، م 1 ، وو162 - 164)

3 7 -اجراءات العفو

"إنّ بعضا من القبائل الجهة الجوفيّة، و خصوصا الجهة القبليّة من المملكة الذين حرّضوا على الإضراب، بمواعيد كاذبة و إغراءات خائنة جاهروا بالثورة على أميرهم و العدوان على سكان المملكة الذين إستمرّوا طائعين للحضرة العليّة، لم يلبثوا أن تفطّنوا بضعفهم (كذا)، لكن الأقدار قضت باستمرارهم في الثورة، حتّى فرّوا إلى ولاية طرابلس عوضا عن أن يتحسّروا على هفواتهم، و مع هذا فإن دولة فرنسا الفخيمة لم ترم أن تعاملهم معاملة أعداء ألدّاء، إذ أنّها تؤمل دائما أن الذين زاغوا عن سبيل الصواب بالإشارات الخائنة، سيتفطّنون لانحرافهم عن الجادة القويمة.

ثم إنّ الأوامر الصادرة من الحضرة العلية و تأكيدات الذّوات المأذونين بالمخابرة بالنيابة عن فرنسا، وعدت بالأمان التّام بالكتابة لكل من يرجع إلى الوطن من المغتربين، فهاته السّياسة السّديدة الأبويّة، "معاملة الأب لإبنه" (...) المسلوكة، قد أتت بالفائدة العميمة، و لمّا كانت فطنة مسيو (FIRO) قنصل جنرال دولة فرنسا بطرابلس متيقّظة للأفكار السليمة، التي انطوت عليها دولته، استعمل حزمه بالنّصح لهؤلاء المغترين السّالكين منهج الضلال، فأرشدهم إلى الطريق الموصل إلى السلامة، مستندا في ذلك على نصوص الشريعة الإسلاميّة، التي أوجبت عليهم طاعة الأمير.(...) وليعلموا أنّ الآمال التّي كانوا يأملونها من أعمالهم، هي ضرب من الفضول و لقد منّ اللّه سبحانه و تعالى على هؤلاء بإرشادهم إلى الطريق الحق، وذلك فإن العلاقات المستمرّة التي كان يتعاطاها مسيو فيرو مع الرؤساء بوثوق عهود دولة فرنسا الفخيمة، قضت بأنّ وعدوهم بالرّجوع إلى ديارهم(كذا) و عندما تحقق منهم مسيو فيرو المذكور صدق عهودهم لم يتوقّف أن تعاطى رحلة شاقّة من طرابلس لمواجهة الحضرة العليّة بخضوع الأربعة الرؤساء الذين أتوا بمعيّته، و قد وصلوا إلى حاضرة تونس المحروسة، و هم: سي علي بن عمّار، و أحد أنجاله، و ابن أخي سي علي بن خليفة، و الشيخ كمّون الصفاقسي.

و في أثناء رجوع هؤلاء أخذ الفارّون المشار إليهم البالغ عددهم إلى ما يقارب من الأربعين ألفا في التقرّب من أوطانهم يوما فيوما حيث أزيلت عن قلوبهم المخاوف التى كانت تبعدهم هنها(...)"

جريدة الرّائد التونسي (3 نوفمبر 1882).

74 - عودة بعض المهاجرين (صائفة 1883).

"رغم الإصطدامات المتكرّرة بين أعدائنا من المهاجرين لطرابلس و سكّان العروش الخاضعة فإنّ مجموعات عديدة من المتمرّدين الذين لجؤوا لذلك البلد ترغب في إعلان استسلامها و العودة لأوطانها من ذلك أنّ علي بن مسعي و بعض أعيان من أولاد معمّر من الهمامّة حضروا يوم 20 جوان 1883 لدى كمندان دائرة قابس لطلب الأمان تصحبهم 1500 خيمة و وعدوا أن يتحركوا عائدين في 10 جويلية القادم كما أبلغ التوازين قائد الأعراض أنّهم كذلك عائدون بعد الحصاد (...). و يبدو أنّ 1400 خيمة من أولاد إدّيرمن دائرة القيروان أعلموا هم أيضا قائدهم بعودتهم الوشيكة دون أن يقوموا بمساعي لدى السّلط الفرنسيّة إلى حدّ الآن. و قد وصل إمّا برّا أو بحرا زهاء مائة عائلة من مختلف العروش في حالة بؤس مدقع (...)."

تقرير الجنرال فورجمول (Forgemol) لشهر جوان 1883 .

(Q.O.332, S.C.P., C.75, D.1, FF.163- 165)

(و خ ف 332 ، س م س، ص 75 ، م 1 ، وو 163 - 165)

75 - أحداث تمغزة (جوان 1883)

" (...) عـلم الجنـرال قائد دائرة قفصة يوم 16 جوان من أخبار واردة من توزر و فريانة و نفطة أنّ زاوية تمغزة التّي يتقدّمها المرابط الحفناوي بن عبد الحفيظ هي قبلة عدد غير عادي من الزّوار يقبلون عليها من كلّ القبائل المجاورة في الجزائر وفي تونس حيث تتردّد أقوال معادية لاحتلالنا البلاد و حتى نداءات للجهاد ضد المسيحيّين و يقوم عدد من المجذوبين بإثارة التّعصب عند وفود المسلمين المجتمعين هناك، مدّعين قدرتهم على إتيان الخوارق(...).

وقد وصل طابور (من عساكرنا)، تمغزة يوم 22 صباحا و حسب التّحقيق الذي قام به قائده تبيّن من إعترافات المرابط وإبنه و كذلك القائد ما يلي:

1) إنّ الولي مصطفى بن مبروك وهو من الجزائر كان قد شارك في ثورة العماري في دائرة بسكرة سنة 1876 ولجأ إلى تـونس هو الذي أعان الحفناوي في إثارة التّعصّب و كان يصعد الصّومعة يوميا ست مرّات (كذا) ليدعو المؤمنين للجهاد.

2) إنّ الحفناوي ذكر عديد المرّات أنّ الأتراك قادمين إلى تونس لطرد المسيحيّين و أنّه من واجب كل مسلم الاستعداد لمعاضدتهم و أنّ اللّه كلّفه بإرجاع المسلمين للطّريق المستقيم و مكّنه من شقّ نفق ينساب فيه الماء من زمزم حتى تمغزة و قد حفر لجانب الزّاوية بئرا يأمر أتباعه بالاغتسال بمياهه المقدّسة.

3) إن الزّوار حضروا عدّة طقوس دينيّة بأسلحتهم و عاهدوه على مهاجمة المسيحيّين ما إن يأمرهم بذلك.

4) إن كميّات هامّة من البارود قد صنعت منذ مدّة بقرى تمغزة و المداس و الشبيكة.

5) في هذه السّنة كان روّاد الشيخ أكثر من العادة و قد حضر مبعوثون عن مهاجري طرابلس و ممثّلون عن كل زوايا الجريد.

و كان من نتائج سرعة تحرّك قوّاتنا تفرّق الزّوار الذّين لم يكونوا بعد بالعدد الكافي و لا التّحريض اللاّزم ليحاولوا مقاومتنا عسكريّا كما وضع حدّاً لتحركات معادية لاحتلالنا و يصعب التنبؤ بتبعاتها(...)."

التقرير الشّهري للجنرال فرجمول "Forgemol" (جوان 1883)

(Q.O.332, S.C.P., C.75, D1, FF. 155- 165)

(و خ ف 332 ، س م س، ص 75 ، م 1 ، وو 155 - 165)

11- انتفاضة الفراشيش لسنة 1906

تقديم.

تمثل أحداث تالة – القصرين لربيع سنة 1906 إنتفاضة ذات طابع خاصّ، بالنّظر إلى الإنتفاضات السابقة لها (1881). فقد إندلعت في وسط قبلي ريفي، في ظرف اتّسم بترسّخ الهيمنة الإستعماريّة وخمود العمل الوطني الذي كان في طور التحوّل. وقد خصّصت لهذه الأحداث بعض الفصول في الدّراسات التاريخيّة وكتاب وحيد حاول فيه مولّفه دراسة انتفاضة تالة القصرين كمثال عن دور الفلاّحين في حركة التحرّر الوطني[×] ، موليا أكبر جانب من إهتماماته للعوامل الإقتصاديّة والإجتماعيّة التي أدّت إلى اندلاعها في ظرفيّة عامّة تميّزت باستفحال الاستغلال الإقتصادي الإستعماري.

ولا شك في أنّ الظروف التّي إندلعت فيها الإنتفاضة قد اتّسمت بسوء الظروف المعيشية لقبيلة الفراشيش التّي استولى الاستعمار الزّراعي على معظم أراضيها الخصبة محوّلا أكبر قسم من الأهالي إلى جيش من الفقراء. حيث تذكر التقارير الإدارية والأمنية الحالة الإجتماعية المزرية للفراشيش إذ عمّت بينهم المجاعة خاصّة في هذه الفترة مما اضطرّ السّكّان إلى أكل الحشائش البرية (مثل التّلّغودة). وفي المقابل كان المعمّرون يعيشون ظروفا حسنة، مسلّطين على الأهالي أصناف المعاملات القاسية مما جعل العلاقات بين الطرفين تتميّز بالتوتر الدائم.

ولكن لماذا اندلعت الأحداث في هذه الفترة بالذات؟ وماهو دور عمر بن عثمان فيها ؟

لا شك أن الانفجار تزامن مع وجود هذا الولي في أوساط الفراشيش الذين أغدقوا عليه التقديس والإجلال، وهو أمر يمكن فهمه بسهولة في وسط شديد الإيمان، منعدم التعليم. وقد أخذ هذا التقديس يتحوّل بالتّدريج إلى طاعة كاملة لتوجيهات الوليّ الّذي اتّفقت المصادر حول محدودية قدراته العقليّة ومعاناته من عديد الأمراض الجسدية والنفسية، ووقوعه بصفة دورية ضحيّة لحالات صرع حادّة. وبديهي أنّ عمر بن عثمان لم يكن بإمكانه قيادة الفراشيش بتفويضه وتوفير أيّة قراءة موضوعيّة للواقع الذّي كانت تعيشه القبيلة. وهنا يأتي دورعلي بن محمد صالح. وتذكر المصادر أنّ هذه الشخصيّة هي التي سهّلت قدوم عمر بن عثمان إلى المنطقة وإقامته فيها حيث كان يطوف به الدّواوير ويعرّف به الأهالي مضفيا عليه هالة من التّقديس.

× التيمومي (الهادي): *انتفاضات الفلاّحين في تاريخ تونس المعاصر مثال ثورة 1906*. منشورات بيت الحكمة، 1993.

وعلي بن محمد بن صالح، مثلما تذكره المراسلات الرّسمية، شيخ سابق على قماطة من الفراشيش، عزل بتهمة الإرتشاء سنة 1891 وأدين بتهمة التّهريب سنة 1894، ممّا يوفّر إمكانيّة دافع الانتقام. ولكن لماذا انتظر هذه السّنوات الطّوال قبل أن يشرع في التحريض على الثورة ؟ هنا يأتي التقاء كلّ هذه العوامل : سوء الظروف الإقتصاديّة والإجتماعية وعسف المعمّرين، وجود الوليّ وتقديس الفراشيش له، دور علي بن محمد بن صالح في تحويل الفراشيش من كتلة خامدة ومستكينة إلى قبيلة غاضبة وثائرة. فقد توجّهت الأحداث ضدّ المعمّرين متّسمة بطابع ديني ساذج (الدّعوة إلى الإسلام)، وأدّى ذلك إلى خسائر عديدة في الأرواح، وإلى إصدار أحكام عديدة بالسّجن والأشغال الشّاقة والإعدام.

ومن جهة أخرى فقد فوجئت السّلطات بإندلاع الأحداث وبسرعة تحرّك المنتفضين وقوّة هجماتهم. وأدّى ذلك إلى فتح سجال سوف يستمرّ عدّة أشهر تمحور خاصّة حول : على من تقع مسؤولية الأحداث ؟ في إطار تبادل الإتهامات بين اليمين واليسار الفرنسيّين. وتحاول الوثائق اللاّحقة التعرّض لحيثيات ووقائع هذه الإنتفاضة.

7 6 - الأسباب العميقة للثورة: بؤس الفراشيش

(...)

وفجأة تحوّلت مواعظ الولي وأصبحت تحرّض على التمرّد.(...)

يبدو من الصعب توضيح هذا التحوّل من الدّين إلى الثورة في كل جزئياته، وتحديد الأسباب الحقيقيّة بدقّة مطلقة(...). لقد وقع إعلامي بأن أهالي الفراشيش كانوا يعانون بؤسا شديدا، و أنّ معظمهم كان على وشك الموت جوعا(...) و من جهة أخرى مؤكد أنّ الفراشيش كانوا من أشدّ القبائل مراسا في كلّ البلاد التونسيّة، و لكن هذه الملاحظة عامة تشمل طبيعة هذا الشعب شبه المترحّل (...).

وأعتقد أنّ من واجبي، سيّدي الكاتب العام، أن أذكر لكم المعلومات التّي يتبيّن من خلالها أنّ السيد برتران Bertrand كانت له علاقات طيّبة مع الأهالي وكان محبوبا لديهم، على العكس من السيد صال Salle (...)، على أنّني لم أعمّق البحث في هذه الناحية لاعتقادي أنّه لم يكن عليّ التحقيق حول أيّ شخص، خاصّة حول فرنسيين(...).

تقرير من Paul Gauthier الكاتب العام المساعد
إلى السيد روا Roy الوزير المفوّض، الكاتب العام
للحكومة التونسيّة 20 ماي 1906
و.خ.ف. p.18 . السلسلة الجديدة تونس 1882
-1917.ص25 . م. 3 . و : 125 -127
Q.O- P18, S.Nelle Tunisie 1882- 1917,
C25. D3. FF. 125- 127

77 - أسباب ثورة الفراشيش

إنّ محاولة التمرّد التي اندلعت في أوساط الفراشيش، والتي لم تفشل سوى بفضل المقاومة غير المنتظرة من قبل الأوروبيين الذّين تجمّعوا في تالة تحت الرّاية الفرنسيّة، ما تزال تشغل الرأي العام، خاصّة و أنّها، بالرّغم من تطمينات السّلط، كانت معدّة منذ فترة طويلة (...)

والسؤال الأوّل الذّي يطرح هو: إلى ماذا يمكن أن نرجع انفجار التعصّب في بلد نوّمنا منذ أربع وعشرين عاما في أمن خادع؟ و الأسباب من نوع عام و أخرى محلية.

الجامعة الإسلاميّة: إنّ الحرب الرّوسيّة اليابانيّة (...) قد أيقظت لدى كل المسلمين أمل التحرّر من شرّ الأمم الأوروبيّة التّي تزعزعت هيبتها بشدّة.لقد أصبح انسجام هذه الأمم الأوروبيّة في نظرهم متصدّعا عندما رأوا إحداها، وهي ألمانيا، تضع نفسها في شخص إمبراطورها، حاميا للإسلام.وقد أضرّت سياسة القيصر إزاء تركيا وسفره إلى طنجة وأخيرا ندوة الجزيرة(...) بالنفوذ الفرنسي في شمال إفريقيا. (...)

الأسباب المحليّة: هذه الأسباب يمكن أن نرجعها إلى سببين رئيسيين، الطمأنينة الكبيرة لدى السلط الفرنسيّة و الأهليّة (...) رغم عديد المؤثرات وتنبيهات الصحافة التي أشارت إلى بعضها فقد كان على السلطة أن تتصوّر أن الأهالي سيكونون، يوما ماعرضة لنشاط مبعوثين يعمل بعضهم إن لم نقل كلّهم لفائدة ملك بروسيا أو على الأقل لفائدة الإسلام. و باعتبار قوّة الشعور الدّيني لدى هؤلاء السكان، وهو نمط مما نسميه نحن الوطنيّة، فقد كان من الضروري فرض رقابة صارمة على تنقلات المرابطين سواء كانوا أجانب أم لا. غير أن هذه الرّقابة لم تمارس أوأنّها أحبطت، ربّما لأنّه كان ينقصها العناصر المجربة أو لأنّ بعض القادة المحليين غير موثوق بهم.

ويمكن إرجاع السبب الثاني إلى البؤس العام الذّي ضرب معظم القبائل إثر سلسلة من السنوات العجاف زادتها حدّة سنة رديئة بصفة خاصة. وربّما كان على سلط الحماية أن تحاسب نفسها و أن تتساءل عما إذا كانت قد ساعدت، وهو واجبها، السكّان الجياع على صيانة مطامير احتياطهم و عما إن كانت قد وفّرت لهم بالحدّ الكافي الحبوب الضّروريّة للبقاء أوّلا و لإعادة بذر أراضيهم ثانيا (...).

La Tunisie Française, 5 mai 1906

7 8 - تعبئة الفراشيش للثورة

لم يستقر عمر بن عثمان نهائيّا بقيادة القصرين إلاّ في ديسمبر1905 أو جانفي 1906 . ويبدوا أنّ شخصا واعيا و خطرا قدم به، وهو علي بن محمد بن صالح شيخ سابق معزول، أدين بتهمة التّهريب. وقد عيّنه عمر بن عثمان أو عيّن نفسه مقدّما، وقد أبقاه لديه أكثر من شهر في منطقة الطباقة، ثم قاده عبر الطريق القادم من تبسّة، إلى (...) سهل فوسانةحيث كان يصطحبه من دوّار إلى دوّار، و هكذا تمكّن عمر بن عثمان من زيارة كل خيام الفراشيش و تجمّعاتهم(...).

لقد كان عمر بن عثمان يتحدث في كل هذه القبائل، عن اللّه و الرسول ويدعو إلى الصلاة و الزّكاة، و كان ينصت إليه بخشوع . و بما أنّ شهرته قد عمّت، كانت الدواوير تسعد باستقباله (...) وقبل ثلاثة أو أربعة أيام من أحداث 26 و 27 أفريل 1906 كان عمر بن عثمان مقيما في الجانب الشرقي من سهل فوسانة لدى القماطة (...) و معه عشرون شخصا كانوا يلازمونه منذ وقت معيّن (...) هؤلاء الأتباع كانوا في معظمهم من أولاد الحاج و الحنادرة، وهم يكوّنون خليطا من الأوغاد واللّصوص و المتعصبين، برز من بينهم خاصّة علي بن صالح(...) و أحمد بن مسعود من الحنادرة.

تقرير من Paul Gauthier الكاتب العام المساعد إلى السيد روا Bernard Roy الوزير المفوّض، الكاتب العام للحكومة التونسيّة 20 ماي 1906

و.خ.ف. p.18 . السلسلة الجديدة تونس 1882 -1917. ص. 25 .م. 3 . و : 124 - 125

Q.O- P18, S.Nelle Tunisie 1882- 1917, C25. D3. F.F. 124- 125

9 7 - ثورة الفراشيش والسير نحو تالة :

منذ حوالي الخمسة عشرة يوما، علمت من بعض سكّان دوّار الحنادرة، أنّ وليّا مستقرّا بفوسانة كان يدعو إلى الثورة على المسيحيين، و يحرّض الأهالى على قتل الأوروبيين أو على إجبارهم على اعتناق الإسلام(...).

يوم الخميس 26 أفريل، وعندما كنت أعمل في الفرن، جلبت انتباهي صيحات قادمة من السّهل حيث رأيت مجموعة من العرب متوجّهة نحو البرج(...). وقد لاحظت على رأسهم المسمّى أحمد بن مسعود الذّي كان يمتطي جوادا على ملك السيد صال، وبين يديه بندقيّة للسّيد صال أيضا، وكان يرتدي برنسا ملطّخا بالدّماء. كما لاحظت من بين أتباع أحمد بن مسعود عددا كبيرا من سكان دوّار الحنادرة و دوّار أولاد موسى، ويمكن أن أتعرّف عليهم بسهولة(...). لقد أحاطوا بي جميعا، وهدّدوني ببنادقهم قائلين أنّهم تلقّوا الأمر من الولي بقتلي إذا لم أنطق بالشهادة بعد ثلاثة إنذارات.(...) وتحت وطأة الفزع فعلت ما طلبوه منّي ناطقا في كلّ لحظة بـ "لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه"، عند ذلك تركوني تحت حراسة البعض منهم(...). [ثمّ وقع نهب منزل السيد برتران و متجره، وأجبرت أخته على النطق بالشهادتين قبل أن يؤخذ أسيرا لدى المنتفضين في قبيلة الحنادرة].

وفي اللّيل، جاء قادة قبيلة الحنادرة إلى خيمتنا، وقالوا لنا أنّ الوليّ أصدر الأمر بالسير نحو تالة. وهناك لاحظت حركة هامّة في المخيّم طوال الليل(...)، وكان يقال أمامنا أنّ الخطّة تقضي بالسيطرة على تالة ومنها المسير نحو الكاف وأخيرا نحو تونس، وأنّ الوليّ صرّح أنّ رصاص الفرنسيين لن يطال المسلمين ويكفي أن يشير المسلم بعصاه إلى روميّ حتى يسقط ميتا (...).

وحوالي الساعة التاسعة صباحا، رأيت مجموعة من الفرسان قادمين من ناحية تالة، وقد كان معظمهم من أشراف هذه المدينة، وكان من بينهم شيخ أولاد سيدي زيد. أمّا الخليفة الذي كان على رأسهم فقد أومأ إليّ بعدم التعرّف عليه، ثم اتّجه نحو خيمة الوليّ وبادره بعد أن أظهر كلّ

الإحترام. لقد أقنع الوليّ بالسّير نحو تالة مؤكدا له -حسب ما بلغني- أنّ المدينة احترقت وأنّه يجب استغلال هذه الفرصة لإجبار المسيحيّين على الإسلام أو قتلهم. وبفضل هذه الخدعة وافق الوليّ على السير نحو تالة(...)

شهادة السيد برتران، فرنسي، 48 عاما، تاجر أخذت بالقصرين بتاريخ 1 ماي 1906 من قبل السيّد Mattei مفتّش الأمن.

و.خ.ف. p.18 . السلسلة الجديدة تونس 1882 -1917.ص25 . .م. 3 . و : 125 -127

Q.O- P18, S.Nelle Tunisie 1882- 1917, C25. D3. F.F. 155- 158

80 - تصريحات قائدي ثورة الفراشيش

عند وصولي إلى تالة كان عمر بن عثمان الذي يعتبر في نظر الرأي العام المحرّض الرئيسي على الاضطراب، مسجونا في المراقبة. وقد قمت في الحال باستجوابه.

عمر بن عثمان جزائري، يبلغ من العمر حوالي ثلاثة وعشرين عاما، وهو مولود بروس الشواشي من منطقة سوق أهراس (...)، وهو ليس بحاج ولا ينتمي إلى أي طريقة لأن أولاد سيدي عبيد يمثّلون "أولاد زاوية" ولا يتبعون أيّ طريقة، وهو يؤكد أنّه لا يعترف بأي وليّ بل يؤمن بالله و الرسول فقط (...)

وهو قذر مصاب بالزّهري والسل، لا يكاد يقتات (...) ولا يبدو ممتلكا لكامل قدراته العقليّة. (...) وحسب ما استمعت إليه من شهادات، يبدو لي أنّه لم يكن سوى أداة في أيدي آخرين (...) *وخاصّة مقدّمة علي بن صالح* (...) وهو يزعم أنّه سلّم نفسه دون مقاومة ولا يفهم لماذا أتّهم بقتل أروبيّين لا يعرفهم. ويضيف أنّه لم يدع قطّ إلى أسلمة الأروبيّين وأنّه يجهل الدّواعي التي قتل من أجلها أروبيّون ولكنّه علم أنّ أربعة أروبيّين مستقرّين بالمنطقة متصلّبون إزاء الأهالي.

ويؤكد علي بن محمد بن صالح عموما خط السير الذّي اتّبعه عمر بن عثمان [منذ قدومه من الجزائر] لكنّه لم يقدّم تفاصيلا أكثر ذاكرا عددا من الدواوير التي قضّى بها عمر بن عثمان الليل بهدف توريط أكبر عدد ممكن من الناس. لكنّه يقلّل من دوره الخاص منكرا تماما مشاركته في التّنقلات و التحريض و الوعظ (...) و أنّه عندما علم بوجود عمر بن عثمان بدوّار الفارات ذهب لزيارته. وعند وصوله، وجد كل المنطقة في حالة هيجان ورأى خيولا جيء بها من القصرين وأربعة أروبيين أسلموا و لم يكن يعرفهم. كما علم أنّه وقع قتل عائلة صال وهنا سمع حديثا عن قسوة صال إزاء الأهالي و أنّه كان يفتكّ أراضيهم وإبلهم وحيواناتهم (...).

شهادتا عمر بن عثمان و علي بن محمد بن صالح تقرير من Paul Gauthier، الكاتب العام المساعدإلى السيد روا Roy الوزير المفوّض، الكاتب العام للحكومة التونسيّة 20 ماي 1906 .

و.خ.ف. P.18 .س.ج. تونس 1882 -1917. ص25 . .م. 3 . و : 119 -120- 122

8 1 - شهادة أحد المشاركين في الأحداث

بتاريخ 1 ماي 1906 ، مثل أمامنا، نحن مدير المصالح العدليّة، المدعو محمد بن علي الذي صرّح بانتمائه إلى أولاد الحاج، عمره خمسة وثلاثون عاما، مقيم بزاوية سيدي صالح بفوسانة.

ثمّ صرّح بما يلي:

"أعترف بقدومي إلى تالة صبيحة يوم 27 أفريل حيث تواعد أشخاص من الحنادرة و أولاد الحاج و القماطة و الكتيبات بالإلتقاء لدى القماطة. وقد استدعيت من قبل شابين من أولاد الحاج لا أعرف اسميهما.

وقد تمّ الاجتماع في قرقور مساء 26 أفريل برئاسة أحمد بن مسعود الحنديري وبحضور الوليّ. وخلال هذا الاجتماع الذي حضره مائتان أوثلاث مائة شخص، قرّر السير نحو تالة حيث سيقع جلب الأوروبيّين الذين قد يرفضون اعتناق الدين الإسلامي. على أنّه لم يحدّد مصيرهؤلاء، فقد طلب الولي أن يؤتى إليه بالمتمرّدين.

(...)

وصلنا إلى تالة وكان عددنا خمسين شخصا. دخل نصفنا إلى تالة في حين بقي الآخرون على المرتفعات المشرفة على المدينة. ومن ضمن الخمسة و العشرين شخصا الأوّلين كان تسعة أو عشرة فقط مسلّحين، أمّا أنا فلم أكن مسلّحا. وعند مروري أمام المراقبة المدينة، أصبت برصاصة في عمودي الفقري (...).

في اجتماع قرقور الذي انعقد ليلة دخولنا إلى تالة، كان رؤساء الدّواوير حاضرين ورأيت أحمد بن مسعود من الحنادرة والشاوش سليمان من أولاد الحاج ،وقد قتلا[فيما بعد]، غير أنّه لم يحضر الاجتماع أيّ شيخ (...)

ويقال في أوساط قبيلتي أنّ الوليّ جاء منذ ربيع العام الفارط، وأنّه يقيم منذ الشتاء الأخير لدى علي بن محمد القماطي الشيخ السابق لقماطة المستقرّ في قرقور، حيث كان كل الأهالي يأتون لزيارته. وعلي بن محمد القماطي هو الذي كان يتلقّى الأوامر وينقلها.

وقبل 26 أفريل انعقدت اجتماعات عديدة (...) اتّفقنا خلالها على أسلمة عائلتي صال وبرتران، وعلى قتلهم في حالة رفضهم النطق بالشهادتين. وقد علمت بمقتل عائلة صال في الليلة الفاصلة بين 27 و 28 أفريل، وقيل لي أن أحمد بن مسعود هو قاتل السيد و السيدة صال وكذلك الإيطالي خادم السيد برتران، وقد شوهد منتعلا حذاء صال، وقد ساعده على ذلك عديد الأهالى. لكنّني لا أستطيع التعرّف عليهم.

شهادة المتّهم محمد بن علي

[توفي متأثرا بجراحه يوم 2 ماي 1906]

وثائق نصيّة وشفويّة

82 - "المسيرة المقدّسة" نحو تالة كما وصفها القايد في تقريره عن الانتفاضة بتاريخ 30 جوان 1906

"... رأينا جماعة من الأعراب راجلين نازلين من الطّريق المخدوم المواصل من القصرين لتالة وكان عددهم يقرب من الثّلاثين نفرا. ولمّا اختفوا عن نظرنا بجهة عين أم الثّعالب رأينا جماعة أخرى أقلّ منهم عددا نازلين من الطّريق المذكورة، فأركبنا في الحين البعض من الصبايحيّة و أرسلناهم لاستكشاف الخبر و أحضروا ببطحاء المراقبة المدفع الصّغير المعدّ للأفراح ووقع تعميره بالبارود فقط. وبعد حين، رجعت الصّبايحيّة الموجهة راكضين و أعلمونا بأنّ القادمين من الأعراب يهلّلون، ويطلبون منهم الشّهادة ووجهوا نحوهم بعض بنادق بأيديهم. فأعيد في ذلك الحين التّنبيه على أهالي تالة بعدم الخروج و البقاء بمحلاّتهم. وضرب بوق الصيد، فحضر في الحين بالمراقبة من كان خارجا عنها من الأوروباويين، وهناك رأينا جماعة يقرب عددهم من الخمسة عشر إلى العشرين نفرا وصلوا نحو قباء الجسور و الطّرقات و مرّوا مع الطّريق بدون سرعة قاصدين تالة. و لمّا كانوا في وسط المسافة الفاصلة بين قباء الجسور و الطّرقات المتقدّم ذكره و أوّل دار من ديار هاته القرية وهي دار المسيو أوليفي صرخ المدفع إعلاما لهم، و أذن برفع علم المراقبة فرفع. وفي ذلك الحين وقف القادمون حصّة قليلة جدّا حتّى ظنّ البعض منّا أنّهم تخوّفوا، ثمّ تقدّموا مرّة أخرى فابتدأ الصّراخ عليهم من الطابق الأعلى، وابتدأ الصّراخ من الطاق الأسفل فوقفوا مرّة أخرى حصّة قليلة جدّا. ورأى البعض منّا ممن كان بيده مرآة مقرّبة إشارات منهم فظنّ أنّهم يشيرون بعدم الصّراخ. ورأينا في ذلك الحين دخانا واحدا أو إثنين خرجوا منهم، فعلمنا أنّهم صرخوا أيضا وكانوا على مسافة سبعمائة أو ثمانمائة ميتر من المراقبة. ثمّ استمرّوا وتستّروا علينا ببناءات القرية المصطفّة صفا واحدا من دار المسيو أوليفي إلى طرف ساحة تالة من جهة بستان المراقبة. ولما قربوا من الظهور بالطّريق سمعنا أصواتهم يهلّلون، وعندما مرّوا أمام دار سي محمد الصالح الشاقي المعروفة بالأوتيل وظهروا بالطّريق ابتدأ الصّراخ عليهم، وكانوا مارين مهلّلين مجتمعين بأيديهم سلاح و عصيّ سائرين خطوات مرتبة على تهليلهم بدون سرعة. وأخذ الرّصاص يشتّت بينهم وهم ساقطون. ولم يسارعوا في المشي (كان بلغني أنّه صدر منهم صراخا أو اثنين لكن

تبيّن من البحث الذي أجريته بكيفيّة مدقّقة أنّه لم يصدر منهم ولو صراخا واحدا). ولمّا وصلوا أمام دار المراقبة رفعوا بنادقهم وعصيّهم وأشاروا بها إشارة تفطن لها جميع من كان حاضرا ومرّوا. ولا زال الرّصاص يشقّهم إلى أن اختفوا وراء جامع القادريّة. كل ذلك وهم مارين بالطّريق بدون أن يسارعوا في مشيهم وبدون أن يقصدوا دار المراقبة. وبعد مرورهم بمدّة قليلة رجع نفر واحد بيده محكمة طويلة مهلّلا مارا على الطّريق الذي مرّ عليه أولا، فوقع عليه وسقط لحينه. ثم قدمت أهالي تالة و معهم عدّة أنفار (نحو الأربعة أو خمسة) منهم الجريح و السّالم ألقوا عليهم القبض سكّان تالة عند مرورهم بعد موت رقبائهم حيث كانوا غير مسلّحين. أمّا النّفر الذي رجع وحده وقتل كما تقدّم فبلغني أنه بقي وحده مارا إلى أن وصل أمام محلات حراس الغابة ثم رجع فاعترضه سكان خائفون منه حيث كان مسلّحا وخاطبوه بأن يرجع ويذهب في حال سبيله فلم يجبهم إلاّ بالتهليل، و لما قرب من أمام جامع القادرية، أي من المكان الذي سيطلّ منه على المراقبة سمعه بعض النّاس يقولون : " ربّي أنت أدرى بعجزي عن مقاتلة هؤلاء القوم حيث لا طاقة لي بمحاربتهم، لكن أنا ميت على دين محمد، فصرخ عليه ومات كما تقدّم..."

الأرشيف الوطني التونسي، سلسلة e ، صندوق 550 ، ملف 16 ، وثيقة غير مرقّمة.
ورد في : ورد في التيمومي، الهادي : انتفاضات الفلاّحين في تاريخ تونس المعاصر مثال ثورة 1906 . منشورات بيت الحكمة 1996 . الملحق.

3 8 - الأخبار الأولى عن أحداث تالة

علمت من بعض الأهالي أنّ وليّا قادما من الجزائر، كان قد أثار جزءا من أولاده ناجي من قبيلة الفراشيش بنواحي القصرين، و أنّ أروبيّين قد يكونوا قتلوا في هذه المدينة (...) وقد أبرق لي المراقب المساعد أنّ الثائرين الذين يقدّر عددهم بخمس مائة في حين قدّرهم القائد بمائتين، ربما كانوا متّجهين نحو تالة، و أنّ الفرنسيّين قد تجمّعوا بالمراقبة المدنية أين أعدت وسائل الدّفاع .

(...)

وقد اتّخذت صباح اليوم كلّ الاحتياطات لحفظ النظام (...) و إلى حدّ الآن لا تبدو هذه الحركة سوى نتيجة لهيجان لم يمس إلاّ حثالة الأهالي، إذ يبدو لي أنّ الجزء الكبير من السكان بقي بعيدا عنها بما أنّ السلطات الأهليّة ما تزال قائمة.

برقيّة من معتمد الإقامة العامّة إلى وزير الخارجيّة الفرنسيّة تونس في 27 أفريل 1906

و.خ.ف. p.18 . السلسلة الجديدة تونس 1882-1917.ص25 . م. 3 . و : 60

Q.O- P18, S.Nelle Tunisie 1882-1917, D25. D3. f.f. 60

84 - "الدين الاسلامي ينكر قتل المسيحي"

إذا ما تأكد أن جذور حركة التمرّد دينيّة بحتة وأقرّ حكم الإعدام ضدّ قادتها، فإنّ واجبي يفرض عليّ كمسلم أن أطلب قطع رؤوسهم بيدي. كونوا مقتنعين أنّ الدين الإسلامي ينكر قتل المسيحي و يعاقب عليه، إلاّ زمن الحرب حيث يصبح ذلك جائزا. أما في زمن السلم فإن المسلمين الذين يقتلون مسيحيّا يرتكبون بذلك جريمة بشعة يجب ردعها. وإذا كان المذنب معتنقا للمذهب الحنفي فإنّ ذلك لا يمنعه من الخضوع للقصاص أي للإعدام. في حين أن المذهب المالكي، الأقل تشدّدا، لا يقرّ القصاص في زمن السلم إلاّ إذا كان المسلم قد ارتكب الجريمة غدرا في حق مسيحي من الرعيّة أو من رعايا دولة أجنبيّة تربطها معاهدة مع الدولة التي يقيم بها. و إذا لم يتمّ القتل غدرا فإن المذهب المالكي يعاقب المسلم المذنب بالسجن أو بالخطيّة، حيث يجب عليه أن يدفع الديّة.

ولكن بما أنّني أنتمي للمذهب الحنفي فإن ما قلته كافٍ لتعرفوا موقفي من تلك الثورة.

تصريح البشير صفر حول ثورة الفراشيش

La Depêche Tunisienne

30/ 04/ 1906

85 - عجز السلط عن توقع الأحداث

وحسب ما نعلمه اليوم فإنّ الولي لم يكن سوى أداة بين أيدي شخصين أو ثلاثة من الأهالي استغلّوا تأثيره ليجمعوا الأنصار و ليحدثوا اضطرابات كانوا ينوون الاستفادة منها. و أحد المحرّضين هو علي بن محمّد بن صالح وهو شيخ معزول و مهرّب معروف في السابق وشرّير مشهور.

ومهما تكن طبيعة خطب "الولي" و تأثير أحد الأهالي فإنّه لا يمكن للسلطة أن تكون لا مبالية إزاء ظواهر مماثلة. و ربّما لا نصل إلى الشك في وفاء القادة المحلّيين غير أنّهم في كل الحالات عجزوا عن توقّع الأحداث (...) كما أنّ نقص المعلومات الذي يعاب على إدارتنا يلفت الانتباه إلى مصلحة استعلاماتنا التي ما تزال رغم توسّعها و تدعيمها غير قادرة على توفير الضمانات التّي نطلبها (...) خاصّة في دواخل البلاد وفي أوساط الأهالي (...).

رسالة من المعتمد لدى الإقامة العامّة إلى وزير الخارجيّة الفرنسي بتاريخ 11 جوان 1906.

و.خ.ف. p.18 . السلسلة الجديدة تونس 1882-1917.ص25 . م. 3 . و : 114-115

Q.O- p18, S.Nelle Tunisie 1882-1917, C 25. D3. f.f. 114-115

8 6 - الاحتياطات الأمنية والعسكرية الفرنسية لمواجهة ثورة الفراشيش

(...)

ما إن بلغتني أوّل الأنباء حتى أصدرت الأمر بتركيز قوّات الشرطة المتوفرة في الجهات القريبة (قفصة و القيروان) في القصرين. وكنت قد إنشغلت بتدعيم الشرطة الموجودة بتالة بقوات أخرى من الشّرطة و الجندرمة من تونس. وكان قد بدا لي من السّابق لأوانه إرسال الجيش كما كان يطلب ذلك المراقب المدني، قبل التأكد ممّا سيكون لهذه الحركة من خطورة، إذ من المجازفة تهويلها وتحويلها إلى ثورةفي حين أنها ربما كانت جريمة حق عام بالمستطاع مواجهتها بإمكانيات الشرطة، غير أنّه -إحتياطا لكل الاحتمالات- كنت قد طلبت من قائد اللّواء -بعد أن أعلمته بالوضع- إرسال فرقة من حامية الكاف إلى تالة تكون قادرة على الوصول إليها عبر السكّة الحديديّة أو برّا. في ظرف ساعات.

وأقنعني خبر اتّجاه المتمرّدين نحو تالة بخطورة هذه الحركة، وكنت أصدرت الأوامر فورا بإرسال الفرقة العسكريّة من الكاف. والمعطيات الجديدة التي بلغتني قد ألهمتني فكرة إرسال قوّة من الفرسان يكون دورها هاما في قمع هذه الحركة.

وهكذا قرّرت بالاتفاق مع قائد اللواء إرسال كتيبة Chasseurs d'Afrique من تونس إلى تالة، وكتيبة من الصبايحيّة من صفاقس إلى قفصة وفريانة والقصرين. وهكذا ستحيط قوات الجيش بالمنطقة المضطربة من جميع الجهات لتدخلها من جهتين في نفس الوقت ضمانا لنجاعة العمليات.

وإذا كانت هذه الحركة ذات خطورة معيّنة فليس بإمكاني، نظرا لقلّة المعلومات التي تصلني، تحديد طبيعتها، لكنّني لا أعرف ما إذا كانت التحريضات قد مسّت الجزء الهام من السكان. وسيسمح لنا التحقيق الذي سيفتح لنا في الغرض بالإجابة عن هذا السؤال الهام.

ومهما يكن من أمر لا يمكن إلاّ أن ندهش لفجئيّة هذه الحركة، إذ أنّ الإقامة العامّة لم تكن تملك أيّ مؤشّر عن اندلاعها ، و أن المراقبة المدنيّة بتالة لم تعلم بتحركات الولي إلاّ منذ 25 أفريل الجاري. و الجولة التي يقوم بها المراقب المدني حاليّا ، هدفها الاطّلاع على هذه المسألة.

رسالة من معتمد الإقامة العامّة إلى وزير الخارجيّة الفرنسيّة بتاريخ 27 أفريل 1906

و.خ.ف. p.18 . السلسلة الجديدة تونس 1882-1917.ص25 . م. 3 . و : 64-65

Q.O- p18, S.Nelle Tunisie 1882-1917, C25. D3. f.f. 64-65

87 - معاملة الأوروبيين للأهالي بعد الأحداث

"قضّى المائة عون المرسلون من تونس ليلتهم في القلعة الجرداء في العربات. ومن الغد إتّجهوا مترجّلين إلى تالة التي وجدوها في هدوء تام. وقد فوجئ سكان القرية بهذا القدوم غير المنتظر.

كانت تالة تبدو وكأنّها مدينة أرمينيّة أو قرية مقدونيّة. كانت الشّوارع تغطّيها الدماء وإتخذت المراقبة شكل قلعة، في حين لاحظنا من جميع الجهات فتحات تصويب أستعين بها لإطلاق النار على المهاجمين.

كانت سبع جثث للثوار ملقاة على الأرض، وقد حملت ووضعت قرب ضريح لأحد الأولياء. وكانت إحدى الجثث ترتدي برنسا أحصيت فيه عشر ثقب من فعل الرصاص. لقد رأيت بأمّ عيني جثة من يزعم أنّه قتل مواطنينا.(...)

كانت أعمار القتلى تتراوح بين الأربعين و الستّين عاما رغم أنّه إذا تعلّق الأمر بثورة فإنّ الشباب هم الذين يتقدّمون ويكونون أوّل من يسقط.

كانت قرية تالة الصغيرة تحت رحمة الأروبيين الذين كانوا في حالة تهيّج لا يتصوّر. وقد أكّد لي شهود عيان أن كل عربي يمرّ كان يؤمر بالتوقف فإذا لم يستجب يطلق عليه النار دون شفقة.

وعندما كانوا يستعدون للرّحيل، استمع أعوان الشرطة إلى صدى طلقتين ناريّتين ثمّ رأوا بعد ذلك مجموعة من خمسة أو ستة من العرب يحيط بهم أروبيّون. وقد صرّح هؤلاء أنّهم شاهدوا أهالي يقطعون العشب الذي يستعمل حاليا كغذاء للجوعى بالجهة، فوجّهوا إليهم الأمر باتباعهم.

غير أنّ الأهالي فرّوا عند ما اقتربوا منهم واضطروا للحاق بهم من أجل القبض عليهم.وقد صرّح هؤلاء الأوروبيون أنّهم لم يطلقوا النار و عندما قام مفتش الشرطة بتفتيشهم وجد لدى كلّ منهم مسدّسا و أن رصاصتين تنقصان من أحد المسدسات. وهنا صرّح صاحب المسدّس أنّه أطلق في الهواء رصاصتين لترويع هؤلاء المساكين الذين اشتبه في كونهم ثائرين. ولاحظوا أنّه لم يكن لدى أيّ منهم رخصة حمل سلاح. وهنا طلب منهم الانصراف دون أن يطلب منهم حتى أسماءهم. كما فتش العرب وتركوا يواصلون طريقهم لأنّه لم يكن لديهم أي سلاح (...)."

رواية شاهد عيان زار تالة بعد يوم من الأحداث

Le Courrier de Tunisie
07/05/1906

88 - انقسام الفرنسيين في شأن الأسباب التي أدت لثورة الفراشيش

(...)

إنّ القضيّة العدليّة التي فتحتها محكمة سوسة قد أخذت مسارها، وقد أدّت إلى إيقاف أكثر من أربعين شخصا من الأهالي بتهمة المشاركة في القتل و النهب بالقصرين (...) ونظرا لأن عمر بن عثمان أصيل الجزائر فإن العدليّة التونسيّة قد تخلّت عن توجيه تهمة التمرّد له و لأنصاره (...).وبعض الإشاعات المنتشرة كانت قد أظهرت عمليات القتل التي تمّت في القصرين و كأنّها ردّ على مقتل أحد الأهالي واغتصاب فتاة بدويّة من قبل معمّرين، و أنّ هذه العمليّة لم تكن سوى حركة يائسة قام بها أناس أفقرتهم الجباية الجشعة من جهة وأثارتهم جرائم الأوروبيين المستقرّين بالمنطقة و تجاوزاتهم من جهة أخرى. هذا ما كان يقوله بعض الفرنسيين الذين تجرّؤوا على نقل هذه المواقف حتّى في أوساط المسلمين. ويمكن أن نتصوّر حدّة الاحتجاجات التي أثارتها هذه الإتهامات لدى المعمّرين الذين اتّهموا، من جهتهم، بعض مواطنيهم بإثارة حماس الأهالي و تهييجهم ضدّ الفرنسيين. و هكذا فإن كل جانب، كان يحاول أن يلقي بمسؤوليّة قتلى القصرين على الطرف المقابل (...)

كنت قد اقتنعت أنّ هذه الأحداث كانت أخذت جذورها من التّعصّب الديني، و أن لا شيء كان يمكن من تحميل المسؤوليّة للمعمّرين أو للإدارة (...)

فمعظم مواطنينا لهم علاقات طيّبة مع جيرانهم التونسيين، ولكن أقليّة منهم يشوّهون بتصرّفاتهم سمعة المعمّرين (...) مثلما هو شأن السيد صال salle في القصرين الذي أشارت المراقبة المدنيّة إلى سوء علاقاته مع جيرانه العرب.

رسالة من المعتمد لدى الإقامة العامّة إلى وزير الخارجيّة الفرنسي بتاريخ 11 جوان 1906

و.خ.ف. p.18 . السلسلة الجديدة تونس 1882 -1917_ ص25 . .م. 3 . و : 111 -112- 113

89 - "أحداث وقع تضخيمها"

(...)

ننشر فيما يلي رسالة وصلتنا من أحد أصدقائنا الأهالي لا يمكن الشك في أحاسيسه تجاهنا نظرا لثقافته و علاقته واستقلاليته الكاملة على المستوى الديني وغيره:

"عندما كنت أطالع بانتباه الرّوايات غير الدقيقة و المبهمة التي نشرتها الصحف التونسيّة حول أحداث تالة، حصل لدي انطباع بأن القوم، في تالة كما في تونس، فقدوا رشدهم (...). وأعلم اليوم بصفة أكيدة أن البرج و الأشخاص الذين التجؤوا إليه لم يكونوا أبدا في خطر. فيظهر إذا أنّه أريد تضخيم أهميّةالأحداث و خاصّة طبيعتها بكلّ ثمن من أجل إخفاء الذّعر (...)

و عندما طالعت بالحروف الكبيرة في الصفحات الأولى لكل الصحف "انتفاضة القصرين" استقبلت الخبر المقدّم بهذه الطريقة بابتسامة مرتابة. فالانتفاضة مثل البركان، لا تندلع قبل أن تقدّم علامات أوليّة. إن فكرة الثورة المخطط لها بهدف لا يسعى إلاّ إلى التحرّر من نير مضجر، تولد فورا فكرة المؤامرة و الاتفاق المبدئي. (...) هل يمكن أن نقبل أنّ أهالي مراقبة تالة قد تشاوروا في ما بينهم ثمّ نظّموا تمرّدا دون أن تعلم السلط المحليّة بذلك ؟ (...).

هناك، رغم ذلك، حدث أكيد، فقد قتل الأهالي فرنسيين و نهبوا مخزن الخيّالة وسأدع جانبا الهجوم على تالة.

وإذا ما قبلنا افتراض حركة منظمّة ومعد لها، لماذا لم نتساءل، منذ البداية، عن الشرارة التي أشعلتها ؟ فيجب أن يكون لهذا الانفجار سبب ما. هل اكتشفه التحقيق الرّسمي ؟ أجهل ذلك، ولكن هذا ما يتحدّث به السكان المسلمون:

عشيّة الأحداث كان أحد الأهالي متّجها على جواده إلى القصرين حيث كان منتظرا. وعند مروره بسبيطلة توقف ليستريح، ثمّ دخل جواده أرض السيد قيون المعمّر المستقرّ في سبيطلة (...) والذي قتل الرجل بطلقة ناريّة.

وبلغ خبرالجريمة القصرين حيث امتطى الأهالي الذين كانوا ينتظرون ضيفهم الخيول متّجهين صوب سبيطلة و عندما وصلوا هناك قيل لهم أن القاتل قد لجأ إلى السيد صال salle، و نعلم البقيّة (...)

وقد فهم المرابط الشّهير في هذه اللّحظة ما يمكن أن يغنمه من هذه المجموعة من الأهالي الغاضبين الناقمين الذين يجرّون وراءهم جثّة مواطنهم. وهنا ترأسهم و قادهم ناحية تالة هذه هي رواية الأهالي (...).

Le Progrès de Tunis

3 mai 1906

0 9- "لنكن عادلين إزاء الأهالي"

"فلنحتفظ دائما بسيفنا مسلّطا على البربري"، كان هذا المبدأ الذي طبّقه الرّومان، منذ تدمير قرطاج و حتى الغزو الوندالي (...).

هل يجب على فرنسا أن تتبع هذا المثل الذي أصبح بعيدا ؟ هل من اللاّزم وهي الأمّة "المحضّرة" بامتياز أن لا تلجأ سوى إلى القوّة لنشر محاسن الحضارة الحديثة في هذه البلاد ؟ هل يجب أن نقبل بأن لا يرمي أبناء فرنسا على هذه الأرض إلاّ إلى تحقيق "مصالح" مثلما يريده البعض ؟

ودون أي تردّد فإننا نجيب بالنفي (...) على الحكومة الفرنسيّة أن توفّر أيضا الحماية و العدالة للسكان المحليين الواقعين يوميا تحت استغلال جيش من القادة، (المشايخ، الخلفاوة...) العنيفين الكاذبين، الحاقدين، اللئام، كواسرالرّيف التونسي. فأيّ منفعة يستطيع المعمّر الحصول عليها وبأي ثمن، بأي محاسن يمكن أن يتمتّع القادم الجديد إذا كان جمهور الأهالي الذين حوله يعاملون بالعسف و الظلم و إذا كان الخبثاء لا يعاقبون ؟ فالأهلي إذا ما كان ضحيّة لظلم فإنّه يلتفت ناحية الأمّة الحامية و عادة ما يلاحظ، بمرارة، أن حماية فرنسا التي أطرى عليها كثيرا قد خذلته. و إذا ما كان شريفا وعاقلا فإنّه يغتمّ ويحتفظ في داخله بإحساس الحقد ناشرا في محيطه فكرة أنّه لا جديد تحت سماء بلاده. و أمّا إذا كان هذا الرّجل، على العكس من ذلك، جاهلا، عنيفا و غير قادر على التمييز فإنّه يوجّه ثأره ضدّ أجواره المباشرين، المعمّرين، الذين يصبحون في نظره مسؤولين عن الظلم الذي لحقه، لذلك فإنّه سوف يقلقهم و يزعجهم ويسرقهم.

ساكن الرّيف طفل كبير فظّ وغير متحضّر، جاهل و متعصب، لم يفقد من الغرائزالطّبيعيّة إلاّ القليل فهو يسرق للضرورة أو بالغريزة و يقتل ثأرا، جهلا أو تعصّبا. و بالرّغم من كل هذه العيوب الخطيرة فإن تعليما تحضيريا ومنهجيا قادر على القضاء عليه. وهو يملك وعيا كاملا بالعدل عندما يمارس عليه، ويحس بالحماية عندما تعاقب هذه العدالة من يستغلّه.

لنكن عـادلين إزاء الأهلي، ولكن في نفس الوقت أقـوياء عندمـا نريد أن يحـترمنا. العـدل و القـوّة، على هذين العـاملين يجب أن تقـوم الحضـارة الحديثة لتنجز مهـمّتهـا في هذه البـلاد. وعندمـا نكون قـد بلغنا الهـدف و يكتـسب كل أبناء هذه المنطقـة من إفـريقيـا، مـثل الشـعوب الأوروبيّـة، احترام حيـاة الآخرين و آراءهم ومعـتـقـداتهم، فـإن العـامل الثـاني، وهو القـوّة، يمكن الاستغناء عنه (...).

Le Républicain
16/ 06/ 1906

91 - "الهـمـج"

لقد قال لي بالأمس شخص من الرّاسخين في الحكمة : حسنا! أنا أوافقك على المطالبة بالتّشديد في معاقبة العرب. لكن هل أنت مرتاح الضمير حقا ؟ ألا يبدو لك أنّ هؤلاء النّاس محقّون في نهاية الأمر في الدّفاع عن بلادهم ؟ ألا يمكن أن تفعل أنت ما فعلوه هم ؟ أليسوا جديرين إذن بأن تخفف عليهم من العقاب ؟ أولا اعترف أنّني بقيت صامتا بعض الوقت لأن الفرنسي مسكون بالوازع الأخلاقي. لكن بعد هنيهة من التّفكير أجبته بما يلي : لا أبدا ! أنصت إليّ جيّدا. في يوم من الأيّام بعد وقوع (أحداث) تالة تفوّه أحد الموظّفين السّامين الأهليين بعبارات لفتت نظري. فقد قال ما معناه أنّه يشجب ما وقع اقترافه من جرائم قتل لأن الدين الإسلامي ينكر قتل المسيحيين "خارج زمن الحرب" ... هذه هي البراعة بعينها كما ترى، وهي البراعة التي من المفيد للّغة الفرنسيّة معرفة كنهها جيّدا. لقد مسكنا بالحلقة المركزيّة، وعبارة "خارج زمن الحرب" ستجيبك عوضا عنّي. أنا بودّي أن أعرف ما هو المقصود ب"حالة الحرب" بين المسلمين و الأوروبيين؟ هذا سؤال بسيط يمكن أن نجيب عنه بالاعتماد على أمثلة تاريخيّة دامغة. كيف تبدأ هذه الحرب أرجوكم؟ هل تبتدأ حين يعلنها الباي على المقيم العام ؟ أم حين يقوم عمر بن عثمان بمفرده بإعطاء إشارة انطلاقها من تحت شاشيته و يأمر بقتل رجل عجوز و امرأة ؟ أين هو القانون المكتوب الذي يضبط صلاحيات النّاس الذين يتحكّمون في هذه الحرب ؟ أنا أقول : إنّني أشعر براحة ضمير لا تشوبها شائبة. إن لهؤلاء النّاس الحق في ممارسة الحرب، لكنهم ليسوا قادرين على ممارستها لأنّهم همج إذا ما نظرنا إليهم بصفتهم جماعة. نحن نحترم المدنيين و الملكيات و المعتقدات بينما هم يقتلون ويحرقون ويدخلون الناس في دينهم عنوة ويغتصبون النّساء. نحن أمام همج : ولكن يكون ميزان القوى بيننا وبينهم متكافئا إذا اعتبرناهم عكس ذلك. ومن الخور الأخذ و الردّ فيما يستحقونه من عقاب".

جريدة *La Tunisie Française* ليوم 24 ماي 1906

(تعريب الهادي التيمومي) ورد في التيمومي، الهادي : *انتفاضات الفلاّحين في تاريخ تونس المعاصر مثال ثورة 1906* . منشورات بين الحكمة 1993 . الملحق.

92 - "كم كان القمع لينا ازاء مرتكبي أحداث تالة"

في أوساط جالية المزارعين نشاط حثيث يهدف إلى تكوين جمعيّة عامّة لمعمري تونس تدافع عن أملاكهم وأشخاصهم. إن مجرّد تفكيرمواطنينا في خلق هيئة من هذا النوع يبرهن عن مدى اضطراب الوضع الرّاهن.

إن كل شخص يعتمد على الدولة في ضمان سلامته إذا كان الأمر يتعلّق ببلد مسوس بإحكام. ولا يسعى المواطنون للتّوحد و التنظم لحماية أشخاصهم إلا إذا أخلّت الدولة بالتزاماتها، وذلك إمّا لأن قوّة قاهرة قد أبطلت عملها وإمّا لأنها لم تكن في مستوى مهمّتها (...)

خلاصة الأمر أنّ سكان بلد ما لا يعربون عن حاجتهم لحماية أنفسهم بأنفسهم إلاّ إذا كانت حروب خارجيّة أو اضطرابات داخليّة تعطّل قوى الحكومة، و لكن من النادر جداً أن يلجأوا إلى ذلك بسبب خمول الإدارة أو بسبب قضاء ليّن إزاء الجناة. وهذه هي في الحقيقة الوضعيّة التي نعيشها في تونس، وليس ذلك بمداعاة للفخر بعد 25 عاما من الحماية.

إن الصعوبات التي يواجهها المعمّرون المنبثون في الأرياف لم تفت الغرفة الفلاحيّة التي أخذت باقتراح من رئيسها ومنذ 21 أفريل الماضي، مبادرة تنظيم مؤتمر زراعي عام في ديسمبر المقبل بتونس يضع نوابا عن كلّ الهيئات المنتخبة و الجمعيات و التجمّعات الفلاحيّة و ممثلين عن الجهات التي تفتقر إلى جمعيات.

منذ 21 أفريل وقعت تلك الأحداث الخطيرة بالقصرين-تالة، و رأينا كم كان القمع لينا إزاء قيادا وخلفاء و شيوخا متورّطين بجلاء، ما يزالون في وظائفهم، و إن متواطئين مع عمر بن عثمان أوقفوا ليكونوا على ذمّة العدالة أطلق سراحهم(...) كما وقعت اعتداءات أخرى على مواطنينا أطلق سراح مرتكبيها(...)

إن مهمّة المؤتمر الزراعي العام، في هذا الجوّ من اللاّ أمن المتفاقم (...) تتمثل في الحفاظ على تماسك المعمّرين وتدعيمه وإذا نجحت الجمعيّة العامّة لمعمّري تونس للدفاع عن أملاكهم و أشخاصهم في التكون، فإنّها سوف تحتل مكانا هامّا في هذا المؤتمر.

La Tunisie Française, 24 /6/1906

93 - عينة من مواقف اليسار الفرنسي بتونس من انتفاضة 1906

"... لقد قال السّيد دي كارنيار بالأمس أننا نحن قتلة تالة بينما ندّعي نحن أنّه القاتل أو بالأحرى سياسته. إن انتفاضة تالة ناتجة عن حركة تعصّب ديني تمثلت في قيام ولي بالدّعوة إلى الإنتفاضة مسلّحة، فلبّت نداءه بعض الجموع الجاهلة و الواهمة وتبعته. إلا أن لهذه الحركة الدينيّة طابعا وطنيّا في نفس الوقت.إنّ الرّوح الإسلاميّة لا تفرّق بين الدين و الوطن ومن يعتدي على الوطن يدنّس الدّين، و الكافر الذي هو عدو الوطن هو أيضا عدو الدّين. ولا أعتقد أن السّيد دي كارنيار لا يوافقنا على هذه النّقطة الأولى.

إنّ السيد دي كارنيار فرنسي. ولنفترض ومن حقّنا أن نفترض أنّه على إثر حرب بائسة مع ألمانيا نصبح رعايا تابعين للقيصر وتتحوّل فرنسا إلى مقاطعة جرمانية. وبما أنّ السّيد دي كارنيار وطني صادق فإنّه بقدر ما يخلق من مصاعب وقلاقل أمام الغاصب الأجنبي يثبت أنّه فرنسي أكثر من غيره. كما أنّه سيشعر باعتزاز إذا ما استطاع أن ينظّم تمردا ضدّ سادة البلاد المقيتين. كما أنّه سيلحق ما استطاع من المنظمات السريّة الهادفة إلى وضع المكايد وزرع العقبات تلو الأخرى أمام النظام الجديد. وأخيرا سيكون السيد دي كارنيار سعيدا إذا ما استطاع بفضل عمله ومثابرته أن يوفق في الإلقاء بالمنتصر إلى ما وراء جبال الفوج (les Vosges). ولا أعتقد أنّ السّيد دي كارنيار لا يوافقنا على هذه النّقطة الثانية. إذن فإنّ الموقف الذي قد يتّخذه السّيد دي كارنيار في صورة حدوث نزاع بائس مع جيراننا من وراء "الراين" هو نفسه الموقف الذي اتّخذه العرب تجاه الفرنسيين.

إنّ السّيد دي كارنيار بتأجيجه الشّعور القومي لمواطنيه يقدّم مثالا سيّئا للأهالي ويضفي الشّرعيّة على أسوء ما قد يقومون به من تجاوزات وطنيّة ودينيّة. وسيزداد تعلق العربي بجنسه ووطنه ودينه حدّة لأن الفرنسيين الذين يعتبرون أنفسهم من جنس راق هم أيضا متعلقون بصفة عمياء بتقاليدهم العرقيّة و القوميّة و الدّينيّة. إن ما هو صالح بالنّسبة إلى البعض لا يمكن أن

يكون طالحا بالنّسبة إلى الآخرين. وهكذا يصبح السّيد دي كارنيار متواطنا مع كلّ الحروب المقدّسة التي قد يحلو للأهالي إعلانها على "الرّوامة".

جريدة *Le Courrier de Tunisie* ليوم 30 أفريل 1906

(تعريب الهادي التيمومي) ورد في التيمومي، الهادي : *انتفاضات الفلاّحين في تاريخ تونس المعاصر مثال ثورة 1906* . منشورات بين الحكمة 1993 . الملحق

94 من يتحمل مسؤولية الانتفاضة؟

*إنّ غياب المعطيات الدقيقة حول أحداث القصرين يدعّم حالة القلق التي يشعر بها السكان التونسيون بغض النظر عن العرق و الدين.

إنّ ثلاث ضحايا بريئة للتعصّب، أو ربّما أيضا، للدسائس السياسيّة، تنتظر أن تدفن و على الناس الشرفاء الذين شاركوا العائلات هذه المصيبة البشعة وغير المتوقّع ألمها، المطالبة بأن لا يفلت المجرمون من قمع نموذجي. ولكن من يتحمّل مسؤوليّة هذه الانتفاضة ؟ رغبة منّا في عدم تعطيل سير العدالة سنمسك عن أيّ تعليق إلى حين تتضح الحقيقة.

Le Courrier de Tunisie 29 avril 1906.

* لماذا ثار أهالي القصرين بعد أربعة و عشرين عاما من الاحتلال ؟ تقولون إنّهم استجابوا لوليّ متعصّب. فلماذا إذا قويتم الأولياء. دائما وساندتموهم ؟

وأكثر من ذلك فإن الطرق لم تكن تمثل، في بداية الاحتلال، شيئا. و الآن أضحت مؤسساتهم مكرّسة من قبلكم ألم تقوموا بذلك بعمل مضاد لفرنسا و للجمهوريّة و للإنسانيّة؟ ألستم بالتالي مسؤولين عن الدّماء التي سالت اليوم إذا كانت فعلا نتيجة للتعصّب؟

Le Courrier de Tunisie 01/ 05/ 1906.

95 - "شرف فرنسا في العدالة"

(...)

يتأكد إذا شيئا فشيئا أن كل هذه القضيّة كانت دعوى صاخبة، ويصرّح بذلك باتفاق، القادمون من تالة. انهم أشخاص ارتكبوا خطأ لا يغتفر و يريدون إنقاذ المظاهرمهما كان الثمن.

لقد قلنا البارحة أن التمرّد لم يكن يتجاوز ثأرا خاصا. ومن يقول ثأريقول بالضرورة اعتداء سابق. فيتّضح أنّه إذا كان قتل في القصرين أبرياء فلا يمكن أن ننعت بذلك كل الفرنسيين الذين يقطنون هذا الركن النائي من المملكة. لقد أخطأ الثأر هدفه مثلما هو الشأن دائما بالنسبة للثأر إذا لم يواجه بكل الاحتياطات الضروريّة لعدالة ضافية. غير أنّ الجريمة التي نتأسّف عليها وقعت في إطار مجموعة من ظروف التخفيف.

كان العرب منذ مدّة طويلة عرضة لظلم بعض مواطنينا. وكان يكفي أن يتدخّل وليّ مجنون حتى يذهب رشدهم و يدفع ثلاثين منهم للقيام بالعمل المشؤوم الذي نعرفه و الذي يستحقّ القمع.

ولكن لماذا يؤلّب الرأي العام ضدّ الأهالي الذين يبدون عموما طيعين وهادئين ؟ لماذا هذه الأسطورة المختلقة حول آلاف من المسلمين يتوجّهون نحو الحرب المقدّسة؟(...)

كل هذا يعبّرللأسف عن روح معادية للعرب، لدى كثير من مواطنينا وهي في اعتبارنا معادية لاستعمار سويّ. ويبدو أن الحكم بالقوّة و الرّعب هي كلمة السرّ لدى بعض الفرنسيين، في حين أن عددا آخر ممن يأسفون لهذا العنف ولهذه الدماء السائلة، يخيّرون الصمت بدلا من فضح الأخطاء التي يعلمون. فهم يتعذّبون، ولكن في صمت معتقدين أن شرف وطنهم يتطلب صمتهم. إن شرف فرنسا في العدالة، وحيث لم تكن عدالة لا تكون فرنسا.

فيجب على الرأي العام إذا أن يهدأ، فتونس لم تكن قطّ بمثل هذا السكون (...) ولكن شرط ان لا تحمي الحكومة بتسامحها رجالا أطلقوا النار على الأهالي دون الاستناد إلى حالة الدفاع الشرعي.

Le Courrier de Tunisie
04/ 05/ 1906

III- ثورة الجنوب 1915 - 1916
و ما تلاها من أعمال مقاومة

تقديم :

تعتبر انتفاضة الودارنة أو "ثورة الجنوب" أهم أحداث المقاومة الشّعبيّة بتونس ما بين 1883 و 1939 وقد تمّت هذه الإنتفاضة في ظروف الحرب العالميّة الأولى وعقب انتصاب الإستعمار الإيطالي بطرابلس و تحمّس أهالي أقصى الجنوب لمقاومة إخوانهم بتلك الايالة ومشاركتهم نضالهم و صدى إعلان "الحرب المقدّسة" الذي رفعه السّلطان العثماني ضد فرنسا وحلفائها. لكن العوامل الداخليّة وتضرر قبائل الجنوب الشرقي للبلاد من إحكام القبضة العسكريّة الفرنسيّة على الجهة كانت المحدّدة في الانتفاضة إذ تضرّرت القبائل في مواردها التّجاريّة عبر الصّحراء ومنع الاستعمار عنها موردا آخر وهو الغارات على العروش واستغلال المستقرين من أهل القرى المجاورة لها (فرض الأتاوات عليها) وتقييد حركتها للرّعي أو المتاجرة عبر الحدود كذلك سياسة "التّغليب" التي اعتمدتها السلط الفرنسيّة ضد قبائل السّهول معتمدة على "الجباليّة".

وقد سبقت الانتفاضة اجتماعات سريّة تحضيريّة بين أعيان عروش أولاد دبّاب و أولاد شهيدة و الكراشوة و الجليدات و الحميديّة ... تزعمّها سعيد بن عبد اللّطيف كبير أعيان الودارنة و العضو بالجمعيّة الشّوريّة و أخوه علي بن عبد اللّطيف شيخ أولاد دبّاب وعمر الأبيض شيخ الكراشوة. وقد انطلقت المناوشات الأولى بين العروش الثائرة ومن التحق بها من قوات المخازنيّة و القوميّة وبين القوات الفرنسيّة في بداية سبتمبر 1915 . وقد شهد هذا الشهر عدّة وقائع أهمّها واقعة المرطبة (13 سبتمبر). وكانت ساحة المعارك تشمل كامل المجال من ذهيبة إلى تطاوين وجانب من الحدود الطرابلسيّة (راجع الخريطة المصاحبة). ومن أهمّ المعارك التي خاضها الثوّار معركة ذهيبة، معركة ظهرة النصف، معركة أم الصّويغ، معركة نكريف (9 أكتوبر 1915) التي استشهد فيها شيوخ أولاد دبّاب (الحاج سعيد بن عبد اللّطيف و أخيه...).

وقد عمدت فرنسا إلى القضاء على الثّورة لإعادة تنظيم المناطق العسكريّة وأحدثت "اللّواء الصحراوي لتونس" و أرسلت تعزيزات كبيرة للمنطقة واستعملت سلاح الطّيران بكثافة ضد مواقع الثوار وقراهم. وقام الجيش الفرنسي بإجراءات انتقاميّة ضد العروش الثائرة من هدم "للقصور" ونهب للمحاصيل و القطعان ورمي الأسرى الودارنة بالرّصاص و إصدار 49 حكما بالإعدام ما بين 1916 و 1917 على الثوّار واستصفاء و ممتلكات الأهالي الثّائرين وعقاراتهم.

ولئن لم يفلح الثوار في صائفة 1916 في اقتحام تحصينات العدو فإنّ حرب العصابات تواصلت حتى أواخر 1917 . وفي الواقع فإنّ مصير "انتفاضة الودارنة" يكاد يكون معلوما منذ انفجارها نظرا لتفاوت القوى عسكريّا و طابع الارتجال و عدم التّنظيم المحكم في صفّ الثّوار وتخلّى حليفهم الأساسي خليفة بن عسكر عنهم (جوان 1916) و الثّقة المبالغة فيها في نوايا الأتراك و الألمان المعلنة لدعم الثوار.

إنّ القضاء على ثورة الجنوب لم يمنع تواصل المقاومة المسلّحة في شكل أعمال فرديّة أو عصابات قليلة العدد تتعرّض لأفراد الادارة العسكريّة و أعوانها في أعمال بطوليّة لا تخلو أحيانا من السّلب و النّهب. من هؤلاء "الصّعاليك الشّرفاء" يمكن ذكر بلقاسم بن ساسي و المبروك الكمايلي و عمر الغول وعريفات القطوفي وللوم القطوفي وسعد فريعيس ومحمد بن مذكور ولعلّ أشهرهم محمد الدّغباجي و البشير بن سديرة.

ونورد في هذا الفصل مجموعة من النّصوص واردة خاصّة عن القيادة العسكريّة لفيلق الإحتلال (عن قائدها الجنرال ألكس) وبعض النّصوص لمحمد المرزوقي لإمكانيّة المقارنة بين المصادر خاصّة وأنّ الوثائق الفرنسيّة تحكي الأحداث من الوجهة الفرنسيّة وعادة ما تحجب أعمال المقاومة أمّا المصادر الوطنيّة لا تخلو بدورها من تضخيم لتلك الأعمال.

96 - واقعة ظهرة النصف حسب المرزوقي.

"و الهزائم التي مني بها الفرنسيون في معركتي المرطبة و عفينة كان لها الأثر البعيد في معنويّات الجيش الفرنسي بالجنوب.

و لتفادي كارثة انتشار اليأس بين أفراد الجيش قرّر قائد حامية ذهيبة القيام برد الفعل السريع و ذلك بالهجوم على بلدة وازن اللّيبيّة الواقعة على بعد نحو 7 كلم على ذهيبة، و الانتقام من القبائل التونسيّة النّازلة بجوارها، و نصب مركز حربي بالقرية إن كان ذلك في المستطاع.

و هكذا تحركت فرق الانتقام هذه من ذهيبة قاصدة في سرعة بلدة وازن في 15 سبتمبر1915 و كانت تشمل فرقة من المدفعيّة عيار 80 و 90 و 65 - و كتيبة من صبايحية خفيفة الحركة في الجناح الأيمن، بالإضافة إلى القنّاصة الفرنسيين يقودهم ضابط برتبة ملازم أول وانطلقت هذه القوّات إلى غايتها.

على أنّها لم تكد تبتعد عن ذهيبة بمسافة قليلة و في المكان الذي يسمّى (بظهرة النّصف) حتى اعترضتهم قوة من المجاهدين تعدّ حوالي 800 مجاهد يقودها الزّعيم اللّيبي خليفة بن عسكر بنفسه واشتبكت معهم في معركة فاصلة.

و كان السبب في قدوم خليفةبن عسكر من مركزه بنالوت، و دخوله في الحرب ضد فرنسا، و قد كان مسالما لها، و طالبه التونسيون سابقا بمشاركتهم في الجهاد ضد الفرنسيين، فامتنع معتذرا بأنّه لا يقوى على فتح واجهتين في آن واحد، واجهة إيطاليا وواجهة فرنسا. كان السبب في قدومه أنّ جواسيسه بلّغوه عزم الفرنسيين بالجنوب على احتلال قرية وازن الليبية و أنّهم، ربما فكروا في التّقدم إلى مراكز أخرى، خاصّة غدامس التي كانوا دائما ينظرون إليها بعين الشره و القرم، بل ان الجواسيس حدّدوا له حتى الساعة التي تنطلق منها حامية ذهيبة إلى احتلال وازن فلم يبق لديه صبر على الاصطدام بالفرنسيين، و هكذا اعترضهم بقوّته التي شارك فيها من

التونسيين أولا شهيدة، أولاد دباب، و المرازيق، و المخالب، و الطرائفة، و الذهيبات إلخ... ودامت المعركة سبع ساعات متوالية اضطرت إثرها القوات الفرنسيّة إلى الانسحاب منهزمة مشتتة راجعة إلى حصنها بذهيبة، و قد خسرت 120 قتيلا و 80 جريحا و غنم المجاهدون أسلحتهم و لباسهم، و خسر المجاهدون 15 شهيدا و 20 جريحا (...)

و يجعل القبطان رافّو القتلى منهم 28 و الجرحى 30 فقط بينما يرفع عدد القتلى و الجرحى من المجاهدين إلى 150 ."

- المصدر: المرزوقي محمد، دماء على الحدود، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 1975 ،ص ص 53 -55 .

خريطة مواقع أهم المعارك

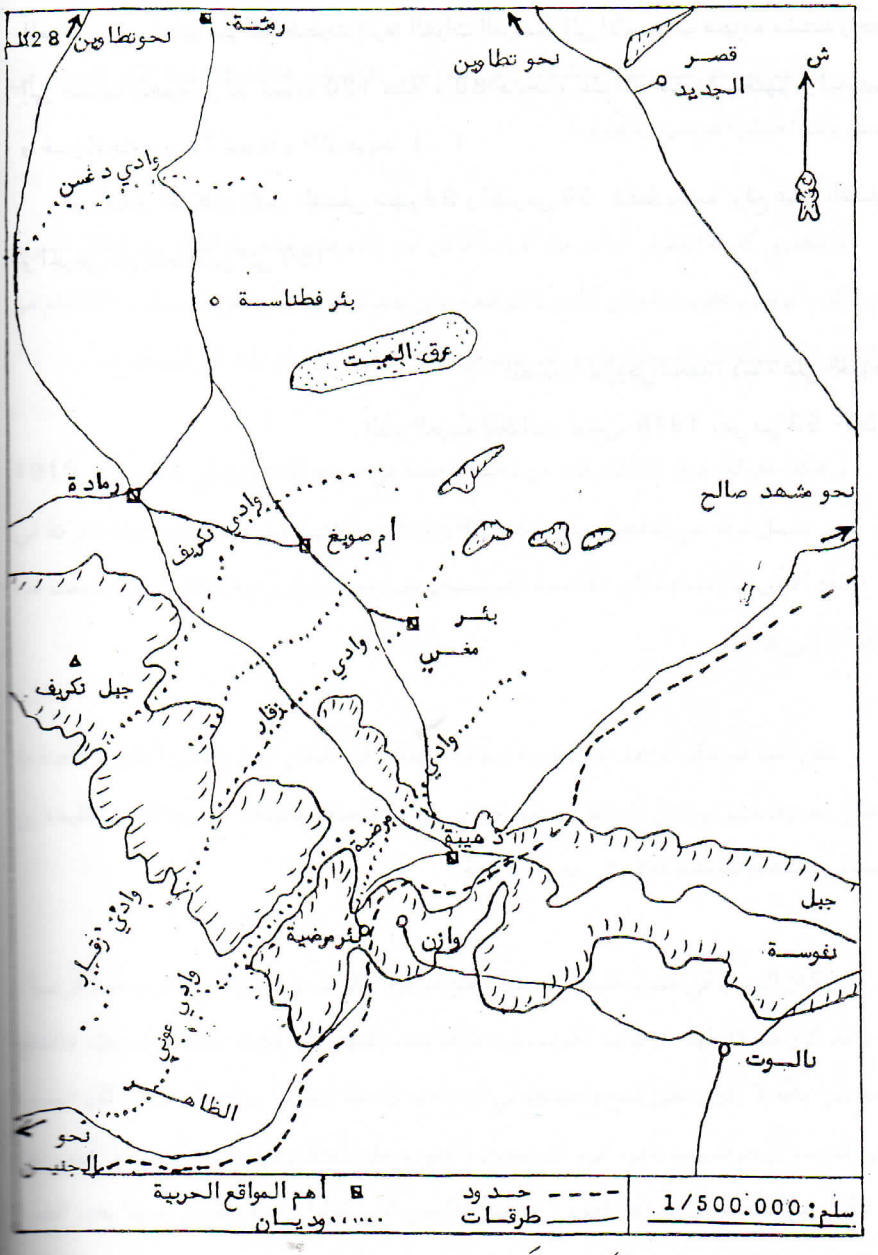

مَواقع أهم معارك (1915 - 1916)

(المصدر : ليسير (فتحي)، نجع ورغمة ... ص : 171)

97 - واقعة ظهرة النّصف حسب الجنرال ألكس

"أخبرت مصالح الاستعلامات أنّ مجموعة مكوّنة من 40 خيمة حطّت رحالها على بعد 4 كلم في الجنوب الغربي لوازن فأعطيت الأوامر للفرقة 541 (5 طائرات بقيادة النّقيب دودي - daudy) بضربها بالقنابل و قوارير البروم و قد نفّذت قنبلتان يوم 17 ماي بنجاح. ومن جهة أخرى اصطدمت على الحدود اللّيبيّة بظهرة النّصف فصيلة من المدفعيّة يرشدها بعض القوميّة على الساعة الثامنة صباحا مع المتمرّدين الذين نزلوا من خنقة وازن وقد هبّ للنّجدة النّقيب بـوفي (Bouvet يقـود قوّات مـكوّنة من قوميّة و شرطيّة و صبايحيّة و فصيلة محمولة و الفصيلة 65 كذلك النقيب بيارد (Bayard) يقود طابور ذهيبة. و كان يدير المعركة المقدّم بوردُسُولْ) (Bordesoulle رئيس الدّائرة ولم ينته القتال إلاّ في الحادية عشرة بتدخل كثيف للطّائرات التي قنبلت المتمرّدين وقد جرح لنا أحد القوميّة و خسر العدوّ عشرة قتلى و 20 جريحا."

تاريخ العمليّات العسكريّة على جبهة طرابلس و الجنوب التونسي
1915 - 1919(الجنرال ألكس)
(S.H.A.T., S/S: 2HT. S. 292, C. 2H. 53, D.3, f.f.583-584)
(م ت ج ب S.292، س. 2HT، ص 2H53، م 3 ، وو 583 -584)

98 - معركة رمثة 25 سبتمبر 1915

"(رمثة) مكان يقع في منفذ سلسلة جبال تطاوين على سهل الجفارة جنوب تطاوين و هذا المكان يبعد عن تطاوين بنحو 30 كلم و يصل إليه من تطاوين طريق غير معبد وعر المسالك به التواءات كثيرة بين الروابي الجبليّة و أوديتها العميقة و يمر هذا الطريق بقلعة أولاد شهيدة الواقعة جنوب تطاوين على مسافة نحو 20 كلم.

و رمثة ساحة فسيحة يحتضنها الجبل من الشمال و الشرق و تطل عليها ربوة تحتها واد جاف من الغرب، أما من الجنوب فالساحة تطل على سهل متسع يمتد إلى الحدودالليّبية، وهو سهل الجفارة.

و في هذه الساحة المسمّاة (رمثة) توجد بئران يستقي منها السكّان البدو في تلك الجهات و على مقربة من البئرين سوق بها عدد من الدكاكين(...)

أمّا في عهد الثورة فكان المكان مركزا للجيش الفرنسي، به ثكنة تسكنها الحامية التي تتكوّن من السريّة 125 و معها عتادها الكامل من بنادق و ورشاشات و عدد من الخيل.

قرّر المجاهدون بقيادة شيخ الكراشوة عمر الأبيض الهجوم على مركز رمثة و قطع طريق رمثة و قطع طريق الاتصال بذهيبة من جهة و تطاوين من جهة ثانية و لا يبقى إلاّ الطريق الغربي الرابط بين رمادة و تطاوين و هذا يسهل على أولاد دباب قطعه. و كان عدد المجاهدين حسب الرّوايات المختلفة بين 300 و 400 جلّهم من الودارنة و أولاد شهيدة و العجاردة و عدد من بقيّة القبائل يقودهم شيخ الكراشوة، الأبيض.

المعركـــــة: (...) و بدأ هجوم المجاهدين من الجهتين الغربيّة و الشرقيّة و كانت الكثافة في الجهة الغربيّة و كانت خيلهم تهاجم الخنادق وجها لوجه، واستطاعت أن تصل إلى مربط الخيل فتغنم منه أفراسا منها جواد جميل فاره، استولى عليه البطل المرحوم ضو بن ضيف الله الشهيبي و يقال أنّه أهداه بعد ذلك إلى خليفة بن عسكر. و كان مشاتهم يطلقون النار من الغرب و الشمال الشرقي على مسافات تتراوح بين 100 و 300 متر، من أسلحة مختلفة عصريّة و عتيقة من نوع بندقيّة الصوان.

استمرّت يومين كاملين 25 و 26 سبتمر، و في صباح اليوم الثالث وصلت للمركز نجدة قويّة من تطاوين، و كانت هذه النجدة خرجت لغاية البحث عن الثائرين في أولاد دبّاب و أولاد شهيدة و الكراشوة فلما بلغتها أخبار محاصرة رمثة لنجدتها بقيادة الكولينيل (فليك) وتخلى المجاهدون عن محاصرة المركز و تفرّقوا إلى قبائلهم يساعدون أهلهم على الرحيل.

و كان حصاد هذه المعركة من الجانب الفرنسي 50 قتيلا و 40 جريحا من الضابط و الجنود و من جانب المجاهدين 13 شهيدا من الرجال ."

المصدر: المرزوقي محمد، دماء على الحدود،
الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 1975 ص: 58 - 63 .

99 - معركة أمّ الصّويغ (2 - 9 أكتوبر 1915)

"يوم 2 أكتوبر 1915 تعرّض مركز أم الصّويغ و كان تحت قيادة النقيب برموند (Bermond) و تحميه سريّة و فصيلة من الصبايحيّة و 15 عسكريًا من القوميّة و 14 آخرين من الفرقة 126 من هجوم من الثوّار يتراوح عددهم ما بين 5 و 600 رجل و يتزايد يوميًا ليناهز ما بين 2500 و 5000 سلاح. و قد بدأ التّراشق بالرّصاص على الساعة الخامسة و 40 دقيقة صباحا لتتواصل المعركة كامل اليوم و لم تتوقّف إلاّ عند منتصف اللّيل و قد احتمى رجالنا بالحصون الصغيرة المركّزة بزوايا المعسكر و قد قتل منهم 12 و جرح 30 و قضي على كلّ الخيل و كان يقود المعركة خليفة بن عسكر بنفسه من معسكره ببئر الطّويس (3 كلم جنوب شرقي أمّ الصّويغ) من خيمته البيضاء التي تعلوها يافطة زرقاء و يشاهد معه أحد الضّباط الأتراك أو الألمان بزيّه الأبيض. و كان خليفة بن عسكر على اعتقاد راسخ بنجاح العمليّة وانتصار التمرّد و قد كتب في 1 أكتوبر رسالة لقائد قبلي يقول له فيها: "(...) إني سائر الآن مع القوّات السنوسيّة لترابكم وقد ثار معي كل الصّلحاء و الفضلاء و إن النّصر للمسلمين. ومن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره و من يعمل مثقال ذرّة شرّا يره و السّلام من سيادة سيدي العابد و معينه للأمور الحربيّة" (...) لقد فشلت عمليّة إنقاذ أم الصّويغ و مرّ اليومان 4 و 5 من الشّهر في تراشق متبادل بالسّلاح وقد تراصّ رجالنا بالحصنين الجنوبيين في جوّ من الحرارة المرهقة و روائح تعفّن جثث القتلى من البشر و الحيوانات و أنّات الجرحى (...) وقد تمّ الاتّصال لطلب النجدة بمدنين حيث أعطيت أوامر لسريّة أدبارت (Audibert) بفطناسيّة للتّحرك نحو أم الصّويغ يوم 6 أكتوبر. وكأن الأقدار حكمت على كل محاولات النّجدة بالفشل إذ قرّر النّقيب أدبارت وهو على بعد 4 كلم من أم الصّويغ أن يتراجع نحو فطناسيّة معتقدا أن المركز قد أحتلّ وأنه يُجرّ نحو كمين.

يوم 5 أكتوبر استقبل الملازم أوّل باولييني (Paolini) مفاوضا آخر مبعوثا من خليفة بن عسكر حاملا لرسالة مكتوبة بفرنسيّة ركيكة هذا نصّها :" إني أخيّركم الآن إمّا أن تلقوا أسلحتكم وأعدكم أن أقودكم سالمين لموقع مضمون و إلاّ سوف أواصل محاصرتكم وستموتون جوعا و عطشا في بضع أيّام و أنصحكم أن تأتوني للتفاوض في شأن الصّلح". و قد كان يوما 7

و 8 كذلك مؤلمين (...).

إن الخسائر كانت فادحة إذ قتل من حامية أم الصّويغ 23 و جرح 41 إضافة لخسائر القوميّة (كذا) كما قتل من طابور الكولونال موراند (Morand) (الذي أتى للنّجدة) 22 وجرح 50 (...) وفي جانب "الحركة" قدّرت الخسائر بربع أفرادها و من بين القتلى الذي تركوا على ساحة المعركة، على عكس عادة العرب، نجد النائب بالمجلس الإستشاري سعيد بن عبد اللّطيف و أخوه وابن عمّهما و كلّهم من قوّاد التمرّد (...).

"- Alix- الجنرال ألكس

(S.H.A.T. S/S:2HT, S. 292, C.2H. 53, D3, ff.575-577)

(م ت ج ب S.292 ، س 2HT ، ص 2H. 53 ، م 3 ، وو 575 - 577)

100 - معركة رمادة ووادي السّمنة (26 جوان 1916).

" كان مركز رمادة تحت قيادة النّقيب هوازي (Hoisy) من مكتب الشؤون الأهليّة وكانت تحت إمرته فصيلة من الفرسان القنّاصة و فصيلة أخرى من الكتيبة الخامسة تحت قيادة الملازم منّي (Monnet) وقد اتّصلت الحامية على السّاعة السّابعة صباحا (26 جوان 1916) بذهيبة لتعلم أنّها تتعرّض لهجوم من محلّة مزوّدة بمدافع و رشّاشات و في الأثناء تعرّضت فصيلة محمولة كانت في مهمّة استطلاعيّة في جهة القرّاويّة إلى هجوم من المتمرّدين أجبرها على التراجع.

في التّاسعة كان المركز مطوّقا و يحتل المتمرّدون غابة النّخيل المجاورة له و يمطرون الحامية بالقنابل و لم يكن في حوز المقاتلين إلاّ إطلاق بعض الرّشقات التى أجبرت المغيرين على تأخير مدافعهم. و حوالي الساعة 15 لاحظت الحامية على بعد 10 كلم نحو الشرق في اتّجاه أم الصّويغ طابورنجدة قادم تلا ذلك تراشق كثيف (...) لكن الطّابور ارتدّ مبتعدا كما لم تتمكّن دوريّة الصبايحيّة التي بعثت لطلب النّجدة من المرور. وفي السّاعة 19 تراجع المحاصرون إلى 5 كلم تقريبا جنوب البئر تاركين مراكز مراقبة و قد قتل من الحامية 7 و جرح 9 جنود (...) و قد انسحب العدوّ نهائيا من بعد غد نحو قرّاويّة و كان يقود عمليّة رمادة خليفة بن عسكر نفسه و معه حوالي 800 متمرّد يتبعهم حشد من الرّجال غير المسلحين ومن النّسوة و الأطفال متهيّئين للنّهب واقتسام الغنائم (...)

من جانب آخر بينما كانت مفرزة الملازم أوّل برّيشون (Perruchon) متّجهة لنجدة رمادة و على بعد 5 أو 6 كلم من هذه القرية تعرّضت المجموعة بوادي السّمنة إلى هجوم من محلّة طوّقتها وأجهزت عليها و كان المتمرّدون يصيحون: "القدّام"!الجهاد! إلى الأمام! و قد قتل أو فقد في المعركة الضّابطان و مساعدهما و 156 رجل و أخذت كل البغال و المهاري (...).

" - Alix - الجنرال ألكس

(S.H.A.T., S/S: 2HT. S.292, C. 2H. 53, D.3, ff. 579-580)

(م ت ج ب S.292 ، س 2HT، ص 2H53، م 3 ، وو 579 -580)

101 - جدول مقارنة لضحايا معارك الجنوب

اسم المعركة	تاريخها	مكانها	اسم القبيلة والقائل المشاركة	القيادة	عدد القتلى الفرنسيين		عدد الشهداء من الثوار		عدد الجرحى من الفرنسيين		عدد الجرحى من الثوار	
					حسب مصادر الثوار	حسب مصادر الفرنسيين	حسب مصادر الفرنسيين	حسب مصادر الثوار	حسب مصادر الثوار	حسب مصادر الفرنسيين	حسب مصادر الثوار	حسب مصادر الفرنسيين
واقعة المرطية	13 سبتمبر 1915	جبل المرطية	اولاد شهيدة - اولاد باب - قبيلة وزان بليبيا	محمد بن مذكور من قبيلة اولاد شهيدة	12	-	2	-	8	-	3	-
واقعة جبل مطيفة	14 سبتمبر 1915	وادي مطيفة	-	-	30	12	5	-	-	10	9	-
واقعة ثغرة النصف	15 سبتمبر 1915	ثغرة النصف مكان قرب ذهيبة	- اولاد شهيدة - اولاد دباب - المرازيق - الخالية - الطرايفة - الذهيبات	خليفة بن عسكر	120	28	15	150	80	30	20	-
واقعة ذهيبة الاولى	18 سبتمبر 1915	ذهيبة	صيعان قبيلة ليبية - ودارنة	خليفة بن عسكر	-	-	-	-	-	-	-	-
معركة رمثة	25 سبتمبر 1915	رمثة مكان يبعد 30 كلم عن نطاوين	- ودارنة - اولاد شهيدة - همايدة - كراشوة اولاد دباب	عمر الابيض شيخ الكراشوة	50	-	19	-	40	-	-	-
معركة أم صويخ	2 اكتوبر 1915	أم صويخ وقع شرقي رمادة بـ 14 كلم	بعض القبائل الليبية - كراشوة - زولاد شهيدة - اولاد دباب	خليفة بن عسكر - الحاج سعيد بن عود - اللطيف الدباسي - الشيخ علي بن عبد اللطيف الدباسي	200	23	-	-	140	40	-	-
معركة تكريف	9 اكتوبر 1915	وادي تكريف	كراشوة - اولاد شهيدة - اولاد دباب - قبائل ليبية	عمر الابيض - سعيد بن عبد اللطيف العباسي - علي بن عبد اللطيف	150	22	35	-	50	50	50	-
معركة ذهيبة الثانية	18جوان 1916	ذهيبة	قبائل ليبية - قبائل ودرنية	خليفة بن عسكر	-	-	-	-	4	-	-	-
معركة رمادة	26 جوان 1916	رمادة	-	محمد بن مذكور	-	-	2	-	-	-	1	-
معركةوادي سمنة	26 جوان 1916	وادي سمنة	مخالية - طرابلة - ذهيبات	خليفة بن عسكر	225	-	40	-	-	-	30	-
معركة بئر مقري	30 جوان 1916	بئر مقري جنوب شرقي رمادة	- قبائل ليبية ودرنية	خليفة بن عسكر	-	7	-	200	-	32	-	-

المصدر : لبيض(سالم) ، "القبيلة و الاستعمار، ملاحظات حول ثورة الجنوب التونسي"، 1915ـ1916 ، المجلة التاريخية المغاربية ، ماي 1995 ، عدد 77ـ78 ،ص، 224 .

102 - دور الطّيران العسكري في مراقبة الحدود وتتبّع المقاومين(جوان 1917).

"تمّ في جوان 1917 إعادة تنظيم طيران الجنوب تماشيا مع مهامّه الجديدة حيث تمّ تثبيت قاعدة جويّة بقابس و فرقة بجرجيس خصّصت لدائرة بن قردان و أخرى بتطاوين لدائرة ذهيبة و لحماية السّواحل من الغوّاصات ركّز سربان في قابس و صفاقس. وتقوم الطّائرات كل أسبوع بطلعات استكشافيّة على طول السّواحل و تدعم الطّوابير الأمنيّة. وفي جويلية شارك سرب من الطّائرات تحت قيادة النّقيب بورج (Bourges) دوريّة من مشهد صالح في ملاحقة قافلة من المهرّبين وقع القبض على أفرادها بعد معركة حامية"

تاريخ العمليّات العسكريّة على جبهة طرابلس و الجنوب التونسي. (الجنرال آلكس - Alix) 1915 - 1919.

(S.H.A.T., S/S;2HT. S. 292, C. 2H. 53, D3, f.582)

(م ت ج ب S.292 ، س 2HT ص 2H53 ، م 3 ، و و 579 -580)

103 - جو خمسة يقصّوا في الجرّه

جـو خمسـة يقصّـوا فـي الجـرّه وْمِلـلـكْ المـوت يْراجـي
وْلحقـوا مولـى العـركه المـُرّه المشهـور الدّغبـاجـي

* * *

جـوْ خمسـه يْقُصّـوا فـي الجـَرَه وْملـك المـوت مْعـاهـم
رامـيـهم شيطـان بْشـَرَه عـلْ تِبـزيعْ دْمـاهـم
فرحـوا يحْسـابوهـا غـرّه يتبـاشـروا بْمـلْقـاهـم
وقـت اِنْ شَبـحْ الـعين تْعَـرّى تكـوُّا الخيـلُ قـْداهـم
و الدّغبـاجي فيـده حـرُّه يْسَـرْبيـلهـم في عْشـاهـم
سرجاهـا خُرْجـت عـلْ بـرّا فـي المِلهـادْ اخـْذاهُـم
ذوّقهـم كيسـان المـرّه مـُوشْ مـْنِ القهـواجـي
الخمسـه دَرْجَحْهـُم فـي مَـرّه لامـن روّح نـاجـي
فزْعـوا خمسـه بِرْبـاعِيـهُم تيْجيبـوا الفـلاقـة
مخـزن مطماطـة يْنجّـيهم لثـرْنهُـم بنـداقـة
الكيلاني يِتْحلـّف فـيهم بحلالـه وطـْلاقَـة
الدّالـة الفـلاّقـه نِمْحـيهُم فـي واسـع رقْـراقـة
حسبوا يلقُوا الشـّايطْ لـيهم مـُدُّوهـا يـارْفـاقـه
ضربـوا الخمسـه وحبـّوا ايديهـم زفّـوا زفُّ تـلْاقـى
كِـذب الوسعـه يقـْصرْ بـيهم زيْ هـدْيـرْ النـاّقـه
توّاِنْ يـتْلاقـُوا يِقْسيهـمْ بـوسـرْبـه شلهـاقـه"

للشاعر علي الورثة الحموني

المصدر: المرزوقي محمد، الدّغباجي، مكتبة المنار، تونس، 1979، ص ص 149 -150

ملحق الصور

فهرس الصور

- إمضاء معاهدة باردو كما رأتها جريدة Le Triboulet بتاريخ 29 ماي 1881..... 177
- محمّد الصادق باي (1859-1882) عن L'Illustration ، 1881/4/16..... 178
- جلالة روسطن الأول، عن لبكا L'Epoca، في 1 - 2 أوت 1881..... 179
- تجمع محلة علي باي أمام قصر باردو ،عن L'Illustration ، 1881/5/7 180
- مقاومون أثناء معركة، عن L'Illustration بتاريخ 26 نوفمبر 1881..... 181
- دخول القوات الفرنسيّة إلى الكاف عن L'Illustration ، 1881/5/21..... 182
- قصف صفاقس عن L'Illustration ، 1881/4/16..... 183
- دخول القوات الفرنسيّة إلى صفاقس عن L'Illustration ، 1881/8/13..... 184
- احتلال قابس، عن L'Illustration ، 1881/8/20 185
- عمر بن عثمان..... 186
- خليفة بن عسكرالنالوتي..... 187
- محمّد الدغباجي. 1885 - 1924 188

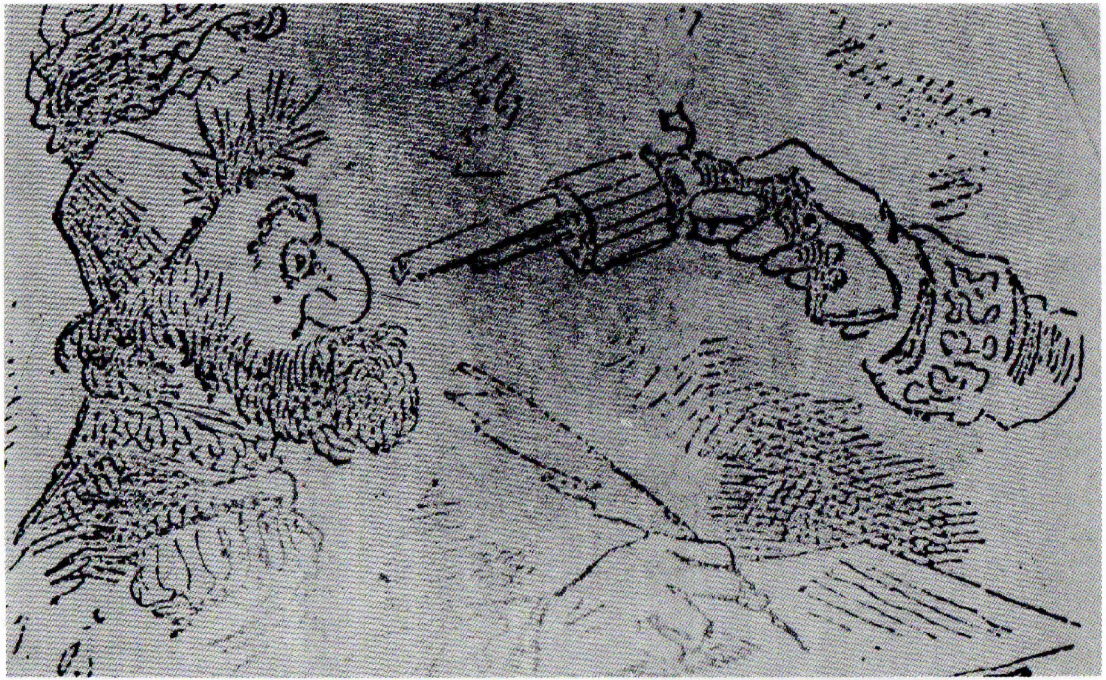

إمضاء معاهدة باردو كما رأتها جريدة Le Triboulet بتاريخ 29 ماي 1881

محمّد الصادق باي (1859-1882) عن L'Illustration . 1881/4/16

جلالة روسطن الأول، عن لبكا L'Epoca، في 1 - 2 أوت 1881

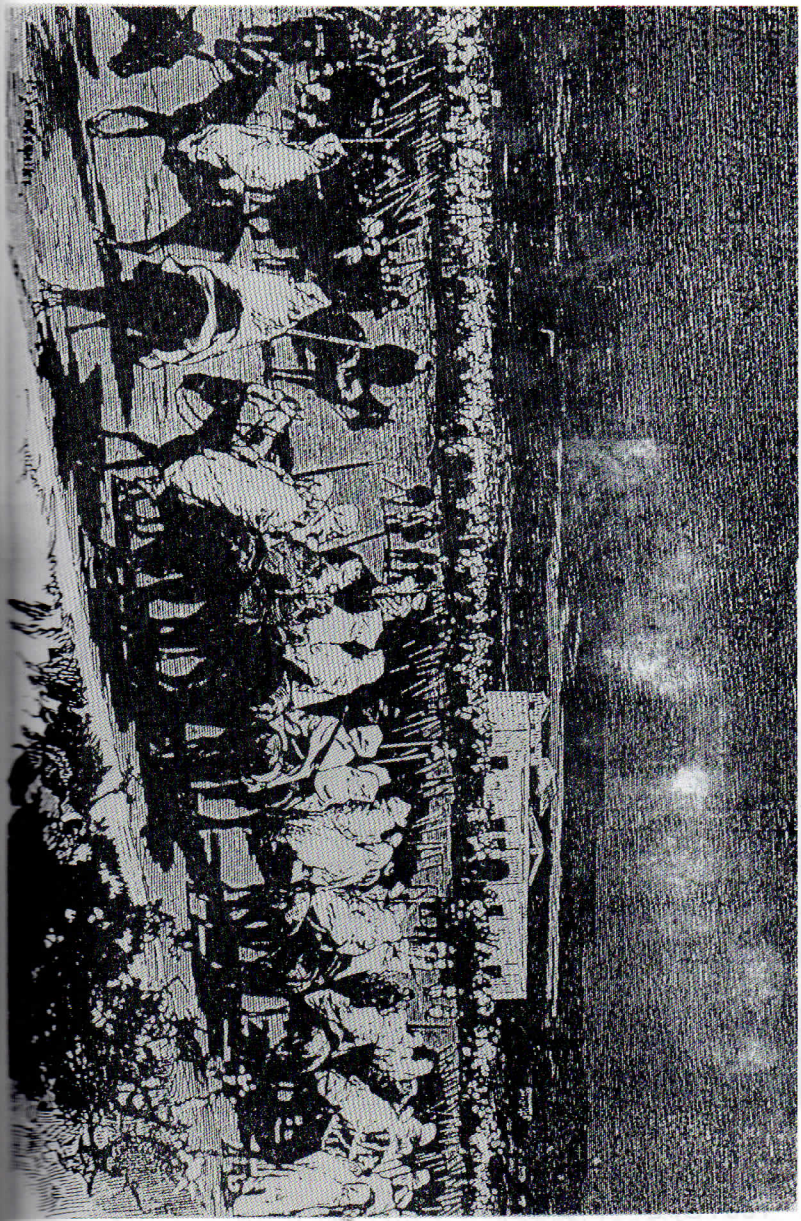

مقاومون أثناء معركة، عن L'Illustration بتاريخ 26 نوفمبر 1881

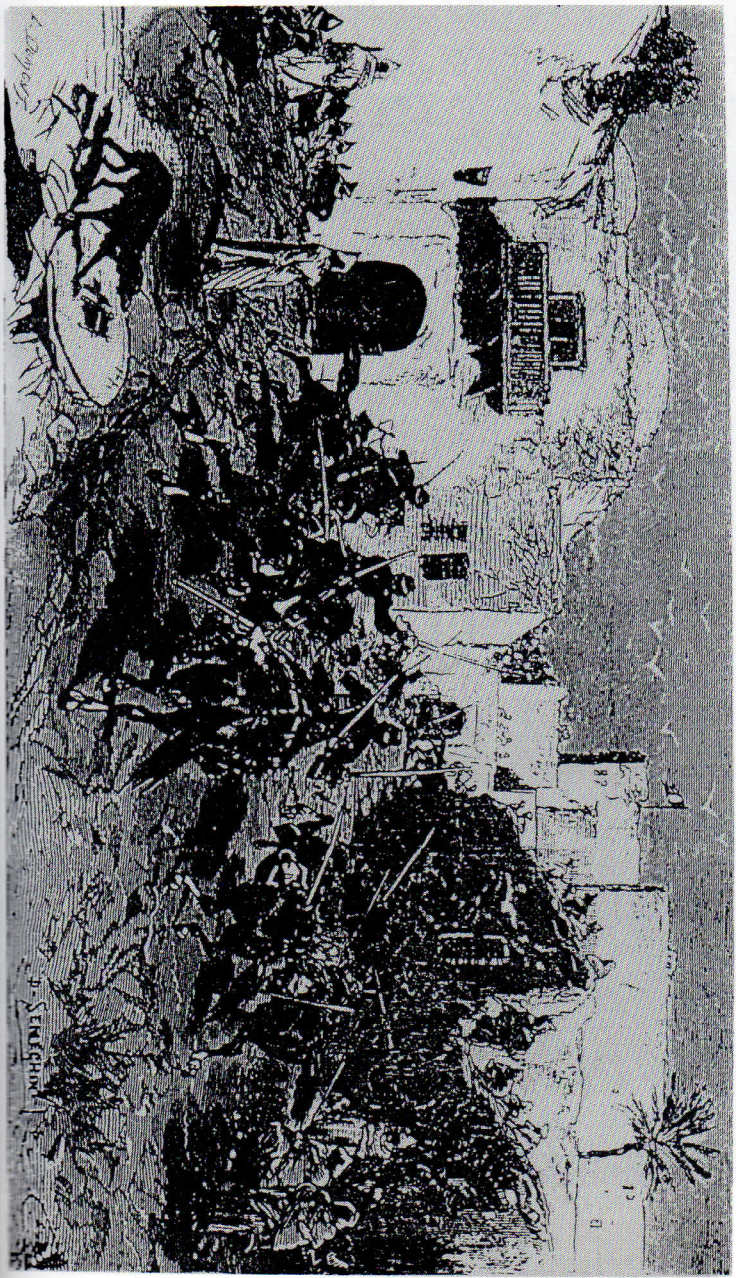

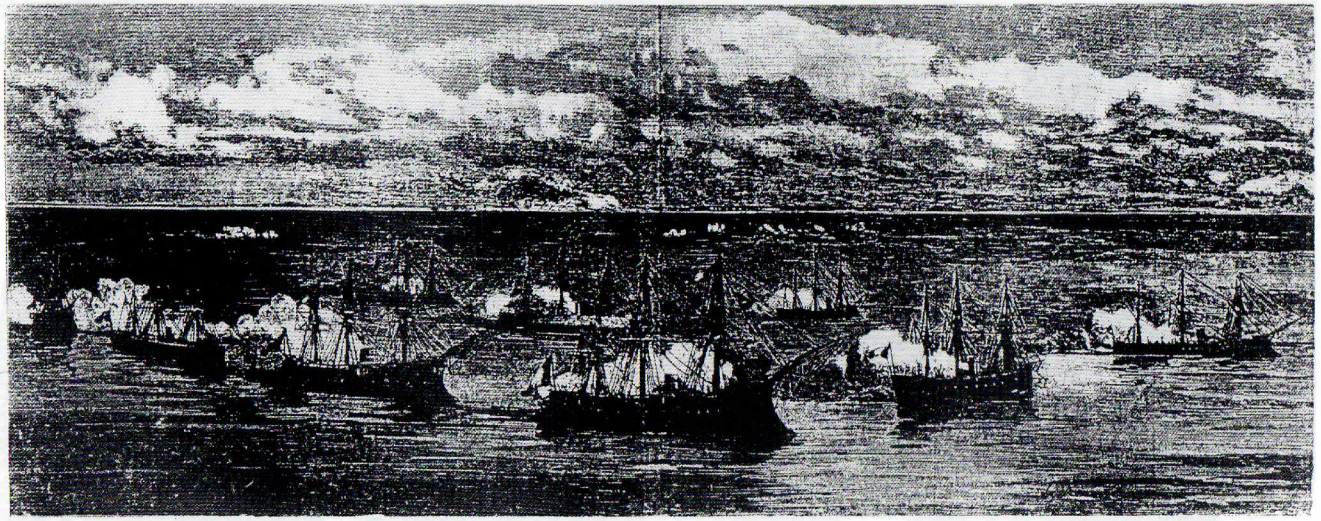

قصف صفاقس عن L'Illustration ، 1881/4/16

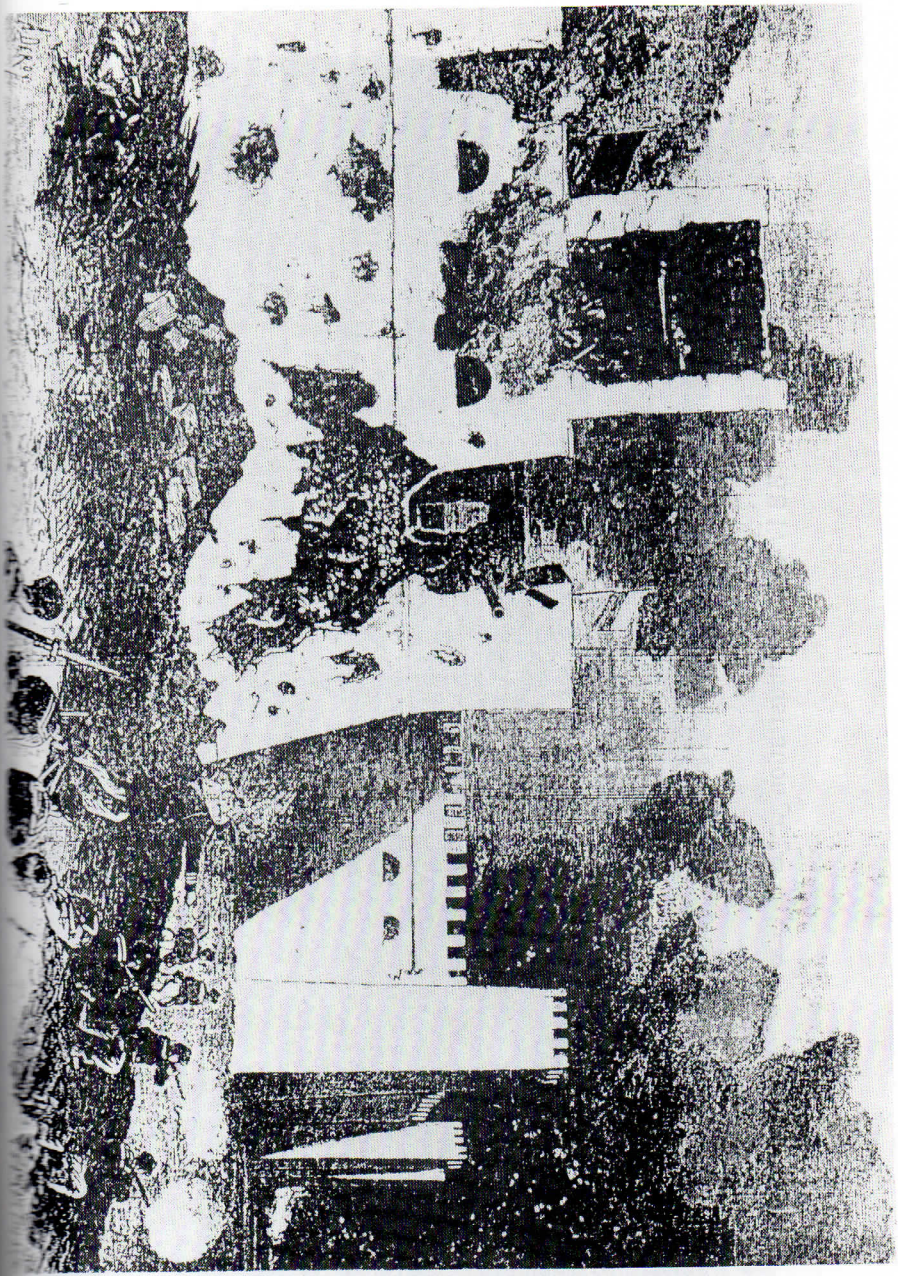

احتلال قابس، عن L'Illustration ، 1881/8/20

خليفة بن عسكر التالوتي

محمد الدغباجي (1885 1924)

بيوغرافيا لبعض رجال المقاومة*

إبراهيم الساسي الشعيلي :(1822 -1917) : من بنغ[illegible] في حامّة قابس تميّز بشعره وفروسيته شارك في ثورة علي بن خليفة النفاتي عامل قابس منذ بداية الاحتلال الفرنسي وساهم في الدفاع عن قابس والهجوم على القوات الفرنسية التي احتلت المنزل. ثمّ هاجر إلى طرابلس مع المهاجرين وتعرّض إلى عدّة ضغوط لإجباره على العودة مثل مصادرة أملاكه غير أنه بقي في طرابلس إلى حين سقوطها تحت الاحتلال الإيطالي. عاد إلى تونس حوالي 1913 واستقرّ في أحواز الحامّة إلى وفاته.

أحمد بن مسعود: من الحنادرة من الفراشيش. كان عنصرا بارزا في ثورة 1906 قاد الهجوم على ضيعتي المعمرين صال وبرتران. وقد يكون قتل بنفسه عددا من الأوربيين الذين رفضوا النطق بالشهادتين. تذكر المصادر أنه كان عنصرا بارزا في الإعداد لهجوم يوم 27 أفريل على تالة حيث قتل أثناء مهاجمته مركز المراقبة المدنيّة.

أحمد بن يوسف الهمامي :(1810 -1895) : من الهمامّة. ولّي عاملا على قبيلة أولاد رضوان حيث نال رتبة أمير ألاي. غير أنه سرعان ما أعلن الثورة بمجرّد انتصاب الاحتلال الفرنسي حيث قاد الهمامّة في معظم العمليات الحربية ضدّ الفرنسيين منسقا في نفس الوقت مع زعماء نفات وجلاص والسواسي والفراشيش وأولاد عيار في مرتفعات سبيطلة (أوت 1881). وقد هاجم ڤفصة وحاول الاستلاء على قلعتها دون نتيجة، كما شن عدّة هجمات في الشمال صحبة علي بن عمار العياري إلى حدود مدينة الكاف وشارك في الحملات التي شنّها حرّات الفرشيشي على القوات الفرنسية في الجزائر. وبعد انهزام المقاومة تراجع إلى الجنوب وبقي خمس سنوات في طرابلس ولم يعد إلى تونس إلاّ في 1886 حيث انعزل رافضا العودة إلى وظيفتة كعامل جهته، إلى وفاته.

---

* ل م نعتمد التّرتيب اللّقبي بل خيّرنا تسهيلا لإستغلال هذه السّير الذاتيّة إثبات الأعلام حسب أسمائهم المتداولة.

البشير بن سديرة: ولد سنة 1892 في منطقة السند. استدعي للجندية في بداية الحرب العالمية الأولى والتحق بالجيش الفرنسي وبعد حوالي شهرين فرّ بسلاحه واستقر في الجبال المجاورة لقفصة، حيث التحقت به مجموعة من الشباب. تصادق مع محمد الدغباجي واشترك بعض الوقائع مثل معركة جبل بوهدمة سنة 1919 .. وله مصادمات كثيرة مع السلطة منها واقعة سيدي عيش وواقعة أولاد شريط وواقعة جبل العنق. اكتسب شهرة كبيرة خلدتها الذاكرة الجماعية ولم تفلح السلطات في القضاء على ثورته إلاّ في ماي 1919 إذ قتل غدرا.

بلقاسم بن ساسي: شارك في المعارك التي بدأت سنة 1914 ضد الإيطاليين والفرنسيين بجهات نالوت ووازن. كوّن مجموعة مقاومة سريعة الحركة ضدّ الفرنسيين بالحدود الجنوبية كانت قدرته الحربية مبعث شهرة له. مات سنة 1929 وقد اختلفت الروايات حول أسباب موته.

بوبكر بن غرس الله: (1892 -1967) شهر ابن قطنش ولد سنة 1892 بالجنوب التونسي شارك أخويه سالم وأحمد في الجهاد ضد فرنسا وإيطاليا. وكان قبل ذلك عاملا في الفرقة الصحراوية (القومية) .انضم إلى المجاهد محمد الحاج محمد فكيني القائد الليبي وشارك معه في العديد من المعارك مثل معركة الوخيم والجيوش وتاردية وغيرها. ولمّا هدأت الثورة سلّم نفسه للسلطة الإيطالية وعمل مدّة عامين في جيش "السبايس" ثمّ رجع إلى تونس . انضم إلى ثورة 1943 بالجنوب التونسي وبعد فشلها قبض عليه في الحامة وأودع سجن صفاقس ثمّ فرّ من المستشفى لكنه سجن بالعاصمة مجدّدا. أقعده المرض عن مواصلة المشاركة في الحركة الوطنية ابتداء من سنة 1952اشتهر بشعره العامي والوطني.

حرّاث الفرشيشي (الحاج) :(1815 -1890) : من أولاد محفوظ من الفراشيش. ولد بقوس سنة 1815 وسمّي عاملا فيها على أولاد ناجي سنة 1870 . ويذكره مرتال ضمن من أطلق سراحهم من أعيان القبائل من سجن الباي في جوان 1881 بغرض تهدئة القبائل الثائرة. لكنه بمجرّد عودته إلى فوسانة تولّى قيادة الفراشيش في الثورة وشارك في هجوم علي بن عمّار العياري على الكاف لمحاولة الاستيلاء على قلعتها كما هاجم المصالح الفرنسيّة في الجزائر

واشتبك مع القوات الفرنسية القادمة من تبسّة في اتجاه القيروان (أكتوبر 1881). وعند انهزام المقاومين لجأ إلى الجنوب وبقي في طرابلس رافضا العودة ضمن العائدين وتوفي سنة 1890 أثناء أداءه الحجّ.

سعد بن عون: (1853 -1933) : من منطقة تطاوين. كان من أوائل المنتمين لثورة 1915 التي أصيب فيها وهرب إلى الدويرات للمعالجة لكن قبض عليه وحكم عليه بالأشغال الشاقة مدى الحياة وبالإبعاد إلى سجون مستعمرة كيان بأمريكا الجنوبيّة لكنه فرّ من سجن قابس إلى التراب الليبي للعمل تحت قيادة خليفة بن عسكر وقبضت السلطة على أبنائه لإجباره على تسليم نفسه فكان أن سلّم نفسه سنة 1930 وأرسل إلى مستعمرة كيان حيث توفي .

سعيد بن عبد الله (الحاج) : (ت 9 أكتوبر1915) : أصيل منطقة تطاوين، تحوّل إلى تونس حيث عيّن عضوا في مجلس الشورى وفي العاصمة اتصل بقادة الحركة السياسية وساند فكرة الجهاد ضد الحلفاء التي أعلنها الخليفة العثماني فرجع إلى تطاوين ليدعوا إليها ساهم في تنظيم هجرة القبائل إلى الحدود الجنوبية وفي التنسيق لثورة القبائل مع الضباط العثمانيين لليبيا. قتل في معركة أم صويغ (أكتوبر 1915).

سعيد فريعيس: ولد برمادة حوالي سنة 1886 . شارك سعد بن محمد فريعيس في ثورة الجنوب (معارك بئر المنزلة والمرطبة مثلا) ثمّ لجأ إلى طرابلس أين قبضت عليه السلطات الإيطالية وسلّمته إلى السلط العسكرية الفرنسية بالجنوب التونسي وحكمت عليه بالأشغال الشاقة مدى الحياة والإبعاد إلى مستعمرة كيان بأمريكا الجنوبية حيث انقطعت أخباره .

صالح بن محمّد العماري: من قبيلة بني زيد بحامة قابس ترجّح ولادته سنة 1890 م . كان جنديا مع الدغباجي وكان من ضمن جنود الذين فرّوا إلى صفوف المقاومين التونسيين والليبين بقيادة خليفة بن عسكر النالوتي. شارك في معركة المغذية سنة 1920 ومعركة الجلبانية سنة 1920 أيضا. كما شارك في واقعة وادي الزاس التي قتل فيها كومندان فرنسي سنة 1921 .

استقر بليبيا إثر إعدام خليفة بن عسكر والقبض على الدغباجي إلى حين وفاته بزوارة سنة 1965 .

ضو بن ضيف الله: من قبيلة أولاد شهيدة بمنطقة تطاوين ولد سنة 1890 . شارك في ثورة الجنوب سنة 1915 عمل تحت قيادة خليفة بن عسكر في الوقائع ضد الإيطاليين والفرنسيين اشتهر بقدراته القتالية . ثم نزح إلى صحراء فزان مع أصهاره الليبين. توفي حوالي 1924 .

عامر العيساوي (الشيخ) : (1823 -1902) : من جهة مطماطة حيث كان شيخا على بلدة بني عيسى عند دخول الفراشيش إلى تونس. نظّم ثورة جبل مطماطة ونجح في صدّالقوات الفرنسيّة إلى أواخر 1881 وأجبر المقاومون على الاستسلام ودفع الغرامات الرس الثقيلة. وفي سنة 1902 تزعم حركة عصيان أخرى إثر رفض سكان الجبل تجنيد عدد من الشبان في الجيش. قتل في مواجهة مع القوّات الفرنسية وقامت السلطات بنهب أملاكه وسجن أقاربه.

علي بن بدر : ولد سنة 1902 أو 1903 كان أبوه من المجاهدين الذين انضموا إلى المقاومة الليبية مم جعل علي يتمرس بالمعارك ويشارك في العديد منها منذ حداثة سنّه من أشهرها معركة الأحـرس سنة 1918 . رجع علي إلى تونس سنة 1929 وفي سنة 1932 اتصل بالحـركـة السياسية بالعاصمة واعتنق مبادئها وأصبح داعيا للحزب الدستوري واعتقل العديد من المرات. وبقي متنقلا بين العاصمة والجنوب يساهم في دفع الحركة الوطنية حتى الإستقلال.

علي بن خليفة النفاتي :(1807 - 1885) : من عرش نفات في الجنوب التونسي نشأ في عائلة مخزنيّة وتدرّج في الوظائف فكان عاملا على نفات والهمامة وجلاص والقيروان وأولاد عيار والمثاليث. وعند انتصاب الحماية كان عاملا على الأعراض فأعلن الثورة على الباي وجمع المقاومين متصلا في الوقت نفسه بالوالي العثماني على طرابلس طلبا للنجدة ولكن دون نتيجة. اتصل برؤساء القبائل لتنظيم المقاومة حيث أعلن نفسه ممثّلا للسلطان العثماني. وقد نظم مقاومة مدينة صفاقس بقيادته للمعركة داخل الأسوار وخارجها . وبعد سقوط المدينة نظم غارات سريعة

وصلت إلى حدود مدينة تونس. وفي أكتوبر 1881 تحوّل إلى الشمال مشاركا في معارك الساحل قبل أن يعود لقيادة آخر معارك قابس. وفي نوفمبر 1881 انسحب إلى الجنوب ولجأ في حوالي ثلاثين ألفا من الأتباع إلى طرابلس. ولم تنقطع مقاومته بالهجرة إذ نظم عدّة عمليات إغارة على التراب التونسي إلى حدود وفاته سنة 1885.

علي بن عمارة الجلاصي :(؟ - 1881) : من منطقة بوحجلة في زيف القيروان. أعلن المقاومة منذ بداية الاحتلال. قاد المقاومين في معركة المقرن ثمّ معركة وادي لايا في النصف الثاني من شهر أكتوبر. كما قاد عدّة هجمات سريعة على القوات الفرنسية. قتل غدرا في أواخر أكتوبر حسب تقدير محمد المرزوقي.

علي بن عمار العياري :(؟ - 1883) : ولد بين 1805 و 1815 حسب تقدير محمد المرزوقي. من أولاد عيار انتمى إلى سلك العمّال فولّي عاملا على عرشه الظاهرة في ربيع 1881 كان معتقلا بسجن الباي ثمّ أطلق سراحه في أواخر جويلية من نفس السنة لتهدئة أولاد عيار الثائرين . لكنه بمجرد عودته صرّح بوجوب الجهاد ضدّ الفرنسيين معتبرا إمضاء الباي معاهدة الحماية خيانة وكفرا ، وتزعّم ثورة قبيلته وكذلك قبيلتي أولاد عون ودريس مهاجما مدينة الكاف والقوّات الفرنسية. من أهم العمليات التي قادها هجومه في عدد من الفرسان على محطة الأرتال بوادي الزرقاء الذي قتل فيه عدد من الأوروبيين. كما واجهت قواته الجيوش الفرنسية في معارك عديدة برزت فيها مقدرته الحربية. وبعد سقوط مكثر (24 أكتوبر) مركز مقاومته، انسحب إلى الجنوب ودخل طرابلس التي عاد منها في السنة الموالية بعد أن تمكن من نجدة العثمانيين.

علي بن عمر الطليحي: من أولاد دياب وهو من صبايحية مركز مشهد صالح انضم إلى الثورة وشارك فيها مع قبيلته. حضر معركة أم صويغ حيث قتل يوم 9 أكتوبر1915 .

علي بن محمّد (الشيخ) : كان شيخا لقبيلة أولاد دياب وشارك في الثورة ضد الفرنسيين وحضر جميع الإجتماعات التي عقدها زعماء القبائل لإعداد الثورة. شارك مشاركة فعّالة في معركة أم صويغ حيث استشهد.

علي بن محمد بن صالح: كان شيخا على قماطة من الفراشيش حيث خلف والده في هذا المنصب منذ 1889 . لكنه عزل من منصبه سنة 1891 بتهمة الارتشاء . أدين في سنة 1894 بتهمة تهريب التبغ و الذّخيرة. كان عمره حوالي 45 عاما في سنة 1906 حين تعرّف على عمر بن عثمان ونظم زياراته إلى دواوير الفراشيش كانت السلط اتّهمته بالوقوف وراء ثورة تالة وأنه قد يكون استغلّ شعبيّة عمر بن عثمان لدى الفراشيش لتنظيم انتفاضة يستفيد منها. اعتقل في تالة في أفريل 1906 وصدر عليه في نوفمبر 1906 حكم بالإعدام أبدل بالأشغال الشاقة المؤبدة وقد يكون توفي في معتقل كيان بأمريكيا الجنوبيّة.

علي بوعلاق : (؟ - 1915) : من بلدة نقة غربي قبلي . من أعيان الجهة. عند قدوم الفرنسيين كان معتقلا بسجن الباي ثمّ أطلق سراحه لتهدئة ثورة القبائل لكنه انظمّ للمقاومين من نفات والهمامّة مشاركا في الهجمات على القوّات الفرنسيّة إلى حدود الشمال وفي التراب الجزائري. وفي أواخر 1881 لجأ إلى طرابلس صحبة علي ابن خليفة النفاتي ولازمه إلى حدود وفاته ولم يعد إلى تونس إلاّ سنة 1907 .

علي خماخم (؟ - 1899) : أصيل صفاقس . اشتهر بصناعة الأسلحة وإصلاحها ممّا مكّنه من لعب دور هام في مساندة مقاومة المدينة للاحتلال في الفترة الممتّدة من 5 إلى 17 جويلية 1881 . وبعد سقوط المدينة هاجر إلى طرابلس حيث بقي إلى حدود وفاته سنة 1899 .

علي الساري بوذيب: من المخالبة انضم إلى ثورة 1915 وشارك في أغلب المعارك كمعركة أمّ قرجوع ومعركة ماطوس والهيرة التي استشهد فيها (15 أكتوبر 1918) .

عمر الأبيض: من كرشاو بمنطقة تطاوين مع شيوخ الجهة نسّق لإعلان الثورة (اجتماع ديسمبر 1915) اتصل عن طريق إبنه المبروك بخليفة بن عسكر وبنعزوز بن سوفجين لطلب السلاح ودخل التراب الليبي حيث شارك في المقاومة ضدّ الإيطاليين الإخوان الليبين وواصل الإستقرار بليبيا بعد فشل الثورة إلى حين وفاته.

عمر بن عثمان: ولد حوالي 1880 بروس الشواشي من جهة سوق أهراس. اشتغل خمّاسا إلى حدود 1904 حيث ظهرت عليه علامات الخبل، فشرع في التنقل بين الدّواوير و الزّوايا وقدم إلى جهة الفراشيش في أواخر 1905 أو بداية 1906 . كان يدعو إلى التّمسك بتعاليم الدين من صلاة وزكاة فحظي بشعبيّة لدى الفراشيش الذين اعتبروه وليا صالحا. ثم اتّخذت دعوته طابع الدّعوة إلى الثورة حيث حرّض الفراشيش على مهاجمة الأوربيين وإجبارهم على الدّخول في الإسلام. أعتقل في تالة في 27 أفريل 1906 . وفي نوفمبر من نفس السنة صدر عليه الحكم بالإعدام (رغم الشك في امتلاكه لكامل مداركه العقليّة) ضمن 5 متهمين آخرين و أبدل الحكم بالأشغال الشاقّة المؤبّدة لكنه مات في السجن بعد مدّة قصيرة.

عمر الغول : من قبيلة العوينة (المرازيق) تاريخ ولادته غير معروف ولكن المرجّح أنه ولد فيما بين سنتي 1855 و 1865 مع اندلاع الثورة سنة 1915 اتجه نحو الحدود الليبية وانضوى تحت قيادة خليفة بن عسكر يشارك في المعارك ضد الإيطاليين والفرنسيين واشتهربمهارته الحربية من أشهر الوقائع التي شارك فيها نذكر واقعتي الهبيرة (الأولى والثانية) سنة 1918 وواقعة 1916 واستمر في نشاطه إلى سنة 1920 فابتعد إلى الحدود الجزائرية الليبية. حيث قتل في معركة مع قوّة فرنسيّة.

محمد بن سعد المقراني : جزائري الأصل جاء إلى تونس عند انتصاب الحماية ولازم مراكز الحدود بالجنوب التونسي. انظمّ إلى ثورة سنة 1915 وخاض أغلب المعارك التي وقعت بالحدود وعند انتهائها سنة 1919 اتجه إلى ليبيا.

محمد بن شامخ : من قبيلة غبنتن بمنطقة مدنين عمل ضمن سلك الصبايحيّة ثم ارتقى إلى رتبة رئيس مركز حراسة الحدود بالشوشة سنة 1911 . وكان يغضّ الطرف عن الأسلحة المهربة عبر الحدود إلى ليبيا وشارك في بعض العمليات ضدّ الإيطاليين سرّا. اتصل به عبد الجليل الزاوش لينسّق معه عملية تهريب أسلحة إلى الليبين لكنها أحبطت فعزل من منصبه ونفي ثم عاد إلى وظيفه. وفي سنة 1927 اتهم بمساعدة الثائر بلقاسم بن ساسي ماديا فأبعد من جديد إلى قبلّي. توفّي سنة 1932 بالمستشفى الصادقي.

محمّد بن عبد اللّه، شهر الشرع (الشيخ) :(؟ - 1895) من العوينة قرب دوز. كان فقيه قبيلته ومن ذلك إسم شهرته " الشرع" حيث تعلم بالجريد وبجامع الزيتونة. كان على اتصال بالمقاومين الجزائريين إبان ثورة المقراني(1871) إذ وفّر الحماية لقتلة العربي المملوك قائد وادي سوف (1873) ممّا أثار احتجاج القوّات الفرنسيّة وبالتالي غضب الباي، فنهبت أملاك الشيخ محمد بن عبد اللّه الذي ارتحل إلى الحدود (1876) قبل أن يعتقل وتفرض عليه الإقامة الجبرية بنفات. هاجر إلى طرابلس بعد الاحتلال الفرنسي وقد تميّز بإصداره الفتوى التي كفّرت من يرفض الهجرة من التونسيين بعد فشلهم في المقاومة، لكنه عاد إلى البلاد بعد اليأس من النجدة العثمانية.

محمد الدغباجي: ولد سنة 1885 بمنطقة الحامة جنّد في الجيش الفرنسي سنة 1907 . وفي الحرب العالمية الأولى سنة 1914 كان الدغباجي من ضمن الجيش الذي أرسل إلى مراكز الحدود الليبية كتعزيزات ولكن مع اندلاع ثورة الجنوب سنة 1915 فرّ من الجندية وانضمّ إلى قيادة خليفة بن عسكر ومع إعلان الصلح بين ليبيا وإيطاليا رجع الدغباجي إلى التراب التونسي وشارك في معارك عديدة ضدّ الفرنسيين ومن أشهر وقائعه واقعة جبل بوهدمة سنة 1919 وواقعة خنقة عيشة سنة 1919 وواقعة الزلوزة سنة 1920 وواقعة المغدية سنة 1920 وواقعة الجلبانية سنة 1920 . قبضت عليه السلطات الإيطالية سنة 1922 وسلمته إلى السلطات الفرنسية فنفّذ فيه حكم الإعدام يوم 1 مارس 1924 بالحامّة.

محمد بن مذكور: يرجع أصله إلى قبيلة المحاميد من عرب طرابلس انضم إلى المجاهدين الليبيين وشارك في 14 معركة حربية ضد إيطاليا وفي سنة 1913 إثر انهزام المقاومة الليبية رجع إلى تونس فألقي عليه القبض وسجن 5 أشهر. مع اندلاع الحرب العالمية الأولى واستئناف المقاومة الليبية انضم من جديد إلى خليفة ابن عسكر. توفي سنة 1916 إثر المهجوم على مركز رمادة.

محمّد الصالح الأطرش :(؟-1881) أو محمد الصالح بن منصور بن حمزة، وأصل لقبه الأطرش أنه كان أصمّا من قرية الظهيرات في خمير، أعلن عصيانه للباي وقاوم بقوّات من الثائرين من خمير القوات الفرنسية منذ نزولها في ميناء طبرقة حيث حقق نتائج إيجابية. حاول إثارة أعيان باجة بعد دخول الجيش الفرنسي إليها لكن دون فائدة.

محمد كمون: (1826 - 1901) : من مدينة صفاقس. اشتغل بالتجارة والفلاحة. تزعم قيادة العمليات الحربية داخل الأسوار أثناء الهجوم الفرنسي على المدينة وأشرف على مراقبة مدفعية الأبراج. قام بالتنسيق مع علي بن خليفة النفاتي لحماية المدينة بقوّات من القبائل. وبعد سقوط المدينة لجأ إلى طرابلس ومنها إلى إسطنبول حيث قابل خير الدين وبعض الوزراء الآخرين فاقتنع أنه لن تكون هناك نجدة عثمانية لتونس. رجع إلى البلاد بعد أن تحصّل على الأمان وباشر من جديد أعماله التجاريّة والزراعيّة إلى حين وفاته.

محمّد المدني الجليدي : ولد سنة 1892 بمنطقة تطاوين عمل كاتبا مع الضباط الفرنسيين وفي سنة 1915 نقل للعمل بمركز مشهد صالح ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى والثورة في الجنوب شارك ضمن فرقة مشهد صالح في المقاومة ضدّ إيطاليا من جهة وضدّ فرنسا من جهة أخرى. وتوفي بمنطقة الجوش الليبية .

مصباح بربش : ولد سنة 1887 بمنطقة الحامة انضم إلى المجاهدين الليبين . تحوّل إلى الأستانة ومنها إلى تونس حيث سلّم رسالة الأستانة إلى زعماء الحركة الوطنية بتونس (الشباب التونسي). بعد سجن زعماء الثورة انضم مصباح إلى محمّد الدغباجي ليعمل تحت قيادة خليفة بن عسكر واشترك في الغارات والمعارك. ومع اشتداد الضغط الإيطالي تفرّق المجاهدون وحاول مصباح بربش الوصول إلى التراب المصري إلا أنه مات في الطريق عطشا سنة 1925 .

منصور بوراوي : من قبيلة الصابرية بمنطقة دوز. التحق بالثورة سنة 1915 شارك في الجهاد مع خليفة بن عسكر ثم مع عمرالغول مترددا بين التراب الليبي وبين صحراء الجنوب التونسي. قتل سنة 1924.

منصور الهوش :(؟.-1891) : من مدنين اشتهر بفروسيته وشعره. قاوم الاحتلال الفرنسي للجنوب ثم هاجر إلى طرابلس ومنها نظم الغارات السريعة على القبائل التونسية حيث اعتبر من رفض الهجرة كافرا تجوز محاربته. وقد أدى ذلك إلى احتجاج السلطات الفرنسية لدى طرابلس فتمّ سجنه بأمر من باشا طرابلس. وبعد إطلاق سراحه واصل غاراته على الجنوب التونسي فنفاه الوالي العثماني إلى سرت حيث توفي أثناء خصومة قبلية.

النّاعس الشّرياق : سنة (1862 -1923) ولد بمنطقة الحامّة. حمل السلاح ضدّ المحتلّين مع قبيلة بني زيد هاجر إلى ليبيا وشارك في الغارات على الفرنسيين. وفي سنة 1883 رجع إلى تونس ثمّ عاد فانظمّ إلى المقاومة الليبية. رجع إلى أهله اثر فشل الثورة وسجن (1920) إثر تسهيله مع شيوخ قبيلة بني يزيد عملية فرار الدغباجي وتوفي يوم 27 فيفري 1923 بالسجن.

ببليوغرافيا منتقاة.

I المصادر

1) بالعربية :

- وثائق الأرشيف الوطني التونسي

السلسلة	الصندوق	الملف
التاريخية	17	192
	38	443م
	39	444و444م
	215	300و307
	215م	310
	315	301
A	196	1
E	550	2

2) بالفرنسية :

في أرشيف الاقامة العامة بالبلاد التونسية ووزارة الخارجية الفرنسية و أرشيف الجيش الفرنسي بتونس يمكن مراجعة الثبت المفصل للمصادر والمتعلق بالمقاومة المسلحة و الوارد "بأعمال الندوة الدولية السابعة حول المقاومة المسلحة في تونس في القرنين التاسع عشر والعشرين" ص ص. 13 – 39 وخاصة:

- في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية من السلسلة مراسلات سياسية الصناديق : 25 ، 59 ، 60 ، 61، 62 ، 63 ، 64، 65 ، 67 ، 75 ، 79 وفي السلسلة الجديدة - تونس : الصندوق :

- في أرشيف المصلحة التاريخية لجيش البر الفرنسي ومن السلسلة 2 H Tunisie : 2H6 ,2 H7, 2 H 9, 2 H10 , 2H13, 2 H26, 2H33, 2H53,2H54, 2H57.

II - المراجع .

1) بالعربية :

- أعمال الندوة الدّولية السابعة حول *المقاومة المسلّحة في تونس في القرنين التاسع عشر و العشرين* ، منشورات المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس ، 1995 .

- بلحولة (محمد علي) : *الجهاد التونسي في الشعر الشعبي : مائة عام من تاريخ تونس* ، تونس ، 1978 .

- التيمومي (الهادي) : *انتفاضات الفلاحين في تاريخ تونس المعاصر ، مثال 1906* ، بيت الحكمة ، قرطاج ، تونس ، 1993 .

- الزيدي (علي) : انتفاضة الفراشيش سنة 1906 ، *المجلّة التاريخية المغربيّة* ، تونس ، 1988 ، العدد : 49 - 50 .

- القشاط (محمد سعيد) : *خليفة بن عسكر ، الثورة و الاستسلام* ، المنشأة الشعبية للنشر و التوزيع و الاعلان ، الجماهيرية اللّيبية ، 1980 .

- المحجوبي (علي) : *انتصاب الحماية الفرنسية بتونس* ، دار سراس ، تونس ، 1986 .

-المرزوقي (محمد) : *دماء على الحدود* ، الدار العربية للكتاب ، تونس 1975 .

-المرزوقي (محمد) : *الدغباجي* ، مكتبة المنار ، تونس ، 1979.

- المرزوقي (محمد) : *صراع مع الحماية* ، دار الكتب الشرقية ، تونس، 1973 .

- ليسير (فتحي) : *نجع و رغمّة تحت الإدارة العسكرية ، 1881 - 1939* ، أطروحة لنيل شهادة التعمّق في البحث ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية بتونس ، ماي، 1991 ، (مرقونة) .

2) بالفرنسية

-ABDELMOULA (M.), *Jihad et colonialisme, La Tunisie et la Tripolitaine (1914-1918)*, Edition Tiers -Monde, Tunis, 1987 .

- BELAID (H) , "La révolte de 1915-1916 dans le Sud Tunisien à travers les Archives du Protectorat, communication au colloque" "Révolte et Société", in *Histoire au Présent*, Publication de la Sorbonne, Paris, 1989.

- BROADLEY (A), *The last punic war , Tunis Past and Present, with a narrative of the franch conquest of the Regency*, London , Edinburgh, 1982 , 2 tomes.

- CHERIF (M-H) , "Les mouvements paysans dans la Tunisie du XIXe s ". , *R.O.M.M.*, n° 30,1980, pp. 21-55 .
- GANIAGE (j). , *Les origines du Protectorat français en Tunisie (1861-1881)*, 2 vol. P.U.F., Paris, 1965 .
-LE BOEUF (J), "Historique de la conquête pacifique des territoires militaires de Tunisie", in *Revue Tunisienne*, XIV, 1907, pp 112-128 et 244 -267 .
-MAHJOUBI (A) et KAROUI (H), *Quand le soleil s'est levé à l'Ouest : Tunisie 1881, Impérialisme et Résistance*, Tunis, Cérès Productions, 1983.
- MARTEL (A), *Les confins Saharo-Tripolitains de la Tunisie,1881-1911*,P.U.F., 1975,2t.
- RAFFOUX (Cap), *Le Front Sud-Tunisien pendant la guerre 1914-1918*, Brochure ronéotypée.

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية

I.S.B.N. : 9973-944-03-8